

أنوار التنزيل وأسرار التأويل  
المعروف  
بتفسير البيضاوي

تأليف

ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد  
الشيرازي الشافعي البيضاوي  
(ت ٦٩١ هـ)

إعداد وتقديم

محمد عبد الرحمن المرعشي

طبعة جديدة مصححة ومنقحة وضع التفسير فيها تحت آيات القرآن  
الكريم من المصحف العثماني

مؤسسة التاريخ العربي

دار إحياء التراث العربي

بيروت

# أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي

تأليف

ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد  
الشيرازي الشافعي البيضاوي  
(ت ٦٩١ هـ)

إعداد وتقديم

محمد عبد الرحمن المرعشلي

الجزء الرابع

طبعة جديدة مصححة ومنقحة وُضِعَ التفسير فيها تحت آيات القرآن  
الكريم من المصحف العثماني

مؤسسة التاريخ العربي

دار إحياء التراث العربي

بيروت



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار إحياء التراث العربي  
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

## (١٩) سورة مريم

**مكية إلا آية السجدة وهي ثمان أو تسع وتسعون آية**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَبِهْقِصَ ۝١ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ۝٢﴾ .

﴿كَبِهْقِصَ﴾ أمال أبو عمرو الهاء لأن ألفات أسماء التهجى ياءات وابن عامر وحمزة الياء، والكسائي وأبو بكر كليهما، ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال، والباقون يدغمونها. ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر ما قبله إن أول السورة أو بالقرآن، فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي: هذا المثلو ﴿ذكر رحمة ربك﴾، أو مبتدأ حذف خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها، وقرئ «ذكر رحمة» على الماضي و«ذكر» على الأمر. ﴿عَبْدُكَ﴾ مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع كقولك: ذكرني جود زيد. ﴿زَكَرِيَّا﴾ بدل منه أو عطف بيان له.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣﴾ .

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان، والإخفاء أشد إخبائاً وأكثر إخلاصاً أو لثلاً يلام على طلب الولد في إبان الكبر، أو لثلاً يطلع عليه مواليه الذين خافهم، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته. واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون، وقيل سبعون، وقيل خمس وسبعون، وقيل خمس وثمانون، وقيل تسع وتسعون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ تفسير للتداء والوهن الضعف، وتخصيص العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه ولأنه أصل ما فيه، فإذا وهن كان ما وراءه أو هن وتوحده لأن المراد به الجنس، وقرئ «وهن» و«وهن» بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث. ﴿وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها، ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة، وجعله مميزاً إيضاحاً للمقصود، واكتفى باللام على الإضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقيد. ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة، وتنبه على أن المدعو له وإن لم يكن معتاداً لإجابته معتادة، وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها، ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَأْيِ وَكَانَتْ آمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ يَرْثُنِي وَيَرْثِ

مِنَ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ .

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ يعني بني عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل، فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته

وبدلوها عليهم دينهم. ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي، وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف، أو بمعنى الموالى أي خفت فعل الموالى من ورائي، أو الذين يلون الأمر من ورائي. وقرئ «خفت الوالي من ورائي» أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي، أو خفوا ودرجوا قدامي، فعلى هذا كان الظرف متعلقاً بـ «خفت». ﴿وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد. ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ فإن مثله لا يرجى إلا من فضلك وكمال قدرتك، فإني وامراتي لا نصلح للولادة. ﴿وَلِيًّا﴾ من صلي.

﴿يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْ آلٍ يَغُفُّوبُ﴾ صفتان له وجزمهما أبو عمرو والكسائي على أنهما جواب الدعاء، والمراد وراثته الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال. وقيل يرثني الحبورة فإنه كان حبراً، ويرث من آل يعقوب الملك، وهو يعقوب بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام. وقيل يعقوب كان أخاً زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام. وقرئ «يرثني وارث آل يعقوب» على الحال من أحد الضميرين، و«أويرث» بالتصغير لصغره، و«وارث من آل يعقوب» على أنه فاعل «يرثني» وهذا يسمى التجريد في علم البيان لأنه جرد عن المذكور أولاً مع أنه المراد. ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ترضاه قولاً وعملاً.

﴿يَزَكِّرُنَا إِنَّا تَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾

﴿يَا زَكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ جواب لندائه ووعد بإجابة دعائه وإنما تولى تسميته تشريفاً له. ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم يسم أحد بيحيى قبله، وهو شاهد بأن التسمية بالأسامي الغربية تنويه للمسمى. وقيل سمياً شبيهاً كقوله تعالى: ﴿هل تعلم له سميًّا﴾ لأن المتماثلين يتشاركان في الاسم، والأظهر أنه أعجمي وإن كان عربياً فمفعول عن فعل كيعيش ويعمر. وقيل سمي به لأنه حيي به رحم أمه، أو لأن دين الله حيي بدعوته.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ۝٩ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ جساوة وقحولاً في المفاصل، وأصله عتو كعتود فاستقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء، ثم قلبت الثانية وأدغمت وقرأ حمزة والكسائي وحفص «عتياً» بالكسر، وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجز عاقر اعترافاً بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك: ﴿قَالَ﴾ أي الله تعالى أو الملك المبلغ للشارة تصديقاً له. ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر كذلك، ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بـ «قال» في: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ وذلك إشارة إلى مبهم يفسره. ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيْنٌ﴾ ويؤيد الأول قراءة من قرأ «وهو على هين» أي الأمر كما قلت، أو كما وعدت وهو على ذلك يهون علي، أو كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما أريد أن أفعله إلى الأسباب، ومفعول قال الثاني محذوف. ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ بل كنت معدوماً صرفاً، وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشيء، وقرأ حمزة والكسائي «وقد خلقناك».

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لَيْلًا سَوِيًّا ۝١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ علامة أعلم بها وقوع ما بشرني به. ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ سَوِيًّا الخلق ما بك من خرس ولا يكلم، وإنما ذكر الليالي هنا والأيام في «آل عمران» للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ من المصلى أو من الغرفة. ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ فأومأ إليهم لقوله ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾. وقيل كتب لهم على الأرض. ﴿أَنْ مَسْجُوعًا﴾ صلوا أو نزهوا ربكم. ﴿يُكْرَهُ وَعَشِيًّا﴾ طرفي النهار، ولعله كان مأموراً بأن يسبح ويأمر قومه بأن يوافقوه، و ﴿أَنْ﴾ تحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة.

﴿يَتَّبِعُونَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ۝١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾.

﴿يَا يَحْيَى﴾ على تقدير القول. ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ التوراة. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واستظهار بالتوفيق. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ يعني الحكمة وفهم التوراة، وقيل النبوة أحكم الله عقله في صباه واستبأه.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ ورحمة منا عليه أو رحمة وتعطفاً في قلبه على أبويه وغيرهما عطف على الحكم. ﴿وَزَكَاةً﴾ وطهارة من الذنوب أو صدقة أي تصدق الله به على أبويه، أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مطيعاً متجنباً عن المعاصي.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ وبارأ بهما. ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ عاقاً أو عاصي ربه. ﴿وَسَلَّمْ عَلَيْهِ﴾ من الله. ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم. ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر. ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ من عذاب النار وهول القيامة.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ في القرآن. ﴿مَرْيَمَ﴾ يعني قصتها. ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ اعتزلت، بدل من ﴿مَرْيَمَ﴾ بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها، أو بدل الكل لأن المراد بـ ﴿مَرْيَمَ﴾ قصتها وبالظرف الأمر الواقع فيه وهما واحد، أو ظرف لمضاف مقدر وقيل ﴿إِذِ﴾ بمعنى أن المصدرية كقولك: أكرمتك إذ لم تكرمني فتكون بدلاً لا محالة. ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ شرقي بيت المقدس، أو شرقي دارها، ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكاناً ظرف أو مفعول لأن ﴿انتبذت﴾ متضمن معنى أتت.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ سترًا. ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ قيل فعدت في مشقة للاغتسال من الحيض متحجبة بشيء يسترها. وكانت تحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت. فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة شاب أمرد سري الخلق لتستأنس بكلامه، ولعله لتهيج شهوتها به فتحدر نطقها إلى رحمها.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝١٩﴾.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ من غاية عفافها. ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فإني عاتدة منك، أو فتتعت بتعويذي أو فلا تتعرض لي، ويجوز أن يكون للمبالغة أي إن كنت تقياً متورعاً فإني أتعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الذي استعذت به. ﴿لَأَمَبَ لَكَ غُلَامًا﴾ أي لأكون سبياً في هبته بالنفخ في الدرع، ويجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى، ويؤيده قراءة أبي عمرو والأكثر عن نافع ويعقوب بالياء. ﴿زَكِيًّا﴾ طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير أي متزقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ﴿٢١﴾.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ولم يباشرني رجل بالحلال، فإن هذه الكنايات إنما تطلق فيه، أما الزنا فإنما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعاً ولذلك لم تلحقه التاء، أو فاعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لأنه للمبالغة، أو للنسب كطالق.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً﴾ أي ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله، وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات. ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾ علامة لهم وبرهاناً على كمال قدرتنا. ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ على العباد يهتدون بإرشاده. ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي تعلق به قضاء الله في الأزل، أو قدر وسطر في اللوح أو كان أمراً حقيقاً بأن يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿٢٢﴾.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بأن نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان مدة حملها سبعة أشهر، وقيل ستة، وقيل ثمانية ولم يعيش مولود وضع لثمانية غيره، وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة، وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين. ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ فاعتزلت وهو في بطنها كقوله:

تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالْأَثَرِيْبَا

والجار والمجرور في موضع الحال. ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ ﴿٢٣﴾.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ فألجأها المخاض، وهو في الأصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في أعطى وقرىء «المخاض» بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج. ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء، والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس، ولعله تعالى ألهمها ذلك ليربها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها. ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم، وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر ﴿مت﴾ من مات يموت. ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب وتظيره الذبح لما يذبح، وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمي به، وقرىء به وبالهزم وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته. ﴿مَّنْسِيًّا﴾ منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرىء بكسر الميم على الابتاع.

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ مَرِيًّا﴾ ﴿٢٤﴾.

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾ عيسى، وقيل جبريل كان يقبل الولد، وقيل تحتها أسفل من مكانها. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح ﴿من تحتها﴾ بالكسر والجعر على أن في نادى ضمير أحدهما، وقيل الضمير

في تحتها للنخلة. ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ أي لا تحزني أو بأن لا تحزني. ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَخْتَكِ سَرِيًّا﴾ جدولاً. هكذا روي مرفوعاً، وقيل سيّداً من السرو وهو عيسى عليه الصلاة والسلام.

﴿وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَمْعُجَ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾.

﴿وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَمْعُجَ النَّخْلَةِ﴾ وأمليه إليك، والباء مزيدة للتأكيد أو افعلي الهز والإمالة به، أو «هزي» الشجرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع. ﴿تَسْقُطُ عَلَيْكَ﴾ تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة، وقرأ يعقوب بالياء وحفص «تساقط» من ساقطت بمعنى أسقطت، وقرأ «تساقط» و «تسقط» و «يسقط» فالتاء للنخلة والياء للجدع. ﴿رَطْبًا جَنِيًّا﴾ تمييز أو مفعول. روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء، فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخصاً ورطباً. وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش، والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن يشمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فعل، وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الأمرين فقال:

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي من الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره. ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ وطبّي نفسك وارفضي عنها ما أحزنك، وقرأ «وقري» بالكسر وهو لغة نجد، واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره، أو من القر فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرّة العين للمحبوب وسختتها للمكروه. ﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فإن تري آدمياً، وقرأ «ترئن» على لغة من يقول لبأت بالحج لتأخ بين الهزمة وحرف اللين. ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ صمتاً وقد قرئ به، أو صياماً وكانوا لا يتكلمون في صيامهم. ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي. وقيل أخبرتهم بنذرها بالإشارة وأمرها بذلك لكرامة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام فإنه قاطع في قطع الطاعن.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ يتأخّث هزؤون ما كان أبوك أمراً سؤواً وما كانت أمك بغيّاً.

﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ أي مع ولدها. ﴿قَوْمَهَا﴾ راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس. ﴿تَحْمِلُهُ﴾ حاملة إياه. ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي بديعاً منكراً من فري الجلد.

﴿يَا أَخْتِ هَرُونَ﴾ يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة، وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة. وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكماً أو لما راوا قبل من صلاحها أو شتموها به. ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ تقرير لأن ما جاءت به فري، وتنبه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أي كلموه ليحييكم. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي

المَهْدِ صَبِيًّا. ولم نعهد صبيًّا في المهد كلمة عاقل، و «كَانَ» زائدة والظرف صلة من، و «صَبِيًّا» حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالى: «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» أو بمعنى صار.

«قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» أنطقه الله تعالى به أولاً لأنه أول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته. «آتَانِي الْكِتَابَ» الإنجيل. «وَجَعَلَنِي نَبِيًّا».

«وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» (٣١) «وَبَرًّا بِوَالِدَيْ» وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا» (٣٢) «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» (٣٣).

«وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا» نفاعاً معلماً للخير، والتعبير بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه، أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستبأه طفلاً. «أَيْنَمَا كُنْتُ» حيث كنت. «وَأَوْصَانِي» وأمرني. «بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ» زكاة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل. «مَا دُمْتُ حَيًّا».

«وَبَرًّا بِوَالِدَيْ» وبارأ بها عطف على «مباركاً»، وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني، أي وكلفني برأ ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على «الصلاة». «وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا» عند الله من فرط تكبره.

«وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» كما هو على يحيى والتعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه، فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالى: «وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى» فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى.

«ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» (٣٤).

«ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» أي الذي تقدم نعتة هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى، وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم. «قَوْلَ الْحَقِّ» خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه، والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة. وقيل صفة «عيسى» أو بدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله. وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب «قول» بالنصب على أنه مصدر مؤكد. وقرئ «قال الحق» وهو بمعنى القول. «الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» في أمره يشكون أو يتنازعون، فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب.

«مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ» إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) «وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» (٣٦).

«مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ» تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه. «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» تبيكت لهم، فإن من إذا أراد شيئاً أوجده بـ «كن» كان منزهاً عن شبه الخلق إلى الحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث، وقرأ ابن عامر «فيكون» بالنصب على الجواب.

«وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» سبق تفسيره في سورة «آل عمران»، وقرأ الحجازيان والبصريان «وأن» بالفتح على ولأن وقيل إنه معطوف على «الصلاة».

«فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (٣٧).

«فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» اليهود والنصارى؛ أو فرق النصارى: نسطورية قالوا إنه ابن الله،

ويعقوبية قالوا هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه. ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه، وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء والسنتم وأرسلهم بالكفر والفسق، أو من وقت الشهادة أو من مكانها. وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وأمه.

﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصُرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨).

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ﴾ تعجب معناه أن استماعهم وإبصارهم. ﴿يَوْمَ يَأْتُوتُنَا﴾ أي يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صمماً عمياً في الدنيا، أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ. وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحق بهم فيه، والجار والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أوقع الظالمين موقع الضمير إشعاراً بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم، وسجل على إغفالهم بأنه ضلال بين.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٩) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٤٠).

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يوم يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار، وإذ بدل من اليوم أو ظرف لـ ﴿لِحَسْرَةٍ﴾. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حال متعلقة بقوله ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وما بينهما اعتراض، أو بـ ﴿أَنْذَرَهُمْ﴾ أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين، فتكون حالاً منضمته للتعليل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ لا يبقى غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك، أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإقناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه. ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يردون للجزاء.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٤٢).

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ ملازماً للصدق، أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله. ﴿نَبِيًّا﴾ استنبأه الله.

﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وما بينهما اعتراض، أو متعلق بـ ﴿كَانَ﴾ أو بـ ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. ﴿لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ التاء معوضة من ياء الإضافة ولذلك لا يقال يا أبتى ويقال يا أبتا، وإنما تذكر للاستعطف ولذلك كررها. ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك. ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ في جلب نفع أو دفع ضرر، دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه بأبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحن أدب، حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه، فضلاً عن عبادته التي هي غاية التعظيم، ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب، ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميّزاً سمياً بصيراً مقتدرّاً على النفع والضرر ولكن كان ممكناً، لاستنكف العقل القويم من عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة، فكيف إذا كان جماداً لا يسمع ولا يبصر، ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظاً من العلم الإلهي مستقلاً بالنظر السوي فقال:

﴿يَتَأْتِي إِيَّايَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣) ﴿يَتَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٤٤).

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق، ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضرر، فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه الأمر به فقال:

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ ولما استهجن ذلك بين وجه الضرر فيه بأن الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم ويتقم منه، ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يعجر إليه فقال:

﴿يَتَأْتِي إِيَّايَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٤٥).

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ قريناً في اللعن والعذاب تليه ويليك، أو ثابتاً في موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب. وذكر الخوف والمس وتذكير العذاب إما للمجاملة أو لخفض العاقبة، ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لإرتقاء همته في الريانية، أو لأنه ملاكها أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته لآدم وذريته منه عليها.

﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦).

﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناده باسمه ولم يقابل ﴿يَا أَبَتِ﴾: يا بني، وآخره وقدم الخير على المبتدأ وصدده بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب، كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن مقالك فيها أو الرغبة عنها. ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت، أو تبعد مني. ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ عطف على ما دل عليه ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي فاحذرني واهجرني. ﴿مَلِيًّا﴾ زماناً طويلاً من الملاوة أو ملياً بالذهاب عني.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾ (٤٧) ﴿وَأَعْتَزَلَكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨).

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة، أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ لعله يوفقك للتوبة والإيمان، فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ بليغاً في البر والإلطف.

﴿وَأَعْتَزَلَكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالمهاجرة بديني. ﴿وَادْعُوا رَبِّي﴾ وأعبده وحده. ﴿عَسَىٰ أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ خائباً ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتم، وفي تصدير الكلام بـ ﴿عَسَىٰ﴾ التواضع وهضم النفس، والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجبتين، وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب.

﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (٤٩) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا﴾ (٥٠).

﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالهجرة إلى الشام. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بدل من فارقه من الكفرة، قيل إنه لما قصد الشام أتى أولاً حران وتزوج بسارة وولدت له إسحق وولد منه يعقوب، ولعل

تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد. ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ وكلا منهما أو منهم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ النبوة والأموال والأولاد. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يفتخر بهم الناس ويشنون عليهم، استجابة لدعوته ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ والمراد باللسان ما يوجد به، ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يشنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١﴾ وَتَدْبِيئُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ موحداً أخلص عبادته عن الشرك والرياء، أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه، وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم ﴿رسولاً﴾ مع أنه أخلص وأعلى.

﴿وَتَدْبِيئُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ من ناحيته اليمنى من اليمين، وهي التي تلي يمين موسى من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة. ﴿وَقَرَّبَهُ﴾ تقرب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته. ﴿نَجِيًّا﴾ مناجياً حال من أحد الضميرين. وقيل مرتفعاً من النجوة وهو الارتفاع. لما روي أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا. ﴿أَخَاهُ﴾ معاضدة أخيه وموازرتة إجابة لدعوته ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ فإنه كان أسن من موسى، وهو مفعول أو بدل على تقدير أن تكون ﴿من﴾ للتبويض. ﴿هَارُونَ﴾ عطف بيان له. ﴿نَبِيًّا﴾ حال منه.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره، ونأهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ فوفى. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة، فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل، قال الله تعالى ﴿وانذر عشيرتک الأقربين﴾. ﴿وامر أهلك بالصلاة﴾، ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾. وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم. ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ لاستقامة أقواله وأفعاله.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ وهو سبط شيث وجد أبي نوح عليهم السلام، واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس يرده منع صرفه، نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقلب به لكثرة درسه، إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة، وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب. ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ يعني شرف النبوة والزلفى عند الله، وقيل الجنة، وقيل السماء السادسة أو الرابعة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس عليهم السلام. ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان للموصول. ﴿مِنَ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ بدل منه بإعادة الجار، ويجوز أن تكون ﴿مِنَ﴾ فيه للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي ومن ذرية من حملنا خصوصاً، وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح. ﴿وَمِنَ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الباقون. ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أي ومن ذرية إسرائيل، وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى، وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ ومن جملة من هديناهم إلى الحق. ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ للنبوة والكرامة. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ خبر لـ ﴿أُولَئِكَ﴾ إن جعلت الموصول صفته، واستئناف إن جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله وإخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى. وعن النبي عليه الصلاة والسلام «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا». والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد. وقرئ «يتلى» بالياء لأن التأنيت غير حقيقي، وقرأ حمزة والكسائي ﴿بُكِيًّا﴾ بكسر الباء.

﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝٥٩﴾

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح، وخلف سوء بالسكون. ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ تركوها أو أخروها عن وقتها. ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في المعاصي. وعن علي رضي الله عنه في قوله ﴿واتبعوا الشهوات﴾: من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ شراً كقوله:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرُهُ وَمَنْ يَلْقَ لَا يَغْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَا إِثْمًا  
أو جزاء غي كقوله تعالى: ﴿يلق أثاماً﴾ أو غياً عن طريق الجنة، وقيل هو واد في جهنم يستعذب منه أوديتها.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝٦١﴾

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يدل على أن الآية في الكفرة. ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ولا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم، ويجوز أن ينتصب ﴿شيئاً﴾ على المصدر، وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها، أو منصوب على المدح، وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وعدن لأنه المضاف إليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الإقامة كبرة ولذلك صح وصف ما أضيف إليه بقوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي وعدها إياهم وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب. ﴿إِنَّهُ﴾ إن الله. ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ الذي هو الجنة. ﴿مَأْتِيًّا﴾ يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة، وقيل هو من أتى إليه إحساناً أي مفعولاً متجزاً.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٦٢).

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ فضول كلام. ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ ولكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، أو تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم، على بعض على الاستثناء المنقطع، أو على أن معنى التسليم إن كان لغواً فلا يسمعون لغواً سواء كقوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ

أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهراً وإنما فائدته الإكرام. ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغبة، وقيل المراد دوام الرزق ودوروره.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (٦٣).

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ نقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه، والورثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع، ولا تبطل برد ولا إسقاط. وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم، وعن يعقوب «نورث» بالتشديد.

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمَّا بَكَرَ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤).

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب، ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً، وقيل أربعين يوماً حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه، ثم نزل ببيان ذلك. والنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً كما يطلق نزل بمعنى أنزل، والمعنى وما نزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته، وقرئ «وما يتنزل» بالياء والضمير للوحي. ﴿لَمَّا بَكَرَ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين لا ننقل من مكان إلى مكان، ولا ننزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ تاركاً لك أي ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به، ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وإنما كان لحكمة وآها فيه. وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، والمعنى وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفه، وهو مالك الأمور كلها السالفة والمتربة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله «وما كان ربك نسياً» تقرير من الله لقولهم أي وما كان ربك نسياً لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله:

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لِمَ سَمِيًّا﴾ (٦٥).

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بيان لامتناع النسيان عليه، وهو خبر محذوف أو بدل من «ربك» ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه، أي لما عرفت ربك بأنه لا ينبغي له أن ينساك، أو أعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزه الكفرة، وإنما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب: اصطبر لقرنك. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لِمَ سَمِيًّا﴾ مثلاً يستحق أن يسمى إلهاً أو أحداً سمي الله فإن المشركين وإن سموا الصنم إلهاً لم يسموه الله قط، وذلك لظهور أحديته تعالى، وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة، وهو تقرير للأمر

أي إذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثٌ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ﴾ (١٦) ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (١٧).

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المراد به الجنس بأسره فإن المقول مقول فيما بينهم وإن لم يقله كلهم كقولك: بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم، أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبي بن خلف فإنه أخذ عظاماً بالية ففتها وقال: يزعم محمد أنا نبعت بعدما نموت. ﴿إِذَا مَا مِثٌ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ من الأرض أو من حال الموت، وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة، وانتصابه بفعل دل عليه ﴿أُخْرَجَ﴾ لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، وهي ها هنا مخرجة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال. وروي عن ابن ذكوان ﴿إِذَا مَا مِثٌ﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ عطف على ﴿يقول﴾، وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف مع أن الأصل أن يتقدمها للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه إنما نشأ منه فإنه لو تذكر وتأمل: ﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ بل كان عذماً صرفاً، لم يقل ذلك فإنه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب ﴿يذكر﴾ من الذكر الذي يراد به التفكير، وقرأ «يتذكر» على الأصل.

﴿فَوَرَيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (١٨).

﴿فَوَرَيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أقسم باسمه تعالى مضافاً إلى نبيه تحقيقاً للأمر وتفخيماً لشأن رسول الله ﷺ. ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عطف أو مفعول معه لما روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغوهم كل مع شيطانه في سلسلة، وهذا وإن كان مخصوصاً بهم ساغ نسبته إلى الجنس بأسره، فإنهم إذا حشروا وفيهم الكفرة مقرورين بالشياطين فقد حشروا جميعاً معهم. ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسروراً، وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿جِثِيًّا﴾ على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلق، أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب، وأهل الموقف جاثون لقوله تعالى ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ على المعتاد في مواقف التقاول، وإن كان المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم إهانة بهم، أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿جِثِيًّا﴾ بكسر الجيم.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ (٢٠).

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ من كل أمة شاعت ديناً. ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها، وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو كثيراً من أهل العصيان ولو خسر ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فأعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب، أو يدخل كلا طبقتهما التي تليق به، و ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبني على الضم عند سيبويه لأن حقه أن يبني كسائر الموصولات، لكنه أعرب حملاً

على «كل» وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلتة زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بنزعن، ولذلك قرئ منصوباً ومرفوع عند غيره إما بالإبتداء على أنه استفهامي وخبره «أشد»، والجملة محكية وتقدير الكلام: «لننزعن» من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد، أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم، أو مستأنفة والفعل واقع على «من كل شيعة» على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة، وإما بشيعة لأنها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بالفعل وكذا الباء في قوله:

«ثُمَّ لَنُنْخِثَنَّ أَقْلَمَهُم بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلَاً» أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي، أو صليهم أولى بالنار. وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتياً رؤساء الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالتهم وإضلالهم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص «صلياً» بكسر الصاد.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً

﴿٧١﴾

«وإن منكم» وما منكم التفات إلى الإنسان ويؤيده أنه قرئ «وإن منهم». «إلا واردها» إلا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم. وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة». وأما قوله تعالى: «أولئك عنها معبدون» فالمراد عن عذابها. وقيل ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها. «كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا» كان ورودهم واجباً أوجبه الله على نفسه وقضى به بأن وعد به وعداً لا يمكن خلفه. وقيل أقسم عليه.

«ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا» فيساقون إلى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف، وقرئ ثم بفتح الشاء أي هناك. «وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً» منهاراً بهم كما كانوا، وهو دليل على أن المراد بالورود الجثث حوالها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجايبهم، وتبقى الفجرة فيها منهاراً بهم على هيئاتهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۖ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا

﴿٧٢﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ مرتلات الألفاظ مبيّنات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول ﷺ أو واصلحات الإعجاز. «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا» لأجلهم أو معهم. «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ» المؤمنين والكافرين. «خَيْرٌ مَّقَامًا» موضع قيام أو مكاناً. وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ومنزل. «وَأَحْسَنُ نَدِيًّا» مجلساً ومجتمعاً والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى، لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضاً مع التهديد نقضاً بقوله:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ۖ﴾

«وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثناً ورفياً» و «كم» مفعول «أهلكنا» و «من قرن» بيانه، وإنما سمي أهل كل عصر قرناً أي مقدماً من قرن الدابة. وهو مقدمها لأنه يتقدم من بعده، وهم أحسن صفة لكم و«أثناً» تمييز عن النسبة وهو متاع البيت. وقيل هو ما جد منه والخري ما رث والرثي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز، وقرأ نافع وابن عامر «رياً» على قلب الهمزة وإدغامها أو على أنه من الري الذي هو النعمة، وقرأ أبو بكر «ريياً» على القلب، وقرئ «رياً» بحذف الهمزة و«زياً» من الزي وهو الجمع

فإنه محاسن مجموعة، ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس بإكرام وإنما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (٧٥).

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به، وإنما أخرجه على لفظ الأمر إيداناً بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجاً وقطعاً لمعاذيره كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ وكقوله ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية المد. وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي قالوا أي الفريقين خير حتى إذا رأوا ما يوعدون. ﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ تفضيل للموعود فإنه إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والتكال. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من الفريقين بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدره وعاد ما متعوا به خذلاناً ووبالاً عليهم، وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد ﴿حتى﴾. ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أي فئة وأنصاراً قابل به أحسن ندياً من حيث إن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيثُ الْفَلَيْحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (٧٦).

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله، أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد به ما هو خير له وعوضه منه، وقيل عطف على فلیمدد لأنه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية. ﴿وَالْبَلَقِيثُ الْفَلَيْحَتُ﴾ الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد، ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ﴿وَخَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله: ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ والخير هنا إما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء، أي أبلغ في حره منه في برده.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٧٧) أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا

(٧٨).

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له: لا حتى تكفر بمحمد فقال: لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين تبعث، قال فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فأعطيك. ولما كانت الرؤية أقوى سند الإخبار استعمل رأيت بمعنى الإخبار، والفاء على أصلها في التعقيب والمعنى: أخبر بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك. وقرأ حمزة والكسائي «ولداً» وهو جمع ولد كأمس في أسد أو لغة فيه كالعرب والعرب.

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ أقد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وتآلى عليه. ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أو اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين. وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه.

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ .

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه مخطيء فيما تصوره لنفسه . ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله :

إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة

أي تبين أنني لم تلدني لثيمة، أو سنتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ . ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ونطول له من العذاب ما يستأمله، أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلّت عظمته، ولذلك أكدّه بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه . ﴿وَنَرِثُهُ﴾ بموته . ﴿مَا يَقُولُ﴾ يعني المال والولد . ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة . ﴿فَرْدًا﴾ لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً أن يوتى ثم زائداً وقيل ﴿فَرْدًا﴾ رافضاً لهذا القول منفرداً عنه .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده .

﴿كَلَّا﴾ ردع وإنكار لتعززهم بها . ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ . ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ يؤيد الأول إذا فسر الضد بضد العز، أي ويكونون عليهم ذلاً، أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم، أو جعل الواو للكفرة أي يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيداً لوحدة المعنى الذي به مضادتهم، فإنهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام «وهم يد على من سواهم» . وقرئ ﴿كَلَّا﴾ بالتثنية على قلب الألف نوناً في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله :

أَقْلِي السُّلُومَ عَاذِلُ وَالسَّيِّئَاتِ

أو على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بأن سلطانهم عليهم أو قيصنا لهم قرناء . ﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات، والمراد تعجيب رسول الله ﷺ من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة .

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم . ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ أيام آجالهم . ﴿عَذَابًا﴾ والمعنى لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة .

﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥).

﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ نجمعهم. ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ إلى ربهم الذي غمرهم برحمته، ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لأن مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿وَفْدًا﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاة على المملوك مبتظرين لكرامتهم وإنعامهم.

﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾.

﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما تساق البهائم. ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ عطاشاً فإن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش، أو كالدواب التي ترد الماء.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم. ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الإيمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى، أو إلا من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ من قولهم: عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به، ومحلل الرفع على البذل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي إلا شفاعته من اتخذ، أو على الاستثناء. وقيل الضمير للمجرمين والمعنى: لا يملكون الشفاعة فيهم إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً يستعد به أن يشفع له بالإسلام.

﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩٠﴾.

﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ الضمير يحتمل الوجهين لأن هذا لما كان مقولاً فيما بين الناس جاز أن ينسب إليهم.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى، والأد بالفتح والكسر العظيم المنكر والإداة الشدة وأدنى الأمر، وأدنى أثقلني وعظم عليّ.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء. ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يتشققن مرة بعد أخرى، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب «ينفطرن»، والأول أبلغ لأن التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل الفعل التكلف. ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ تهد هداً أو مهدودة، أو لأنها تهد أي تكسر وهو تقرير لكونه أدا، والمعنى: أن هول هذه الكلمة وعظمتها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام وتفتت من شدتها، أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضباً على من تفوه بها.

﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾.

﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ يحتمل النصب على العلة لـ ﴿تَكَادُ﴾ أو لـ ﴿هَذَا﴾ على حذف اللام وإفشاء الفعل إليه، والجر بإضمار اللام أو بالإبدال من الهاء في منه والرفع على أنه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ﴿أَنْ دَعَا﴾، أو فاعل ﴿هَذَا﴾ أي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمي المتعدي إلى مفعولين، وإنما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولداً، أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان إذا انتسب إليه.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلاً له لأنه

مستحيل، ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للإشعار بأن كل ما عدها نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي أصولها وفروعها، فكيف يمكن أن يتخذها ولداً ثم صرح به في قوله:

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما منهم. ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ إلا وهو مملوك له يأوي إليه بالعبودية والانقياد، وقرئ «آتَى الرَّحْمَنِ» على الأصل.

﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ﴾ حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته. ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فإن كل شيء عنده بمقدار.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ منفرداً عن الاتباع والأنصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذها ولداً ولا يناسبه ليشرك به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴿٩٧﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها، وعن النبي ﷺ «إذا أحب الله عبداً يقول لجبريل أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم توضع له المحبة في الأرض». والسين إما لأن السورة مكية وكانوا ممقوتين حيثئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك إذا دجا الإسلام، أو لأن الموعود في القيامة حين تعرض حسنتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ بأن أنزلناه بلغتك، والباء بمعنى على أو على أصله لتضمن ﴿يسرناه﴾ معنى أنزلناه أي أنزلناه بلغتك. ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى. ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ أشداء الخصومة آخذين في كل لديد، أي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذر.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ نُحِشُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ تخويف للكفرة وتجسير للرسول ﷺ على إنذارهم. ﴿هَلْ نُحِشُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ هل تشعر بأحد منهم وتراه. ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ وقرئ «تسمع» من أسمعت والركز الصوت الخفي، وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض، والركاز المال المدفون. عن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها وبعده من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله».

## (٢٠) سورة طه

محكية وهي مائة أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ ﴿١﴾

﴿طه﴾ فخمها فالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل، وفخم الطاء وحده أبو عمرو وورش لاستعلائه وأمالهما الباقون. وهما من أسماء الحروف. وقيل معناه يا رجل على لغة عك، فإن صح ففعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَاهَا فِي خَلْقِكُمْ لَا قُدُسَ لِلَّهِ أَخْلَقَ الْمَلَائِكِينَ

ضعيف لجواز أن يكون قسماً كقوله حم لا ينصرون، وقرئ ﴿طه﴾ على أنه أمر للرسول ﷺ بأن يطأ الأرض بقدميه، فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه وأن أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت في يطأ ألفاً كقوله: لا هناك المرتع. ثم بني عليه الأمر وضم إليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل ﴿طه﴾ طأها والألف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الأرض، لكن يرد ذلك كتابتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل أو اكفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما.

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ ﴿٣﴾

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ خبر ﴿طه﴾ إن جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة، أو ﴿القرآن﴾ والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه إن جعلته مقسماً به ومنادى له إن جعلته نداء، واستئناف إن كانت جملة فعلية أو اسمية بإضمار مبتدأ، أو طائفة من الحروف محكية والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفتك على كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلغ، أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق. والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من رافض المهر، وسيد القوم أشقاهم. ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل عليه ليسعد. وقيل رد وتكذيب للكفرة، فإنهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ لكن تذكيراً، وانتصابها على الاستثناء المنقطع، ولا يجوز أن يكون بدلاً من محل ﴿لتشقى﴾ لاختلاف الجنسين ولا مفعولاً له لـ ﴿أنزلنا﴾، فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين. وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف أو القرآن، أو مفعول له على أن ﴿لتشقى﴾ متعلق بمحذوف هو صفة القرآن أي ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه إلا تذكرة. ﴿لِّمَن يَخْشَى﴾ لمن في قلبه خشية ورقة تتأثر بالإندار، أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فإنه المنتفع به.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ ﴿٤﴾

﴿تنزيلًا﴾ نصب بإضمار فعله أو بـ ﴿يخشى﴾، أو على المدح أو البدل من ﴿تذكرة﴾ إن جعل حالاً،

وإن جعل مقعولاً له لفظاً أو معنى فلا لأن الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه. ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ مع ما بعده إلى قوله ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تفخيم لشأن المنزل يفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل، فبدأ بخلق الأرض والسماوات التي هي أصول العالم، وقدم الأرض لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السماوات العلى، وهو جمع العليا تأنيث الأعلى، ثم أشار إلى وجه إحداث الكائنات وتدبير أمرها بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقادير، وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝﴾

﴿١﴾

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته، ولما كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفياتها على سواء فقال:

﴿وَأَن تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝﴾

﴿وَأَن تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي وإن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غني عن جهرك فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى منه، وهو ضمير النفس. وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيما ليس لإعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوار، ثم إنه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الألوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ومن في ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ صلة لـ ﴿تنزيلاً﴾ أو صفة ﴿له﴾، والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتعفن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن، ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب الإيمان به والانقياد له من حيث إنه كلام من هذا شأنه، ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه. وقرئ ﴿الرحمن﴾ على الجر صفة لمن خلق فيكون ﴿على العرش استوى﴾ خبر محذوف، وكذا إن رفع ﴿الرحمن﴾ على المدح دون الابتداء، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً، والثرى الطبقة الترايبية من الأرض وهي آخر طبقاتها، و﴿الحسنى﴾ تأنيث الأحسن، وفضل أسماء الله تعالى على سائر الأسماء في الحسن لدلالاتها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝﴾

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ قفى تمهيد نبوته ﷺ بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل.

﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ ظرف للـ ﴿حديث﴾ لأنه حدث أو مفعول لأذكر. قيل إنه استأذن شعبياً عليهما الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه، وخرج بأهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة، وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته إذ رأى من جانب الطور ناراً. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾

امْكُثُوا أَقِيمُوا مَكَانَكُمْ. وقرأ حمزة «لأهله امكثوا ها هنا»، وفي «القصص» بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها. «إِنِّي آنَسْتُ نَارًا» أبصرتها إبصاراً لا شبهة فيه، وقيل الإيناس إبصار ما يؤنس به. «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ» بشعلة من النار وقيل جمرة. «أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» هادياً يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين، فإن أفكار الأبرار ماثلة إليها في كل ما يعن لهم. ولما كان حصولهما مترتباً بني الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس، فإنه كان محققاً ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه، ومعنى الاستعلاء في «على النار» أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في: مررت بزيد إنه لصوق بمكان يقرب منه.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَّى ﴿١١﴾ إِنَّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي النار وجد ناراً بيضاء تنقد في شجرة خضراء. «نُودِيَ يَا مُوسَى».

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي بآني وكسره الباقون بإضمار القول أو إجراء النداء مجراه، وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق. قيل إنه لما نودي قال: من المتكلم قال: إني أنا الله، فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بآني أسمعه من جميع الجهات وجميع الأعضاء. وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً، ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة. «فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ» أمره بذلك لأن الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين. وقيل لتجاسة نعليه فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ. وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال. «إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» تعليل للأمر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين. «طُوًى» عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان. وقيل هو كثنى من الطي مصدر لـ «نودي» أو «المقدس» أي: نودي نداءين أو قدس مرتين.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٢﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

﴿١٤﴾

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ اصطفتك للنبوة وقرأ حمزة «وَأَنَا اخترناك». «فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى» للذي يوحى إليك،

أو للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل. «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» خصها بالذكر وأفردها بالأمر للعللة التي أناط بها إقامتها، وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره. وقيل «لِذِكْرِي» لأنني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالثناء، أو «لِذِكْرِي» خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري. وقيل لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي. لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال «من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي».

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾

وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكَزَىٰ ﴿١٦﴾.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ كائنة لا محالة. «أَكَادُ أُخْفِيهَا» أريد إخفاء وقتها، أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعداء لما أخبرت به، أو أكاد أظهرها من أخفاء إذا سلب خفاءه، ويؤيده القراءة بالفتح من خفاء إذا أظهره. «لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ» متعلق بـ «آتِيَةٌ» أو بـ

﴿أَخْفِیْهَا﴾ على المعنى الأخير.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ عن تصديق الساعة، أو عن الصلاة. ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ نهي الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها، والمراد نهي أن ينصد عنها كقولهم: لا أرنيك ها هنا، تبيهاً على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها، وأنه ينبغي أن يكون راسخاً في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها. ﴿فَتَرَدَّى﴾ فتهلك بالانصداد بصدده.

﴿وَمَا تِلْكَ بِبَيْمِينِكَ يَمْوَسَّى﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى (١٨).

﴿وَمَا تِلْكَ﴾ استفهام يتضمن استيقاظاً لما يريه فيها من العجائب. ﴿بَيْمِينِكَ﴾ حال من معنى الإشارة، وقيل صلة ﴿تِلْكَ﴾. ﴿يَا مُوسَى﴾ تكرير لزيادة الاستئناس والتنبية.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ وقرئ «عصِي» على لغة هذيل. ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ اعتمد عليها إذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع. ﴿وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ وأخبط الورق بها على رؤوس غنمي، وقرئ «أهش» وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته، وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجراً لها. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى﴾ حاجات أخر مثل أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته، وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به، وإذا قصر الرشاء وصله بها، وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها، وكأنه ﷺ فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها، حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبته بالليل كالشمع، وتصيران دلوأ عند الاستقاء، وتطول بطول البشر وتحارب عنه إذا ظهر عدو، وينبع الماء بركزها، وينضب بنزعها وتورق وتثمر إذا انتهى ثمرة فركزها، على أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها، فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلاً ومجماً على معنى أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَّى﴾ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١).

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بخلط العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظراً إلى المبدأ وثعباناً مرة باعتبار المنتهى، وحية أخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحالين. وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال ﴿كَانَهَا جَانٌ﴾.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ فإنه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها. ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ هيئتها وحالتها المتقدمة، وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه، أو على الظرف أي سنعيدها في طريقها أو على تقدير فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتتفع بها ما كنت تتفع قبل. قيل لما قال له ربه ذلك اطمأن نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها.

﴿وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِيَّائِنَا الْكُبْرَى﴾ (٢٢) لِيُؤَيِّدَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا الْكُبْرَى (٢٣) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤).

﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر، استعارة من جناحي الطائر سمياً بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران. ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءُ﴾ كأنها مشعة. ﴿مِنْ غَيْرِ شَوْءٍ﴾ من غير عاهة وقبح، كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لأن الطباع تعافه وتنفّر عنه. ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ معجزة ثانية وهي حال من ضمير ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءُ﴾ أو من ضميرها، أو مفعول بإضمار خذ أو دونك. ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه آية أو القصة التي دللنا بها، أو فعلنا ذلك ﴿لِنُرِيكَ﴾ و ﴿الكبرى﴾ صفة ﴿آياتنا﴾ أو مفعول «نريك» و ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ حال منها. ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ بهاتين الآيتين وادعه إلى العبادة. ﴿إِنَّهُ طَفَى﴾ عصى وتكبر.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَيَبِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَقْفَهُوا قَوْلِي (٢٨). ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿وَيَبِّرْ لِي أَمْرِي﴾ لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأل أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه، والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الأمر له بإحداث الأسباب ورفع الموانع، وفائدة لي إبهام المشروح والميسر أولاً، ثم رفعه بذكر الصدر والأمر تأكيداً ومبالغة. ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ ﴿يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ فإنما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة أدخلها فاه، وذلك أن فرعون حمله يوماً فأخذ بلحيته وנתفها، فغضب وأمر بقتله فقالت آسية: إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت، فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها في فيه. ولعل تبييض يده كان لذلك. وقبل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ، ثم لما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه. واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ ومن لم يقل احتج بقوله ﴿هُوَ أَفْصَحَ مِنِّي لِسَانًا﴾ وقوله ﴿وَلَا يَكَادُ بَيِّنٌ﴾ وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقاً بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الأمر، ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل.

﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢).

﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ يعينني على ما كلفتني به، واشتقاق الوزير إما من الوزر لأنه يحمل الثقل عن أميره، أو من الوزر وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره، ومنه الموازنة وقيل أصله أوزير من الأزر بمعنى القوة، فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجلس قلبت همزته واواً كقلبها في موازر. ومفعولاً اجعل ﴿وزيراً﴾، و ﴿هرون﴾ قدم ثانيهما للعناية به و ﴿لي﴾ صلة أو حال أو ﴿لي وزيراً﴾ و ﴿هرون﴾ عطف بيان للوزير، أو ﴿وزيراً من أهلي﴾ و ﴿لي﴾ تبين كقوله ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾. و ﴿أخي﴾ على الوجه بدل من ﴿هرون﴾ أو مبتدأ خبره.

﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ على لفظ الأمر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على أنهما جواب الأمر.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥).

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايد. ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً بأحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا، وأن هرون نعم المعين لي فيما أمرتني

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُنْكَ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ أي مسؤولك، فعل بمعنى مفعول كالخبز والإكل بمعنى المخبوز والمأكول.

﴿وَلَقَدْ مَتَّأ عَلَيكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ أي أنعمنا عليك في وقت آخر .

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ بِالْهَامِ أَوْ فِي مَنَامٍ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ فِي وَقْتِهَا أَوْ مَلَكٌ . لَا عَلَى وَجْهِ النَّبِیَّةِ . كَمَا أَوْحِيَ إِلَى مَرْيَمَ . ﴿مَا يُوْحَى﴾ مَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِالْوَحْيِ ، أَوْ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُوْحَى وَلَا يَخْلُ بِهِ لِعَظَمِ شَأْنِهِ وَفَرَطِ الْإِعْتِمَادِ بِهِ .

﴿أَن أَقْدِفِهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِهِ فِي الْبَيْرِ فَلْيَلْقِهِ أَلِيمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّكَ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةَ مَنَى وَلَنُصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنَيْكَ ۝﴾ (٣٩)

﴿أَنْ أَقْذِفَهُ فِي التَّابُوتِ﴾ بأن أقذفه، أو أي أقذفه لأن الوحي بمعنى القول. ﴿فَأَقْذِفْهُ فِي الْيَمِّ﴾ والقذف يقال للإلقاء وللوضع كقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وكذلك الرمي كقوله: عَلَامَ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا. ﴿فَلْيَقْذِفْهُ الْيَمِّ بِالسَّاحِلِ﴾ لما كان إلقاء البحر إياه إلى الساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الإرادة به، جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر، والأولى أن تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم، فالمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان التابوت بالذات فموسى بالعرض. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لِي﴾ جواب ﴿فَلْيَقْذِفْهُ﴾ وتكرير ﴿عَدُوِّ﴾ للمبالغة، أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع. قيل إنها جعلت في التابوت قطعاً ووضعت فيه ثم قبرته وألقته في اليم، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأداه إلى بركة في البستان، وكان فرعون جالساً على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم، فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً فأحبه حباً شديداً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَبْدِيكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون، ويجوز أن يتعلق ﴿مَنِّي﴾ بـ ﴿الْقَيْتِ﴾ أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب، وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله فالتقط منه، لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجانب فوهة نهره. ﴿وَلْيُضَنِّحْ عَلَى عَيْنِي﴾ لتربي ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك، والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك، أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك. وقرئ ﴿وَلْيُضَنِّحْ﴾ بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ﴿وَلْيُضَنِّحْ﴾ بالنصب وفتح التاء أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري.

﴿إِذْ تَسْتَعِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَدْ جِئْنَاكَ مِنَ اللَّعِمِ ۖ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَمَّا بَلَغْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَثْمُوعِ ۖ﴾

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ ظرف لـ ﴿الْقَبْرِ﴾ أو ﴿لِتَصْنَعِ﴾ أو بدل من ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾ على أن المراد بها وقت متسع. ﴿تَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ وذلك لأنه كان لا يقبل ثدي المراضع، فجاءت أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ فجاءت بأمه فقبل ثديها. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ وفاء بقولنا ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلفائك. ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشتاقها. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ نفس القبطى الذى استغاثه عليه الإسرائيلى. ﴿فَتَجْنَبُكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ غم قتله خوفاً

من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين. ﴿وَفَتْنَاكَ فُتُونًا﴾ وابتليناك ابتلاء، أو أنواعاً من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجة وبدرة، فخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألف، والمشي راجلاً على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره. ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين، ومدين على ثمان مراحل من مصر. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ قدرته لأن أكلمك وأستنبك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر، أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء. ﴿يَا مُوسَى﴾ كروه عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك.

﴿وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا لِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾.

﴿وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ واصطفيتك لمحبتني مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه نفسه.

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ بمعجزاتي. ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ ولا تفترا ولا تقصرا، وقرىء ﴿تَنِيَا﴾ بكسر التاء. ﴿فِي ذِكْرِي﴾ لا تنسياني حيثما تقلبتما. وقيل في تبليغ ذكري والدعاء إلي.

﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾.

﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أمر به أولاً موسى عليه الصلاة والسلام وحده وههنا إياه وأخاه فلا تكرير. قيل أوحى إلى هرون أن يتلقى موسى، وقيل سمع بمقبله فاستقبله.

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ مثل ﴿هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة حذراً أن تحمله الحماسة على أن يسطو عليكما، أو احتراماً لما له من حق التربية عليك. وقيل كناية وكان له ثلاث كنى: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة. وقيل عداه شباباً لا يهرم بعده وملكاً لا يزول إلا بالموت. ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ متعلق بـ ﴿أَذْهَبَا﴾ أو ﴿قُولَا﴾ أي: بأشرا الأمر على رجائكما. وطمعكما أنه يشر ولا يخيب سعيكما، فإن الراجي مجتهد والآيس متكلف، والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم، ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة، من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل. وقرىء «يفرط» من أفرطته إذا حملته على العجلة، أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جنني على المعالجة بالعقاب، و «يفرط» من الإفراط في الأذية. ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ أو أن يزداد طغياناً فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ بالحفظ والنصر. ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأحدث في كل ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما، ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إنني حافظكما سامعاً ومبصراً، والحافظ إذا كان قادراً سميعاً بصيراً ثم الحفظ.

﴿فَأَنبِئَهُمْ فَفَوَّلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغْلِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْمَهْدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿فَأَنبِئَهُمْ فَفَوَّلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أطلقهم. ﴿وَلَا تَغْلِبْهُمْ﴾ بالتكاليف الصعبة وقتل ولدان، فإنهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم ويتعبدونهم في العمل ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام، وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخلص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان، ويجوز أن يكون للتدرج في الدعوة. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ جملة مقررّة لما تضمنته الكلام السابق من دعوى الرسالة، وإنما وحد الآية وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة الحجة وتعددتها، وكذلك قوله: ﴿قَدْ جِئْتَكُمْ بَيِّنَةً﴾، ﴿فَأَنْتَ بِآيَةٍ﴾، ﴿قَالَ أُولُو جِنَّتِكَ بِشَيْءٍ مَّيِّنٍ﴾. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْمَهْدَىٰ﴾ وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين، أو السلامة في الدارين لهم.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسل، ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد في أول الأمر أهم وأنجع وبالواقع أليق.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ أن بعد ما أتياه وقال له ما أمرا به، ولعله حذف لدلالة الحال عليه فإن المطيع إذا أمر بشيء فعله لا محالة، وإنما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لأنه الأصل وهرون وزيره وتابعه، أو لأنه عرف أن له رتبة ولأخيه فصاحة فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأنواع ﴿خَلْقَهُ﴾ صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له، أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفعون به، فقدم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه. وقبل أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجاً. وقرئ ﴿خَلْقَهُ﴾ صفة للمضاف إليه أو المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفاً أي: أعطى كل مخلوق ما يصلحه. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل به إلى بقاءه وكماله اختياراً أو طبعاً، وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره وإعراجه عن الموجودات بأسرها على مراتبها، ودلالته على أن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عدها مفتقر إليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله، ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير إلا صَرَفَ الكلام عنه.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي هو غيب لا يعلمه إلا هو وإنما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به. ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مثبت في اللوح المحفوظ، ويجوز أن يكون تمثيلاً لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتابة ويؤيده. ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ﴾ والضلال أن تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد إليه، والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك، وهما محالان على العالم بالذات، ويجوز أن يكون سؤاله دخلاً على إحاطة قدرة الله تعالى بالأشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة، بأن ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الأشياء وجزئياتها، والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم

وبأجرائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب: أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ۝٥٧﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ مرفوع صفة لـ ﴿رَبِّي﴾ أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح. وقرأ الكوفيون هنا وفي «الزخرف» «مهداً» أي كالمهد تمتدونها، وهو مصدر سمي به، والباقون مهداً وهو اسم ما يمهّد كالفرش أو جمع مهد ولم يختلفوا في الذي في «النبأ». ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ وجعل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ عدل به عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى، تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيداناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته، وعلى هذا نظائره كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلَفًا أَلْوَانُهَا﴾ «أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق» الآية. ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض. ﴿مِّنْ نَّبَاتٍ﴾ بيان أو صفة لأزواجاً وكذلك: ﴿شَتَّى﴾ ويحتمل أن يكون صفة لـ ﴿نبات﴾ فإنه من حيث إنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع، وهو جمع شتيت كمریض ومریض أي متفرقات في الصور والأغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال:

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٥٨﴾ ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۝٥٩﴾.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ وهو حال من ضمير ﴿فأخرجنا﴾ على إرادة القول أي أخرجنا أصناف النبات قائلين ﴿كلوا وارعوا﴾، والمعنى معديها لاتقاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهيّة. ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بالموت وتفكيك الأجزاء. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الأرواح إليها.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِن ۝٥٩ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤُومِينَ ۝٦٠﴾. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ بصرناه إياها أو عرفناه صحتها. ﴿كُلَّهَا﴾ تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد، على أن المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى، أو أنه عليه السلام أراه آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من المعجزات ﴿فَكَذَّبَ﴾ موسى من فرط عناده. ﴿وَأَتَى﴾ الإيمان والطاعة لعتوه. ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ أرض مصر. ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كونه محقاً حتى خاف منه على ملكه، فإن الساحر لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۝٦١﴾. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ مثل سحرك. ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وعداً لقوله: ﴿لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا

أَنْتَ فَإِنَّ الْإِخْلَافَ لَا يَلِائِمُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ وَانْتِصَابَ. ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ بفعل دل عليه المصدر لا به لأنه موصوف، أو بأنه يدل من ﴿موعداً﴾ على تقدير مكان مضاف إليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشَّرَ النَّاسُ ضُحًى ٥٩﴾.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم، أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول، أو وعدكم وعد يوم الزينة، وقرئ «يوم» بالنصب وهو ظاهر في أن المراد بهما المصدر، ومعنى ﴿سوى﴾ منتصفاً يستوي مسافته إلينا وإليك وهو في النعت كقولهم: قوم عدي في الشذوذ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم، وقيل في «يوم الزينة» يوم عاشوراء، أو يوم النيروز، أو يوم عيد كان لهم في كل عام، وإنما عينه ليظهر الحق ويذهب الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار. ﴿وَأَنْ يُخَشَّرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ عطف على الـ ﴿يوم﴾ أو «الزينة»، وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير الـ ﴿يوم﴾ أو ضمير «فرعون» على أن الخطاب لقومه.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ٦١﴾.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم. ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ الموعد.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن تدعوا آياته سحراً. ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ فيهلككم ويستأصلكم، وبه قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم، والسحت لغة الحجاز. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ كما خاب فرعون، فإنه افتري واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه.

﴿فَتَنَزَّلُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ٦٣﴾.

﴿فَتَنَزَّلُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم: ليس هذا من كلام السحرة. ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ بأن موسى إن غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر. وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله:

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ﴾ تفسير لـ ﴿أسروا النجوى﴾ كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذراً أن يغلبا فيتبعهما الناس، و «هذان» اسم إن على لغة بلحوث بن كعب فإنهم جعلوا الألف للثنية وأعربوا المثنى تقديراً. وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف و «هذان لساحران» خبرها. وقيل «إن» بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما إن اللام لا تدخل خبر المبتدأ. وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف، وقرأ أبو عمرو «إن هذين» وهو ظاهر، وابن كثير وحفص «إن هذان» على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا. ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ بالاستيلاء عليها. ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما لقوله ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾. وقيل أرادوا أهل طريقتهم وهم بنو إسرائيل فإنهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى ﴿أرسل معنا بني إسرائيل﴾. وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرفهم من حيث إنهم قدوة لغيرهم.

﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ (٦٤) ﴿قَالُوا يَتَمَوَّعُ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (٦٥).

﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ فآزمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم. وقرأ أبو عمرو ﴿فاجمعوا﴾ ويعضده قوله ﴿فجمع كيده﴾ والضمير في ﴿قالوا﴾ إن كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض. ﴿ثُمَّ أَتُوا صَفًّا﴾ مصطفين لأنه أهيب في صدور الرائيين. قيل كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل عصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ أي بعد ما أتوا مراعاة للأدب و ﴿أَنْ﴾ بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف، أي اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا أو الأمر إلقاءك أو إلقاءنا.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (٦٦).

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم، وإسعافاً إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم وتغيير النظم إلى وجه أبلغ، ولأن يبرزوا ما معهم ويستغفوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه. ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ أي قالوا فإذا حبالهم وعصيهم، وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضاً ظرفية تستدعي متعلقاً ينصبها وجملة تضاف إليها، لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى: فألقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم، وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيّل إليه أنها تتحرك. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح «تخيّل» بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي، وإبدال أنها «تسمى» منه بدل الاشتمال، وقرئ «يخيّل» بالياء على إسناده إلى الله تعالى، و «تخيّل» بمعنى تتخيّل.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ (٦٧) ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (٦٨) ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ﴾ (٦٩).

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلية البشرية، أو من أن يخالجه الناس شك فلا يتبعوه.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ ما توهمت. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكداً بالاستئناف، وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل.

﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ أبهمه ولم يقل عصاك تحقيراً لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألقى العويذة التي في يده، أو تعظيماً لها أي لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمتها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثراً فآلقه. ﴿تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى، وأصله تتلقف فحذفت إحدى التاءين، وتاء المضارعة تحتل التانيث والخطاب على إسناد الفعل إلى المسبب. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من لفظته بمعنى تلقفته. ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أن الذي زوروا وافتعلوا. ﴿كَيْدٌ سِحْرٌ﴾ وقرئ بالنصب على أن ما كافة وهو مفعول صنعوا. وقرأ حمزة والكسائي «سحر» بهاء من سحر، أو بتسمية الساحر سحراً على المبالغة، أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان كقولهم: علم فقه، وإنما وحد الساحر لأن المراد به الجنس المطلق ولذلك قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ أي هذا الجنس وتنكير الأول

لشكير المضاف كقول العجاج:

يَوْمَ تَرَى الثُّفُوسَ مَا أَعَدَّتْ فِي سَفْيِ ذُنْيَا طَالَمَا قَدَّمَدَتْ  
كانه قيل إنما صنعوا كيد سحري. ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ حيث كان وأين أقبل.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ أي فالتقى فتلقت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر وإنما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته، فالتقاهم ذلك على وجوههم سجداً لله توبة عما صنعوا واعتاباً وتعظيماً لما رأوا. ﴿قَالُوا ءَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ قدم هارون لكبر سنه أو لروي الآية، أو لأن فرعون ربي موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع. روي أنهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها.

﴿قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.

﴿قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ﴾ أي لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع. وقرأ قبيل وحفص ﴿أمنتم له﴾ على الخبر والباقون على الاستفهام. ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ في الإيمان له. ﴿إِنَّهُمْ لَكَبِيرُكُمُ﴾ لعظيمكم في فنكم وأعلمكم به أو لأستاذكم. ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم. ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى، ومن ابتدائية كأن القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال، أي لأقطعنها مختلفات وقرئ «لأقطعن» «ولأصلبن» بالتخفيف. ﴿وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف، وهو أول من صلب. ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا﴾ يريد نفسه وموسى لقوله ﴿أمنتم له﴾ واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله أراد به توضيح موسى والهزة به، فإنه لم يكن من التعذيب في شيء. وقيل رب موسى الذي آمنوا به. ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ وأدوم عقاباً.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَافْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٦) إِنَّا ءَمَّنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ لن نختارك. ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا﴾ موسى به، ويجوز أن يكون الضمير فيه لما. ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الواضحات. ﴿وَالَّذِي فَطَرْنَا﴾ عطف على ما جاءنا أو قسم. ﴿فَافْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ ما أنت قاضيه أي صانعه أو حاكم به. ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إنما تصنع ما تهواه، أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده. وقرئ «تقضي هذه الحياة الدنيا» كقولك: صيم يوم الجمعة.

﴿إِنَّا ءَمَّنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ من معارضة المعجزة. روي أنهم قالوا لفرعون أرونا موسى نائماً فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ جزاء أو خير ثواباً وأبقى عقاباً.

﴿إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ جَحِيمًا فَإِنْ لَمْ يَجَهِّمُوا لَهُ يَمُوتُوا فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٧) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ إن الأمر. ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ بأن يموت على كفره وعصيانه. ﴿فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح. ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ حياة مهناة.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ في الدنيا. ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ المنازل الرفيعة. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من الدرجات. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من أدناس الكفر والمعاصي، والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى﴾ (٧٧).

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أي من مصر. ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ فاجعل لهم، من قولهم ضرب له في ماله سهماً أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا عمله. ﴿فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يابساً مصدر وصف به يقال ييس ييساً وييساً كسقم سقماً وسقماً، ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة ييس للتي جف لبنها، وقرئ «يبساً» وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله:

كَأَنَّ قُتُودَ رَحْلِي حِينَ ضَمْتُ حَوَالِبَ غُرَزًا وَمَعِي جِيَاعًا

أو لتعدد معني فإنه جعل لكل سبط منهم طريقاً. ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ حال من المأمور أي آمناً من أن يدرككم العدو، أو صفة ثانية والعائد محذوف، وقرأ حمزة «لا تخف» على أنه جواب الأمر. ﴿وَلَا تُخْشَى﴾ استئناف أي وأنت لا تخشى، أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق كقوله ﴿وَتُظَنُّونَ بِاللَّظُنُونِ﴾ أو حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (٧٨) وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ وَمَا هَدَى (٧٩).

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وذلك أن موسى عليه السلام خرج بهم أول الليل فَأَخْبَرَ فِرْعَوْنَ بذلك فقص أثرهم، والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني. وقيل ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعددية وقيل الباء مزيدة والمعنى: فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم. ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ الضمير لجنوده أوله ولهم، وفيه مبالغة ووجازة أي: غشاهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه إلا الله. وقرئ «فغشاهم ما غشاهم» أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو-الله تعالى أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم للهلاك.

﴿وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ وَمَا هَدَى﴾ أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ أو أضلهم في البحر وما نجا.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى﴾ (٨٠).

﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون على إضمار قلنا، أو للذين منهم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما فعل بأبائهم. ﴿قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾ فرعون وقومه. ﴿وَوَاعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ بمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه، وإنما عد المواعدة إليهم وهي لموسى أوله وللسبعين المختارين للملابسة. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى﴾ يعني في التيه.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۖ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (٨١).

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لذائذه أو حلالاته، وقرأ حمزة والكسائي «أنجيتكم» و«وواعدتكم» و«ما رزقتكم» على التاء. وقرىء «وواعدتكم» و«وواعدناكم»، والأيمن بالجر على الجوار مثل: جحر ضب خرب. ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه. ﴿وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ فقد تردى وهلك، وقيل وقع في الهاوية، وقرأ الكسائي «يحل» و«يخلل» بالضم من حل يحل إذا نزل.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ عن الشرك. ﴿وَآمَنَ﴾ بما يجب الإيمان به. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ثم استقام على الهدى المذكور.

﴿وَمَا أَصْغَلَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّىٰ﴾ (٨٢) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۚ ﴿٨٣﴾

﴿وَمَا أَصْغَلَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم.

﴿قَالَ﴾ موسى. ﴿هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ أي ما تقدمتهم إلا بخطأ يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضاً. ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي﴾ (٨٦).

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفاً. ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته، وقرىء «وَأَضَلَّهُمْ» أي أشدهم ضلالاً لأنه كان ضالاً مضلاً، وإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوا بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل، وإن هذا الخطاب كان له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخباراً من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته، فإن أصل وقوع الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته، و«السامري» منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة. وقيل كان علجاً من كرمان. وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقاً.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة «غَضْبَانَ» عليهم. ﴿أَسِفًا﴾ حزناً بما فعلوا. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ وبأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي الزمان يعني زمان مفارقتهم لهم. ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ يجب عليكم. ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

بعبادة ما هو مثل في الغباوة. ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمرتكم به، وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف فيه، أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين، وهو لا يناسب الترتيب على التريديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (٨٧) ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ (٨٨) ﴿أَفَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩).

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ بأن ملكنا أمرنا إذ لو خيلنا وأمرنا ولم يسول لنا السامري لما أخلفناه، وقرأ نافع وعاصم ﴿بملكنا﴾ بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء. ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ حملنا أحمالاً من حلي القبط التي استعرتها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس. وقيل استعاروا لعيد كان لهم، ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به، وقيل: هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزاراً لأنها آثام، فإن الغنائم لم تكن تحل بعد أو لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي. ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي في النار. ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أي ما كان معه منها. روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري: إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم، فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح ﴿حَمَلْنَا﴾ بالفتح والتخفيف.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ من تلك الحلي المذابة. ﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ صوت العجل. ﴿فَقَالُوا﴾ يعني السامري ومن افتتن به أول ما رآه. ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور، أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان.

﴿أَفَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ألا يعلمون. ﴿أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أنه لا يرجع إليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً. وقرئ ﴿يرجع﴾ بالنصب وفيه ضعف لأن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين. ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُورُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (٩٠) ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ (٩١).

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام، أو قول السامري كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم. ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ بالعجل. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لا غيره. ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ في الثبات على الدين.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ﴾ على العجل وعبادته. ﴿عَاكِفِينَ﴾ مقيمين. ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول.

﴿قَالَ يَهْرُؤُنُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ (٩٢) ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (٩٣) ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٩٤).

﴿قَالَ يَا هَرُؤُونَ﴾ أي قال له موسى حين رجع. ﴿مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل.

﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به، أو أن تأتي عقيبي وتلحقني و «لا» مزيدة كما في قوله «ما منعك أن لا تسجد». ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بالصلاة في الدين والمحاماة عليه.

﴿قَالَ يَا ابْنِ آدَمَ﴾ خص الأم استعطافاً وترقيقاً، وقيل لأنه كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم. ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله، وكان عليه الصلاة والسلام حديداً خشناً متصلباً في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لو قاتلت أو فارقت بعضهم ببعض. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت «اخلفني في قومي وأصلح» فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة لهم إلى أن ترجع إليهم فتتدارك الأمر برأيك.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعِي﴾ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦).

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ أي ثم أقبل عليه وقال له منكراً ما خطبك أي ما طلبك له وما الذي حملك عليه، وهو مصدر خطب الشيء إذا طلبه.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفتنوا له، وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني لا يمس أثره شيئاً إلا أحياء، أو رأيت ما لم تروه وهو أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة. وقيل إنما عرفه لأن أمه ألقته حين ولدته خوفاً من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فأطلق على المقبوض كضرب الأمير، وقرئ بالصاد والأول للأخذ بجميع الكف والثاني للأخذ بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم، والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ في الحلي المذاب أو في جوف العجل حتى حيي. ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ زيته وحسته لي.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٩٧).

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ عقوبة على ما فعلت. ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ خوفاً من أن يمسك أحد فتأخذك الحمى ومن مسك فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريداً وحيداً كالوحش النافر، وقرئ «لا ميساس» كفجار وهو علم للمسة. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ في الآخرة. ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ لن يخلفك الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا، وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أي لن تخلف الواعد إياه وسيأتيك لا محالة، فحذف المفعول الأول لأن المقصود هو الموعد ويجوز أن يكون من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً، وقرئ بالنون على حكاية قول الله. ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ ظلمت على عبادته مقيماً فحذف اللام الأولى تخفيفاً، وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام إليها. ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ أي بالنار ويؤيده قراءة ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾، أو بالمبرد على أنه مبالغة في حرق إذ برد بالمبرد ويعضده قراءة ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾. ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ ثم لنذرينه رماداً أو مبروداً وقرئ بضم النسين. ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتنين به لمن له أدنى نظر.

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٩٨).

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ المستحق لعبادتكم. ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة. ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وسع علمه كل ما يصح أن يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وإن كان حياً في نفسه كان مثلاً في الغباوة، وقرىء ﴿وسع﴾ فيكون انتصاب ﴿علماً﴾ على المفعولية لأنه وإن انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف إلى المفعولين صار مفعولاً.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ﴾ (٩٩).

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من أخبار الأمور الماضية والأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيراً لمعجزاتك وتنبهاً وتذكيراً للمستبصرين من أمتك. ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ كتاباً مشتملاً على هذه الأفاصيص والأخبار حقيقاً بالتفكر والاعتبار، والتذكير فيه للتعظيم. وقبل ذكراً جميلاً وصيلاً عظيماً بين الناس.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ﴾ (١٠٠) ﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ﴾ (١٠١).

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله. ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ عقوبة ثقيلة فادحة على كفره، وذنبه، سماها ﴿وزراً﴾ تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره، أو إثماً عظيماً.

﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ في الوزر أو في حمله، والجمع فيه والتوحيد في أعرض للحمل على المعنى واللفظ. ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ أي بشس لهم فيه ضمير مبهم يفسره ﴿حِمْلًا﴾، والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملاً وزرهم، واللام في ﴿لهم﴾ للبيان كما في ﴿هيت لك﴾ ولو جعلت ﴿ساء﴾ بمعنى أحزن والضمير الذي فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب ﴿حِمْلًا﴾ ولم يفد مزيد معنى.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ﴾ (١٠٢).

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وقرأ أبو عمرو بالنون على إسناد النفع إلى الأمر به تعظيماً له أو للنافخ. وقرىء بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله أو ضمير إسرافيل وإن لم يجر ذكره لأنه المشهور بذلك، وقرىء «في الصور» وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ وقرىء «ويحشر المجرمون» ﴿زُرْقًا﴾ زرق العيون وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب، لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا في صفة العدو: أسود الكيد، أصهب السبال، أزرق العين أو عمياً، فإن حدقة الأعمى تزرق.

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ﴾ (١٠٣) ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ﴾ (١٠٤).

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت وإخفاؤه. ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها، أو لاستطاعتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا أنهم استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات، أو في القبر لقوله ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ إلى آخر الآيات.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وهو مدة لبثهم. ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعدلهم رأياً أو عملاً. ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ استرجاح لقول من يكون أشد تقالاً منهم.

﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ عن مآل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف. ﴿فَقُلْ﴾ لهم. ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ فيذر مقارها، أو الأرض وإضمارها من غير ذكر لدلالة ﴿الجبال﴾ عليها كقوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾. ﴿قَاعًا﴾ خاليًا ﴿صَفْصَفًا﴾ مستويًا كأن أجزاءها على صف واحد.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ اعوجاجاً ولا نتراً إن تأملت فيها بالقياس الهندسي، وثلاثتها أحوال مترتبة فالأولان باعتبار الإحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني، والأمم وهو التواء السير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ نسفت على إضافة اليوم إلى وقت النسف، ويجوز أن يكون بدلاً ثانياً من يوم القيامة. ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ داعي الله إلى المحشر، قيل هو إسرافيل يدعو الناس قائماً على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب إلى صوبه ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه. ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ خفضت لمهابته. ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفياً ومنه الهميس لصوت أخفاف الإبل، وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ الاستثناء من الشفاعة أي إلا شفاعة من أذن له أو من أعم المفاعيل، أي إلا من أذن في أن يشفع له فإن الشفاعة تنفعه، ﴿مَنْ﴾ على الأول مرفوع على البدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية و ﴿أَذِنَ﴾ يحتمل أن يكون من الأذن ومن الأذن. ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لأجله قول الشافع في شأنه، أو قوله لأجله وفي شأنه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ ﴿عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما تقدمهم من الأحوال. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وما بعدهم مما يستقبلونه. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ولا يحيط علمهم بمعلوماته، وقيل بذاته وقيل الضمير لأحد الموصولين أو لمجموعهما، فإنهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه.

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ ذلت وخضعت له خضوع العنا وهم الأسارى في يد الملك القهار، وظاهرها يقتضي العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الإضافة ويؤيده. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعض الطاعات. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول

الخيرات. ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا كسراً منه بنقصان أو جزاء ظلم وهضم لأنه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه، وقرئ «فلا يخف» على النهي.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ عطف على كذلك نقص أي مثل ذلك الإنزال أو مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد. ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ كله على هذه الوتيرة. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ مكررين فيه آيات الوعيد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة. ﴿أَوْ يُخْدِتْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عظة واعتباراً حين يسمعونها فتشطهم عنها، ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن.

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

﴿١١٤﴾

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ﴾ في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم. ﴿الْمَلِكُ﴾ النافذ أمره ونهيه الحقيقي بأن يرجى وعده ويخشى وعيده. ﴿الْحَقُّ﴾ في ملكوته يستحقه لذاته، أو الثابت في ذاته وصفاته ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ نهى عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الإنزال على سبيل الاستطراد. وقيل نهى عن تبليغ ما كان منجماً قبل أن يأتي بيانه. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحى إليك تناله لا محالة.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ﴿١١٥﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ ولقد أمرناه يقال تقدم الملك إليه وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه إذا أمره، واللام جواب قسم محذوف وإنما عطف قصة آدم على قوله ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان. ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ من قبل هذا الزمان. ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد ولم يعن به حتى غفل عنه، أو ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة. ﴿وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ تصميم رأي وثباتاً على الأمر إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزل الشيطان ولم يستطع تغريه، ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب الأمور ويلذوق شربها وأريها. وعن النبي ﷺ «لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ﴿ولم نجد له عزمًا﴾». وقيل عزمًا على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمده ﴿ونجد﴾ وإن كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزمًا مفعولاً، وإن كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزمًا أو متعلق بنجد.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْقَادُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجْلِكَ فَلَا تُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ مقدر بذكر أي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات. ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ قد سبق القول فيه. ﴿أَبَى﴾ جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله ﴿فسجدوا﴾ لأن المعنى أظهر الإباء عن المطاوعة.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجْلِكَ فَلَا تُخْرِجَنَّكَمَا﴾ فلا يكون سبباً لإخراجكما، والمراد نهيهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما. ﴿مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءهما من حيث إنه قيم عليها ومحافظة على الفواصل، أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَقْرَىٰ﴾ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ (١١٩).

﴿إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَقْرَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والسكن مستغنياً عن اكتسابها والسعي في تحصيل أغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائصها، ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها، والعاطف وإن ناب عن أن لكنه ناب من حيث إنه عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن امتناع دخول إن عليه. وقرأ نافع وأبو بكر ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ﴾ بكسر الهمزة والباقون بفتحها.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ أَتَادِمُ هَلْ أَذْكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (١٢٥) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (١٢٦) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَاتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (١٢٧).

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ فانتهى إليه وسوسته. ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذْكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً. فأضافها إلى الخلد أي الخلود لأنها سببه بزعمه. ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ لا يزول ولا يضعف.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أخذوا يلزقان الورق على سوائتهما للستر وهو ورق التين ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ بأكل الشجرة. ﴿فَغَوَىٰ﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة، أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو. وقرئ «فغوى» من غوى الفصيل إذا أتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من أجبي إلى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها، وأصل معنى الكلمة الجمع. ﴿فَقَاتَبَ عَلَيْهِ﴾ فقبل توبته لما تاب. ﴿وَهَدَىٰ﴾ إلى الثبات على التوبة والتثبيت بأسباب العصمة.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (١٢٢) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى﴾ (١٢٣).

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الخطاب لآدم وحواء، أوله ولإبليس ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب، أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الأول قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول. ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا. ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي. ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ضيقاً مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث، وقرئ «ضنكى» كسكرى، وذلك لأن مجامع همتهم ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهاكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها، بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال ﴿وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ الآيات، وقيل هو الضريع والزقوم في النار، وقيل عذاب القبر ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفاً على محل ﴿فَإِنَّ لَهُ

معيشة ضنكاً» لأنه جواب الشرط. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أعمى البصر أو القلب ويؤيد الأول.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهٖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (١٢٧).

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ وقد أمالهما حمزة والكسائي لأن الألف متقلبة من الياء، وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك فعلت ثم فسرهُ فقال: ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا﴾ واضحة نيرة. ﴿فَنَسِيَهَا﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل تركك إياها. ﴿الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ ترك في العمى والعذاب.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهٖ﴾ بل كذب بها وخالفها. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ وهو الحشر على العمى، وقيل عذاب النار أي وللنار بعد ذلك ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ من ضنك العيش أو منه ومن العمى، ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١٢٩).

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ مسند إلى الله تعالى أو الرسول أو ما دل عليه. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها، والفعل على الأولين معلق بجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ﴾ ويشاهدون آثار هلاكهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة. ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ لكان مثل ما نزل بعداد وثمود لازماً لهؤلاء الكفرة، وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ عطف على كلمة أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم، أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لازماً والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَآنَآءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣٠).

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه، أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامداً له على ما ميزك بالهدى معترفاً بأنه المولى للنعم كلها. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني الفجر. ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني الظهر والعصر لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده. ﴿وَمِنْ ءَآنَآءِ اللَّيْلِ﴾ ومن ساعاته جمع أنا بالكسر والقصر، أو أثناء بالفتح والمد. ﴿فَسَبِّحْ﴾ يعني المغرب والعشاء وإنما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحزم ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾. ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ تكرير لصلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص، ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الإلباس كقوله:

ظَهَرَاءُ مَا يَمِثُلُ ظُهُورِ التَّارِسِينَ

أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس، أو بالتطوع في أجزاء النهار. ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ متعلق بـ ﴿مسيح﴾ أي سبى في هذه الأوقات طمعاً أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك. وقرأ الكسائي وأبو بكر بالبناء للمفعول أي يرضيك ربك.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿١٣١﴾.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي نظر عينيك. ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ استحساناً له وتمنياً أن يكون لك مثله. ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ وأصنافاً من الكفرة، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في به والمفعول منهم أي إلى الذي متعنا به، وهو أصناف بعضهم أو ناساً منهم. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ منصوب بمحذوف دل عليه ﴿متعنا﴾ أو ﴿به﴾ على تضمينه معنى أعطينا، أو بالبدل من محل ﴿به﴾ أو من ﴿أزواجاً﴾ بتقدير مضاف ودونه، أو بالذم وهي الزينة والبهجة. وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة، أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعيمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه، أو لتعذيبهم في الآخرة بسببه. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ وما ادخر لك في الآخرة، أو ما رزقك من الهدى والنوبة. ﴿خَيْرٌ﴾ مما منحهم في الدنيا. ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ فإنه لا ينقطع.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ﴿١٣٢﴾.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة. ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ وداوم عليها. ﴿لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا﴾ أي أن ترزق نفسك ولا أهلك. ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم ففرغ بالك لأم الآخرة. ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمود. ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لذوي التقوى. روي «أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية».

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿١٣٣﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة، أو بآية مقترحة إنكاراً لما جاء به من الآيات، أو للاعتداد به تعتداً وعناداً فالزمهم بآتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها، لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة، ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدراً وأبقى أثراً فكذا ما كان من هذا القبيل، ونبيهم أيضاً على وجه أبين من وجوه إعجاز المختصة بهذا الباب فقال: ﴿أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، فإن اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أمني لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين، وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث إنه معجز وتلك ليست كذلك، بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها. وقرأ «الصحف» بالتخفيف وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿أو لم تأتِهِمْ﴾ بالياء والباقيون بالياء.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنُخْرِجَ﴾ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿١٣٥﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو البينة والتذكير لأنها في معنى

البرهان، أو المراد بها القرآن. ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا. ﴿وَنُخْزَى﴾ بدخول النار يوم القيامة، وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما.

﴿قُلْ كُلُّ﴾ أي كل واحد منا ومنكم. ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم. ﴿فَتَرْتَضُوا﴾ وقرئ «فتمتعوا». ﴿فَسْتَغْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السُّوْيِ﴾ المستقيم، وقرئ «السواء» أي الوسط الجيد و«السوأي» و«السوء» أي الشر، و«السوي» هو تصغيره. ﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾ من الضلالة و«من» في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء، ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبي ﷺ.

وعنه ﷺ «من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين».

## سورة الأنبياء (٢١)

مكية وأبها مائة واثنى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَذِّلُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَزُودُونَ بَعِيداً وَفَرَّاهُ قَرِيباً﴾ وقوله ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أو لأن كل ما هو آت قريب وإنما البعيد ما انقضى ومضى، واللام صلة لـ ﴿اَقْتَرَبَ﴾ أو تأكيد للإضافة وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم، وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي في غفلة عن الحساب. ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التفكير فيه وهما خبران للضمير، ويجوز أن يكون الظرف حالاً من المستكن في ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ﴾ ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة. ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ صفة لـ ﴿ذِكْرٍ﴾ أو صلة لـ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾. ﴿تُخَذِّلُ﴾ تنزيهه ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا، وقرئ بالرفع حملاً على المحل. ﴿إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكير في العواقب ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ حال من الواو وكذلك:

﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكير فيه، ويجوز أن يكون من واو ﴿يلعبون﴾ وقرئت بالرفع على أنها خبر آخر للضمير. ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ بالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو ﴿وَأَسْرُوا﴾ للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به، أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصوك موضعه تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم أو منصوب على الذم. ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ بأمره في موضع النصب بدلاً من ﴿النجوى﴾، أو مفعولاً لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشراً على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره، وإنما أسروا به تشاوراً في استنباط ما يهدم أمره ويظهر فسادهم للناس عامة.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلِيَّ بَلْ أَفْتَرْتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنَسْ يَتَابِعْ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ جهراً كان أو سراً فضلاً عما أسروا به فهو أكد من قوله ﴿قل﴾ أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض. ولذلك اختير ها هنا وليطابق قوله ﴿وأسروا النجوى﴾ في المبالغة.. وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿قال﴾ بالإخبار عن الرسول ﷺ. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ إضراب لهم عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام افتراه، ثم إلى أنه قول شاعر والظاهر أن ﴿بل﴾ الأولى لتمام حكاية والإبتداء بأخرى أو للإضراب عن تحاورهم في شأن الرسول ﷺ وما ظهر عليه من الآيات إلى تقاولهم في أمر القرآن، والثانية والثالثة لإضرابهم عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه إلى كونه مفتریات اختلقها من تلقاء نفسه، ثم إلى أنه كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها، ويجوز أن يكون الكل من الله تنزيلاً لأقوالهم في درج الفساد لأن كونه شعراً أبعد من كونه مفترى لأنه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء، وهو من كونه أحلاماً لأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الأحلام، ولأنهم جربوا رسول الله ﷺ نيفاً وأربعين سنة وما سمعوا منه كذباً قط، وهو أبعد من كونه سحراً لأنه يجانسه من حيث إنهما من الخوارق. ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي كما أرسل به الأولون مثل اليد البيضاء والعصا وإبراء الأكهم وإحياء الموتى، وصحة التشبيه من حيث إن الإرسال يتضمن الإتيان بالآية.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ من أهل قرية. ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم. ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ لو جنتهم بها وهم أعتى منهم، وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للإبقاء عليهم إذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ جواب لقولهم ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ فأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والإحالة عليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام ويشقون بقولهم، أو لأن إخبار الجمل الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفاراً. وقرأ حفص ﴿نوحى﴾ بالنون.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ نفى لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقاً لأنهم كانوا أبشاراً مثلهم. وقيل جواب لقولهم ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ ﴿وما كانوا خالدين﴾ تأكيد وتقرير له فإن التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي إلى الفناء وتوحيد الجسد لا إرادة الجنس، أو لأنه مصدر في الأصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء، ومنه الجساد للزعران. وقيل جسم ذو تركيب لأن أصله لجمع الشيء واشتداده.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ أي في الوعد. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ يعني المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة

كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته، ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال. ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُشْرِكِينَ﴾ في الكفر والمعاصي.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش ﴿كِتَابًا﴾ يعني القرآن. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صيتكم كقوله ﴿وَإِنَّ لَكَ لِقَوْمَكَ﴾ أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ واردة عن غضب عظيم لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم. ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ صفة لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه. ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ بعد إهلاك أهلها. ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ مكانهم.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس، والضمير للأهل المحذوف. ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم، أو مشبهين بهم من فرط إسرعهم.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال، والقاتل ملك أو من ثم من المؤمنين. ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من التمتع والتلذذ والإتراف إبطار النعمة. ﴿وَمَسَاكِينِكُمْ﴾ التي كانت لكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ غدا عن أعمالكم أو تعذبون فإن السؤال من مقدمات العذاب، أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل.

﴿قَالُوا يَا بَوَلَنَّا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلِيفِينَ﴾ ﴿١٥﴾.

﴿قَالُوا يَا بَوَلَنَّا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم. وقيل إن أهل حضور من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ فما زالوا يرددون ذلك، وإنما سماه دعوى لأن المولود كأنه يدعو الويل ويقول: يا ويل تعال فهذا أوانك، وكل من ﴿تِلْكَ﴾ و ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يحتمل الاسمية والخبرية. ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ مثل الحصيد وهو البت المحصود ولذلك لم يجمع. ﴿خِلِيفِينَ﴾ ميتين من خمدت النار وهو مع ﴿حَصِيدًا﴾ منزلة المفعول الثاني كقولك: جعلته جلواً حامضاً إذ المعنى: وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٧﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبباً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال ولا يفتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يتلهى به ويلعب. ﴿لَاتَّخَذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من جهة قدرتنا، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزيينها وتسوية الفرش وتزيينها، وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى ﴿إِنْ كُنَّا

فَاعِلَيْنِ ﴿١٧﴾ ذلك ويدل على جواب الجواب المتقدم. وقيل ﴿إِنْ﴾ نافية والجملة كالنتيجة للشرطية.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ ﴿١٨﴾.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ إضراب عن اتخاذ الله وتنزيهه لذاته عن اللعب أي بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداوه الله. ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيمحقه، وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي إلى زهوق الروح تصويراً لإبطاله به ومبالغة فيه، وقرئ «فيدمغه» بالنصب كقوله:

سَأَتْرُكَ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَالْحَقُّ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على «الحق». ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز. ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ مما تصفونه به مما لا يجوز عليه، وهو في موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك، وهو معطوف على «من في السموات» وإفراده للتعظيم أو لأنه أعم منه من وجه، أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ في السماء والأرض أو مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ لا يتعظمون عنها. ﴿وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾ ولا يعيون منها، وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيهاً على أن عبادتهم بقلوبها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ينزهونه ويعظمونه دائماً. ﴿لَا يَفْترُونَ﴾ حال من الواو في «يسبحون» وهو استئناف أو حال من ضمير قبله.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا﴾ بل اتخذوا والهمزة لإنكار اتخاذهم: ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء، وفائدتها التحقير دون التخصيص. ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الموتى وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزم ادعائهم لها الإلهية، فإن من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم، وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الإنشار بهم.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ غير الله، وصف بـ ﴿إِلَّا﴾ لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه، والمراد ملازمته لكونها مطلقاً أو معه حملاً لها على غير كما استثنى بغير حملاً عليها، ولا يجوز الرفع على البذل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب. ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع، فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت فيه تعاوتت عنه. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ المحيط بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد.

﴿لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لعظمته وقوة سلطانه وتفرد بالالوهية والسلطنة الذاتية. ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لأنهم

مملوكون مستعبدون والضمير للـ ﴿آلهة﴾ أو للعباد.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ مِثْلَهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ كرهه استعظماً لكفرهم واستفظاعاً لأمرهم وتبكيئاً وإظهاراً لجهلهم، أو ضمناً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة، لما وجدوا فيهم من خواص الألوهية، أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعه للأمر، ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلاً وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلاً. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك إما من العقل أو من النقل، فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلاً ونقلاً. ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك، والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل و ﴿من معي﴾ أمته و ﴿من قبلي﴾ الأمم المتقدمة وإضافة الـ ﴿ذِكْرٌ﴾ إليهم لأنه عظمتهم، وقرئ بالتنوين والإعمال وبه وبـ ﴿من﴾ الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدهما. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ ولا يميزون بينه وبين الباطل، وقرئ «الحق» بالرفع على أنه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب. ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ تعميم بعد تخصيص، فإن ذكر من قبلي من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة، وقرأ حفص وحزمة والكسائي ﴿نوحى إليه﴾ بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيه له عن ذلك. ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون وليسوا بالأولاد. ﴿مُكْرَمُونَ﴾ مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم، وقرئ «بالتشديد».

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون شيئاً حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين، وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليه وإليه، وجعل القول محله وأداته تنبيهاً على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله، وأنيبت اللام على الإضافة اختصاراً وتجاوياً عن تكرير الضمير، وقرئ «لَا يَسْبِقُونَهُ» بالضم من سابقته فسبته أسبقه. ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ لا يعملون قط ما لم يأمرهم به.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَنُكْرِهَنَّهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لا تخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا، وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فإنهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ أن يشفع له مهابة منه. ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ عظمتهم ومهابته. ﴿مُشْفِقُونَ﴾ مرتعدون، وأصل الخشية خوف مع تعظيم

ولذلك خص بها العلماء. والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإن عدي بعلی فبالعكس.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة أو من الخلائق. ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يريد به نفي البتة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ من ظلم بالإشراك وادعاء الربوبية.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠).

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أو لم يعلموا، وقرأ ابن كثير بغير واو. ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ذات رتق أو مرتوقتين، وهو الضم والالتحام أي كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة. ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ بالتنوين والتميز، أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً، وكانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم. وقيل ﴿كانتا﴾ بحيث لا فرجة بينهما ففرج. وقيل ﴿كانتا رَتْقًا﴾ لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات، فيكون المراد بـ ﴿السموات﴾ سماء الدنيا وجمعها باعتبار الأفاق أو ﴿السموات﴾ بأسرارها على أن لها مدخلاً ما في الأمطار، والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظراً فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط، أو استفساراً من العلماء ومطالعة للكتب، وإنما قال ﴿كانتا﴾ ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض. وقرئ «رتقاً» بالفتح على تقدير شيئاً رَتْقًا أي مرتوقاً كالرفض بمعنى المرفوض. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى ﴿الله خلق كل دابة من ماء﴾ وذلك لأنه من أعظم مواده أو لقرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه، أو صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيا دونه. وقرئ «حياً» على أنه صفة ﴿كل﴾ أو مفعول ثان، والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان. ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع ظهور الآيات.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٢٢).

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ ثابتات من رسا الشيء إذا ثبت. ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ كراهة أن تميل بهم وتضطرب، وقيل لأن لا تميد فحذف لا لأمن الإلباس. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ في الأرض أو الرواسي. ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ مسالك واسعة وإنما قدم فجاجاً وهو وصف له ليصير حالاً فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك، أو ليدل منها ﴿سبلاً﴾ فيدل ضمناً على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالحهم.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع بقدرة أو الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيته، أو استراق السمع بالشهب. ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة. ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غير متفكرين.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٢٣).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بيان لبعض تلك الآيات. ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ أي كل واحد منهما، والتنوين بدل من المضاف إليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم: كساهم الأمير حلة. ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسرعون على سطح الفلك إسراع السابح على سطح الماء، وهو خبر ﴿كُلِّ﴾ والجملة حال من ﴿الشمس

والقمر»، وجاز إنفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما، وإنما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لأن السباحة فعلهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَهْمٍ لِّلْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَوْكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥).

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَهْمٍ لِّلْخَالِدُونَ﴾ نزلت حين قالوا تترى به ريب المنون وفي معناه قوله:

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ إِنَّا أَفِيْقُوا سَيَلْقَى الشَّامِثُونَ كَمَا لَقِينَا

والقاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لإنكاره بعد ما تقرر ذلك.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها، وهو برهان على ما أنكروه. ﴿وَبَلَّوْكُمْ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر. ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ بالبلايا والنعم. ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه. ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر، وفيه إيحاء بأن المقصود من هذه الحياة والابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق.

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِن يَتَّخِذُونَكَ ما يتخذونك. ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ إلا مهزوءاً به ويقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي بسوء، وإنما أطلقه لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء. ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾ بالترحم أو بإرشاد الخلق ببعث الرسل وإنزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن. ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ منكرون فهم أحق أن يهزا بهم، وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك: خلق زيد من الكرم، جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع وهو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل: إنه على القلب ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجال الوعيد. روي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب. ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالإتيان بها، والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٣٩) ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٤٠).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وقت وعد العذاب أو القيامة. ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعنون النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ محذوف الجواب و ﴿حِينَ﴾ مفعول ﴿يعلم﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم ﴿متى هذا الوعد﴾ وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصراً يمنعها لما استعجلوا، ويجوز أن يترك مفعول ﴿يعلم﴾ ويضمر لحين فعل بمعنى: لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون

بطلان ما هم عليه حين لا يكفون، وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك. ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ العدة أو النار أو الساعة. ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة مصدر أو حال. وقرئ بفتح الغين. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتغلبهم أو تحيرهم. وقرئ الفعلان بالياء والضمير لـ ﴿الوعد﴾ أو الـ ﴿حين﴾ وكذا في قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ لأن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة، ويجوز أن يكون لـ ﴿النار﴾ أو لـ ﴿بغته﴾. ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يمهلون وفيه تذكير بآمالهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١) قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢).

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلياً لرسول الله ﷺ. ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وعد له بأن ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني جزاءه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستهزئين. ﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ يحفظكم. ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من بأسه إن أراد بكم، وفي لفظ ﴿الرحمن﴾ تنبيه على أن لا كاليء غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلكته ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا يخطرone ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا كلوا منه عرفوا الكاليء. وصلحوا للسؤال عنه.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (٤٣) بَلْ مَثَلٌ هَؤُلَاءِ وَإِذَا هُمْ عَلَى طَالٍ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤).

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا، أو من عذاب يكون من عندنا والإضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب، فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لتقصيه أبعد. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره.

﴿بَلْ مَثَلٌ هَؤُلَاءِ وَإِذَا هُمْ عَلَى طَالٍ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج والتمتع بما قدر لهم من الأعمار، أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك، وهو أنه تعالى متعمهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أرض الكفرة. ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بتسليط المسلمين عليها، وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين. ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ رسول الله والمؤمنين.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥) وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦).

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ بما أوحى إلي. ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي ﷺ، وقرئ بالياء على أن فيه ضميره، وإنما سماهم ﴿الصم﴾ ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون. ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ منصوب بـ ﴿يسمع﴾ أو بـ ﴿الدعاء﴾ والتقيد به لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاهلهم.

﴿وَلَيْتَن مَسْتَهْمُ نَفْعَةً﴾ أدنى شيء، وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفعة من معنى القلة، فإن أصل النفع هبوب راتحة الشيء والبناء الدال على المرة. ﴿مِنْ عَذَابٍ رُبَّكَ﴾ من الذي يندرون به. ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧).

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ العدل توزن بها صحائف الأعمال. وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاء الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل، وإفراد ﴿القسط﴾ لأنه مصدر وصف به للمبالغة. ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ لجزاء يوم القيامة أو لأهله، أو فيه كقولك: جئت لخمسة خلون من الشهر. ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من حقها أو من الظلم. ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة، ورفع نافع ﴿مِثْقَالٍ﴾ على ﴿كَانَ﴾ التامة. ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها، وقرئ «أتينا» بمعنى جازينا بها من الإتياء فإنه قريب من أعطينا، أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأتينا من الثواب وجئنا، والضمير للمثقال وتأتيه لإضافته إلى ال «حبة». ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٤٩) وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٠).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الحق والباطل، ﴿وضياء﴾ يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، ﴿وذكراً﴾ يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع. وقيل ﴿الفرقان﴾ النصر، وقيل فلق البحر وقرئ «ضياء» بغير واو على أنه حال من ﴿الفرقان﴾.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ صفة ﴿للمتقين﴾ أو مدح لهم منصوب أو مرفوع. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول. ﴿وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض. ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن. ﴿مُبَارَكٌ﴾ كثير خيره. ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ على محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ استفهام توبيخ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد مثله وأن له شأنًا. وقرئ «رشد» وهو لغة. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام. وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال: ﴿إِنِّي وَجْهتُ﴾ ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ علمنا أنه أهل لما آتيناه، أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال وفيه إشارة إلى أن فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ متعلق بـ ﴿آتينا﴾ أو بـ ﴿رشد﴾ أو بمحذوف: أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَابِدُونَ﴾ تحقير لسانها وتوبيخ على إجلالها، فإن التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع، واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى. والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضي عبادتها وحملهم عليها.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْوَءَ أَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ منخرطين في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل، والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ كأنهم لاستبعادهم تضليله إياهم ظنوا أن ما قاله إنما قاله على وجه الملاعبة، فقالوا أبجد تقوله أم تلعب به.

﴿قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾ إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسماوات والأرض أو للتمثيل، وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم. ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ أي المذكور من التوحيد. ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه، فإن الشاهد من تحقق الشيء وحقيقته.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾.

﴿وَتَاللَّهِ﴾ وقرئ بالباء وهي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب. ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ لأجتهدن في كسرها، ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل. ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا﴾ عنها. ﴿مُدِيرِينَ﴾ إلى عيدكم ولعله قال ذلك سراً.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَذًا﴾ قطاعاً فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع. وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة، أو جمع جذيد كخفاف وخفيف. وقرئ بالفتح و «جذذاً» جمع جذيد و«جذذاً» جمع جذة. «إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ» للأصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه. ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لتفرد واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ فيحجهم، أو أنهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن كاسرها إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد فيبكتهم بذلك، أو إلى الله أي «يرجعون» إلى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾.

﴿قَالُوا﴾ حين رجعوا. ﴿مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بجراته على الآلهة الحقيقة بالإعظام، أو بإفراطه في حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع، أو صفة ل «فتى» مصححة لأن يتعلق به السمع وهو أبلغ في نسبة الذكر إليه. ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ خبر محذوف أي هو إبراهيم، ويجوز أن يرفع بالفعل لأن المراد به الاسم.

﴿قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتها له.

﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَكُونُوا كَالَّذِينَ يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ .

﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ حين أحضروه .

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ أسند الفعل إليه تجوزاً لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه، أو تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيك على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبه بخط رشيق: أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبه أنت، أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه، وقيل إنه في المعنى متعلق بقوله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ وما بينهما اعتراض أو إلى ضمير ﴿فتى﴾ أو ﴿إبراهيم﴾، وقوله ﴿كبيرهم هذا﴾ مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله. وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال للإبراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريف كذباً لما شابهت صورتها صورته.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ .

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ وراجعوا عقولهم. ﴿فَقَالُوا﴾ فقال بعضهم لبعض. ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بهذا السؤال أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم ﴿إنه لمن الظالمين﴾.

﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه. وقرئ «نَكِسُوا» بالتشديد و«نكسوا» أي نكسوا أنفسهم. ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على إرادة القول.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ .

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إنكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر فإنه ينافي الألوهية.

﴿أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ تضجر منه على إصرارهم بالباطل البين، و ﴿أف﴾ صوت المتضجر ومعناه قبحاً وثنأً واللام لبيان المتأفف له. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح صنيعكم.

﴿قَالُوا﴾ أخذاً في المضارة لما عجزوا عن المحاجة. ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فإن النار أهول ما يعاقب به. ﴿وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام لها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ إن كنتم ناصرين لها نصراً مؤزراً، والقاتل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون خسف به الأرض وقيل نمرود.

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) .

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ذات برد وسلام أي ابردي برداً غير ضار، وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة وإقامة «كوني» ذات برد مقام ابردي، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل نصب «سلاماً» بفعله أي وسلمنا سلاماً عليه. روي أنهم بنوا حظيرة بكوثر وجمعوا فيها ناراً عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولاً فرموا به فيها فقال له جبريل: هل لك حاجة، فقال: أما إليك فلا فقال: فسل ربك فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فجعل الله تعالى - ببركة قوله - الحظيرة

روضة ولم يحترق منه إلا وثاقه، فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال إني مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم عليه السلام. وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيباً ليس يبدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته. وقيل كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على إبراهيم.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠) وَفَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ

﴿٧١﴾

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ مكرأ في إضراره. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهاناً قاطعاً على أنهم على الباطل وإبراهيم على الحق وموجباً لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية. وقيل كثرة النعم والخصب الغالب. روي أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عطية فهي حال منهما أو ولد ولد، أو زيادة على ما سأل وهو إسحاق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة. ﴿وَكُلًّا﴾ يعني الأربعة. ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ بأن وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بهم. ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس إلى الحق. ﴿بِأَمْرِنَا﴾ لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم، وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم ﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ وكذلك قوله: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفصيل، وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الألفين لقيام المضاف إليه مقامها. ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ موحدين في العبادة ولذلك قدم الصلة.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوُوءٍ فَاسْقِينَ﴾ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة أو نبوة أو فصلاً بين الخصوم. ﴿وَعِلْمًا﴾ بما ينبغي علمه للأنبياء. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ قرية سدوم. ﴿الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ﴾ يعني اللواط وصفها بصفة أهلها أو أسندها إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه وبدل عليه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوُوءٍ فَاسْقِينَ﴾ فإنه كالتعليل له.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في أهل رحمتنا أو جنتنا. ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنی.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوُوءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ إذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل المذكورين. ﴿فَاسْتَجَبْنَا

لَهُ دَعَاَهُ. ﴿فَتَجْنَاهُ وَآفَلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ من الطوفان أو أذى قومه، والكرب الغم الشديد.  
 ﴿وَنَصْرَنَاهُ﴾ مطاوع انتصر أي جعلناه منتصراً. ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَآخَرْتَنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لاجتماع الأمرين تكذيب الحق والانهماك في الشر، ولعلهما لم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم الله تعالى.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨)  
 ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٧٩)

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ في الزرع، وقيل في كرم تدلت عناقيده. ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ رعته ليلاً. ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما عالمين.  
 ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ﴾ الضمير للحكومة أو للفتوى وقرئ «فأفهمناها». روي أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرقق بهما فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادان. ولعلهما قالوا اجتهداً والأول نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة في العبد المغصوب إذا أبق، وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط الدواب ليلاً وهكذا قضى النبي ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته فقال «على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل». وعند أبي حنيفة لا ضمان إلا أن يكون معها حافظ لقوله ﷺ «جرح العجماء جبار». ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه. وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله فهمناهما لإظهار ما تفضل عليه في صغره. ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يقصدن الله معه إما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له، أو بخلق الله تعالى فيها الكلام. وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير و «مع» متعلقة بـ «سخرنا» أو «يسبحن» عطف على «الجبال» أو مفعول معه. وقرئ بالرفع على الإبتداء أو العطف على الضمير على ضعف. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لأمثاله فليس يبدع منا وإن كان عجباً عندكم.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠)

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ عمل الدرع وهو في الأصل اللباس قال:

الْبِسَ كُلَّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيْمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

قيل كانت صفائح فحلقتها وسردها. ﴿لَكُمْ﴾ متعلق بعلم أو صفة لـ «لبوس» ﴿لِنُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ بدل منه بدل الاشتمال بإعادة الجار، والضمير لداود عليه السلام أو لـ «لبوس» وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو لـ «لبوس» على تأويل الدرع وفي قراءة أبي بكر ورويس بالنون لله عز وجل ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ (٨١) ﴿وَالشَّيَاطِينَ مَنْ يَفُوسُونَ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (٨٢)

﴿وَلَسَلَيْمَانَ﴾ وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الأول لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له، وفي الأول أمر. يظهر في الجبال والطيور مع داود وبالإضافة إليه. ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال تعالى: ﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ وكانت رخاء في نفسها طيبة. وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته. ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى أو حال من ضميرها. ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ إلى الشام رواحاً بعدما سارت به منه بكرة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ فنجزه على ما تقتضيه الحكمة.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَقُوضُونَ لَهُ﴾ في البحار ويخرجون نفائسها، ﴿ومن﴾ عطف على ﴿الريح﴾ أو مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة. ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا تُوْنُ ذَلِكَ﴾ ويتجاوزون ذلك إلى أعمال آخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغربية كقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ﴾. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفَى مَسْنَى الضُّرِّ وَانْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفَى مَسْنَى الضُّرِّ﴾ بآني مسني الضر، وقرئ بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه و ﴿الضر﴾ بالفتح شائع في كل ضرر، وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال. ﴿وانت أرحم الراحمين﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السؤال، وكان رومياً من ولد عيص بن إسحاق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله، والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات. روي أن امرأته ماخير بنت ميثا بن يوسف، أو رحمة بنت إفرائيم بن يوسف قالت له يوماً: لو دعوت الله فقال: كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال: أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلاني مدة رخائي.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ بالشفاء من مرضه. ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بأن ولد له ضعف ما كان أو أحبي ولده وولد له منهم نوافل. ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ﴾ رحمة على أيوب وتذكرا لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابروا كما أثيب، أو لرحمتنا للعابدين فإننا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ يعني إلياس، وقيل يوشع، وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل أمته أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم، والكفل يعني النصيب والكفالة والضعف. ﴿كُلٌّ﴾ كل هؤلاء. ﴿مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على مشاق التكليف وشدائد التوب.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ يعني النبوة أو نعمة الآخرة. ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَيَّنَّاهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَكَذَلِكَ نُشَيِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾.

﴿وَذَا الثُّونِ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا﴾ لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيتهم وتمادي إصرارهم مهاجراً عنهم، قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك، وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ «مغضباً». ﴿فَقَظُنُّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لن نصيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر، ويعضده أنه قرئ مثقلاً أو لن نعمل فيه قدرتنا؛ وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا، أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظناً للمبالغة. وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلاً. ﴿فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل. ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ بأنه لا إله إلا أنت. ﴿سُبْحَانَكَ﴾ من أن يعجزك شيء. ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة. وعن النبي عليه الصلاة والسلام «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا أستجيب له».

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه. وقيل ثلاثة أيام والغم غم الانتقام وقيل غم الخطيئة. ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص وفي الإمام: «نجي» ولذلك أخفى الجماعة الثون الثانية فإنها تخفى مع حروف الغم، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله «تنجي» فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في «تظاهرون»، وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثليين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في تنجافى، لخوف اللبس. وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفاً ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمُ وَوَهَبْنَا لَهُمُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُمْ زَوْجَهُ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ وحيداً بلا ولد يرثني. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ﴾ أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لـ ﴿زكريا﴾ بتحسين خلقها وكانت حردة. ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون إلى أبواب الخير. ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ذوي رغب ورهب، أو راغبين في الثواب راجين للإجابة، أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية. ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ مخبتين أو دائئين الوجل، والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال.

﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَفَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ ﴿٩٢﴾.

﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا﴾ من الحلال والحرام يعني مريم. ﴿فَفَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي في عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أي أحييناه في جوفها، وقيل فعلنا النفخ فيها. ﴿مِنْ زَوْجِنَا﴾ من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعني جبريل عليه الصلاة والسلام. ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله: ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى.

﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الانبعاث. وقرئ «أُمَّتُكُمْ» بالنصب على البدل و «أُمَّة» بالرفع على الخبر وقرئنا بالرفع عن أنهما خبران. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا إله لكم غيري. ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ لا غير.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجُوعٌ ﴿٩٢﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَأَنَا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ ﴿٩٣﴾.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ صرفه إلى الغيبة التفاتاً لينبغي على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعاً موزعة بقبيل فعلهم إلى غيرهم. ﴿كُلُّ﴾ من الفرق المتحزبة. ﴿إِلَهِنَا رَجُوعٌ﴾ فنجازيهم. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ بالله ورسوله. ﴿فَلَا تُفَرِّقُوا﴾ فلا تضيع. ﴿لِسَعْيِهِ﴾ استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه ونفي الجنس للمبالغة. ﴿وَأَنَا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٩٥﴾.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ﴾ وممتنع على أهلها غير متصور منهم. وقرأ أبو بكر وحزمة والكسائي «وَجَزْمٌ» بكسر الحاء وإسكان الراء و قرئ «حرم». ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ حكمنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة. ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ رجوعهم إلى التوبة أو الحياة ولا صلة، أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره: توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم، أو لأنهم «لا يرجعون» ولا ينيبون «وحرام» خبر محذوف أي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر. وقيل «حرام» عزم وموجب عليهم «أنهم لا يرجعون».

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّيْنَا قَدَّ كُنَّا فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ متعلق بـ «حرام» أو بمحذوف دل الكلام عليه، أو بـ «لا يرجعون» أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة وظهور أماراتها: وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكي الكلام بعدها، والمحكي هي الجملة الشرطية. وقرأ ابن عامر ويعقوب «فُتِحَتْ» بالتشديد. ﴿وَهُمْ﴾ يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم. ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ نزل من الأرض، وقرئ «جدت» وهو القبر. ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين.

﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ﴾ وهو القيامة. ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب الشرط و «إذا» للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية بكوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فإذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار. ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾ مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول. ﴿قَدْ كُنَّا فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ لم نعلم أنه حق. ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا بالإخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر.

﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ ﴿٩٨﴾.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يحتمل الأوثان وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبيري: قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة، فقال ﷺ: «بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الآية. وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ﴿مَا﴾ مؤولاً بـ ﴿مَنْ﴾ أو بما يعمه، ويدل عليه ما روي أن ابن الزبيري قال: هذا شيء لألهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال ﷺ: «بل لكل من عبد من دون الله». ويكون قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ بياناً للتجاوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب. ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ما يرمى به إليها وتهيج به من حصبه بحصبه إذا رماه بالحصباء وقرىء بسكون الصاد وصفاً بالنصدر. ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ استئناف أو بدل من ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها.

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾.

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا﴾ لأن المؤاخذ بالعذاب لا يكون إلهاً. ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا خلاص لهم عنها.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أنين وتنفس شديد وهو من إضافة فعل البعض إلى الكل للتغلب إن أريد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ من الهول وشدة العذاب. وقيل ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يسرهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أي الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشري بالجنة. ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين. روي أن علياً كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح، ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول:

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ وهو يدل من ﴿مُبْعَدُونَ﴾ أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إبعادهم عنها، والحسيس صوت يحس به. ﴿وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ دائمون في غاية التمتع وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به.

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت. ﴿وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾ تستقبلهم مهتئين لهم. ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول. ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ مقدر باذكر أو ظرف ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ﴾، أو ﴿تَلْقَاهُمْ﴾ أو حال مقدرة من العائد المحذوف من ﴿تُوعَدُونَ﴾، والمراد بالطي ضد النشر أو المحو من قولك اطو عني هذا الحديث، وذلك لأنها

نشرت مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوزت عنهم، وقرىء بالياء والتاء والبناء للمفعول. ﴿كَطَي السَّجِّلَ لِلْكِتَابِ﴾ طياً كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه. وقيل «السجل» ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه أو كاتب كان لرسول الله ﷺ. وقرىء «السجل» كالدلو و«السجل» كالعتل وهما لغتان فيه. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجاداً عن العدم، أو جمعاً بين الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية. وتناول القدرة القديمة لهما على السواء، و «ما» كافة أو مصدرية وأول مفعول لـ ﴿بَدَأْنَا﴾ أو لفعل يفسره «نُعِيدُهُ» أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره «نُعِيدُهُ» أي نعيد مثل الذي بدأنا وأول خلق ظرف لـ ﴿بَدَأْنَا﴾ أو حال من ضمير الموصول المحذوف. ﴿وَعَدْنَا﴾ مقدر بفعله تأكيداً لـ «نُعِيدُهُ» أو مبتصب به لأنه عدة بالإعادة. ﴿عَلَيْنَا﴾ أي علينا إنجازه. ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك لا محالة.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦).

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ في كتاب داود عليه السلام. ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي التوراة، وقيل المراد بـ «الزبور» جنس الكتب المنزل وبـ «الذكر» اللوح المحفوظ. ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة أو الأرض المقدسة. ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، أو أمة محمد ﷺ.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ أي فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لَبَلَاءً﴾ لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية. ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ همهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم، وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسح وعذاب الاستئصال.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد، وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة، وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنِ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمِ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ (١٠٩) إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُونَ مَا تَكْسِبُونَ (١١٠) وَإِنِ أَدْرِي لَعَلَّكُمْ فَتَنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾ عن التوحيد. ﴿فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ﴾ أي أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ مستويين في الإعلام به أو مستويين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به، أو في المعادة أو إيداناً على سواء. وقيل أعلمتكم أنني على «سواء» أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير. ﴿وَإِنِ أَدْرِي﴾ وما أدري. ﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة.

﴿إِنَّهُ يَغْلِبُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام. ﴿وَيَغْلِبُ مَا تُكْتُمُونَ﴾ من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه.

﴿وَأَنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾ وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون. ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته.

﴿قُلْ رَبِّ أَسْكُرْ بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

﴿قُلْ رَبِّ أَسْكُرْ بِالْحَقِّ﴾ اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم، وقرأ حفص ﴿قال﴾ على حكاية قول رسول الله ﷺ. وقرأ «رَبِّ» بالضم و «رَبِّي أَحْكَمُ» على بناء التفضيل و «أَحْكَمُ» من الأحكام. ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ﴾ كثير الرحمة على خلقه. ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة. ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام تخفق أياماً ثم تسكن، وأن الموعد به لو كان حقاً لنزل بهم فأجاب الله تعالى دعوة رسوله ﷺ فخبب أمانهم ونصر رسوله ﷺ عليهم، وقرأ بالياء. وعن النبي ﷺ «من قرأ اقترب حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن» والله تعالى أعلم.

## سورة الحج (٢٢)

مكية إلا ست آيات من ﴿هَذَا﴾ خصمان ﴿إلى﴾ صراط الحميد  
وأيها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي، أو تحريك الأشياء فيها فأضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير في أو إضافة المصدر إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به. وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراتها. ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ هائل علل أمرهم بالتقوى بفضاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى.

﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ تصوير لهولها والضمير للـ ﴿زَلْزَلَةَ﴾، و ﴿يوم﴾ منصوب بـ ﴿تذهل﴾، وقرئ «تذهل» و «تذهل» مجهولاً ومعروفاً أي تذهلها الزلزلة، والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة، والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقت الرضيع ثديها نزعت من فيه وذملت عنه، و «ما» موصولة أو مصدرية. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ جنبها. ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ كأنهم سكارى. ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ على الحقيقة. ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأرهقهم هول به حيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم، وقرئ «ترى» من أريتك قائماً أو رؤيت قائماً بنصب الناس ورفع على أنه نائب مناب الفاعل، وتأنيسه على تأويل الجماعة وإفراده بعد جمعه لأن الزلزلة يراها الجميع، وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره وقرأ حمزة والكسائي «سكراً» كمطشى إجراء للسكر مجرى العلل.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِ فَآثَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت في النضرين الحرث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا بعث بعد الموت هي تعمه وأضرابه. ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في المجادلة أو في عامة أحواله. ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ متجرد للفساد وأصله العربي.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ على الشيطان. ﴿أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِ﴾ تبعه والضمير للشأن. ﴿فَآثَهُ يُضِلُّهُ﴾ خبر لمن أراد له، والمعنى كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جبل عليه، وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنه يضلله لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام. وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب أو إضمار القول أو

تضمن الكتب معناه. ﴿وَنَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ بالحمل على ما يؤدي إليه.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ لِتَبَيَّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ من إمكانه وكونه مقدوراً، وقرئ «من البعث» بالتحريك كالجلب. ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي فانظروا في بدء خلقكم فإنه يزيح ريحكم فإننا خلقناكم. ﴿مِّن تُّرَابٍ﴾ بخلق آدم منه، أو الأغذية التي يتكون منها المني. ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني من النطف وهو الصب. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قطعة من الدم جامدة. ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾ قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمضغ. ﴿مُخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ﴾ مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة أو مصورة وغير مصورة. ﴿لِتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى، وأن من قدر على تغييره وتصويره أولاً قدر على ذلك ثانياً، وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر. ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ أن نقره. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت الوضع وأذناه بعد ستة أشهر وأقصاه أربع سنين، وقرئ «ونقر» بالنصب وكذا قوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ عطفاً على «تبيين» كأن خلقهم مدرجاً لغرضين تبين القدرة وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف، وقرئ بالياء رفعاً ونصباً ويقر بالياء «ونقر» من قررت الماء إذا صببته، و «طفلاً» حال أجريت على تأويل كل واحد أو للدلالة على الجنس أو لأنه في الأصل مصدر. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالأنعم جمع نعمة كأنها شدة في الأمور. ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله. وقرئ «يتوفى» أو يتوفاه الله تعالى. ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو الهرم والخرف، وقرئ بسكون الميم. ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه، والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة، فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره. ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رماداً. ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ تحركت بالنبات. ﴿وَرَبَتْ﴾ وانتفخت، وقرئ «وربات» أي ارتفعت. ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل صنف «بهِيج» حسن رائق، وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة.

﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة، وإحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره: ﴿يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الأشياء. ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ وأنه يقدر على إحيائها وإلا لما أحيى النطفة والأرض الميتة. ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن قدرته لذاته الذي نسبته إلى الكل على سواء، فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإن التغير من مقدمات الانصرام وطلأته. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَنْبَعُثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ٨ ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ لِضَلَالٍ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَتُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ٩ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ١٠.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ على أنه لا سند له من استدلال أو وحى، أو الأول في المقلدين وهذا في المقلدين، والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الـ ﴿هدى﴾ والـ ﴿كتاب﴾ عليه.

﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ متكبراً وثني العطف كناية عن التكبر كليّ الجيد، أو معرضاً عن الحق استخفافاً به. وقرىء بفتح العين أي مانع تعطفه. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ علة للجدال، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن إعراضه عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال، وأنه من حيث مؤداه كالغرض له. ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو ما أصابه يوم بدر. ﴿وَتُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ المحروق وهو النار.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ على الالتفات، أو إرادة القول أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وإنما هو مجاز لهم على أعمالهم المبالغة لكثرة العبيد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ١١.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش، فإن أحسن بظفر قر وإلا فر. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ روي أنها نزلت في أعراب قدموا المدينة، فكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهراً سرياً وولدت امرأته غلاماً سوياً وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شراً وانقلب. وعن أبي سعيد أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشام بالإسلام، فأتى النبي ﷺ فقال: أقلني فقال «إن الإسلام لا يقال» فنزلت. ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد، وقرىء «خاسراً» بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيهاً على خسارته أو على أنه خبر محذوف. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ إذ لا خسران مثله.

﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبُعِيدُ﴾ ١٢ ﴿يَدْعُوا لَمَنَ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ ١٣.

﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ﴾ يعبد جماداً لا يضر بنفسه ولا ينفع. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبُعِيدُ﴾ عن المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالاً.

﴿يَدْعُوا لَمَنَ ضَرُّهُ﴾ بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى، واللام معلقة لـ ﴿يدعو﴾ من حيث إنه بمعنى

يزعم والزعيم قول مع اعتقاد، أو داخله على الجملة الواقعة مقولاً إجراء له مجرى يقول: أي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به، أو مستأنفة على أن يدعو تكرير للأول ومن مبتدأ خبره ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ الناصر. ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ صاحب.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤) ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من إثابة الموحّد الصالح وعقاب المشرك الطالح لا دافع له ولا مانع.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ كلام فيه اختصار والمعنى: أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه. وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن. ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلىء غيظاً، أو المبالغ جزعاً حتى يمد حبلاً إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره بخبس مجاريه. وقيل فليمدد حبلاً إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه. وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر ﴿لِيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام. ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ فليتصور في نفسه. ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ فعله ذلك وسماه على الأول كيداً لأنه انتهى ما يقدر عليه. ﴿مَا يَغِيظُ﴾ غيظه أو الذي يغظه من نصر الله. وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالنَصَارَى وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا لَكُلٌّ فِيهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧).

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال. ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أنزلنا القرآن كله. ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾ ولأن الله يهدي به أو يثبت على الهدى. ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ هدايته أو إنياته أنزله كذلك ميئاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالنَصَارَى وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا لَكُلٌّ فِيهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بالحكومة بينهم وإظهار المحق منهم على المبطل، أو الجزاء فيجازي كلاً ما يليق به ويدخله المحل المعد له، وإنما أدخلت إن على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ عالم به مراقب لأحواله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يتسخر لقدرته ولا يتأنى عن تديبره، أو يدل بذلته على عظمة مدبره، ومن يجوز أن يعم أولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ أفراداً لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها. وقرئ «والدواب» بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين الساكنين. ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ عطف عليها إن جوز إعمال اللفظ الواحد في



منه إلا أن يراد المرصعة به، ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محلها أو إضمار الناصب مثل ويؤتون، وروى حفص بهمزتين وترك أبو بكر والسوسي عن أبي عمرو الهمزة الأولى، وقرأ «لؤلؤاً» بقلب الثانية وواو «لولياً» بقلبهما وواوين ثم قلب الثانية ياء و «ليلياً» بقلبهما ياءين و «لؤل» كأدل. «وَلْيَأْسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ» غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة، أو للمحافظة على هيئة الفواصل.

﴿وَهَذُوا إِلَيَّ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو قولهم «الحمد لله الذي صدقنا وعده» أو كلمة التوحيد. ﴿وَهَذُوا إِلَيَّ صِرَاطَ الْحَمِيدِ﴾ المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة، أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلَمِ نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا يريد به حالاً ولا استقبالاً وإنما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم: فلان يعطي ويمنع، ولذلك حسن عطفه على الماضي. وقيل هو حال من فاعل «كفروا» وخبر «إن» محذوف دل عليه آخر الآية أي معذبون. «وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» عطف على اسم الله وأوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله: «الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ» أي المقيم والطارىء، على عدم جواز بيع دورها وإجارتها، وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى: «الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» وشراء عمر رضي الله عنه دار السجن فيها من غير نكير، و «سواء» خبر مقدم والجملة مفعول ثان ل «جعلناه» إن جعل «لِلنَّاسِ» حالاً من الهاء وإلا فحال من المستكن فيه، ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال و «العاكف» مرتفع به، وقرأ «الْعَاكِفُ» بالجر على أنه بدل من الناس. «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ» مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول، وقرأ بالفتح من الورود. «بِالْحَكَمِ» عدول عن القصد «بِظُلْمٍ» بغير حق وهما حالان مترادفان، أو الثاني بدل من الأول بإعادة الجار أو صلة له: أي ملحداً بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام «نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» جواب ل «من».

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي واذكر إذ عيناه وجعلناه له مباءة. وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أي وإذا أنزلناه فيه. قيل رفع البيت إلى السماء وانطمس أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها فكنت ما حوله فبناه على أسه القديم. «أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» «أن» مفسرة ل «بَوَّأْنَا» من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا لأن التبوئة من أجل العبادة، أو مصدرية موصولة بالنهي أي: فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه، ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت، وقرأ «يشرك» بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام «بَيْتِي» بفتح الياء.

﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٧)  
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ (٢٨).

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ ناد فيهم وقرئ «وَأَذِّنْ». ﴿بِالْحَجِّ﴾ بدعوة الحج والأمر به. روي أنه عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس فقال: يا أيها الناس حجوا بيت ربكم، فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحج. وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام، وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله و«رجالي» كعجالي. ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله. ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ ﴿ضَامِرٍ﴾ محمولة على معناه، وقرئ «يأتون» صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير لـ ﴿الناس﴾. ﴿مِنْ كُلِّ فِجٍ﴾ طريق. ﴿عَمِيقٍ﴾ بعيد، وقرئ «عميق» يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى.

﴿لِيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا. ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دينية ودنيوية، وتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها. وقيل كنى بالذكر عن النحر لأن ذبح المسلمين لا يتفك عنه تنبيهاً على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله تعالى. ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عشر ذي الحجة، وقيل أيام النحر. ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريصاً على التقرب وتنبيهاً على مقتضى الذكر. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من لحومها أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه، أو ندباً إلى مواساة الفقراء ومساواتهم، وهذا في المتطوع به دون الواجب. ﴿وَأَطِعمُوا الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة. ﴿الْفَقِيرَ﴾ المحتاج، والأمر فيه للوجوب وقد قيل به في الأول.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ﴿٣٠﴾.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال. ﴿وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ﴾ ما يندرون من البر في حجهم، وقيل مواجب الحج. وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء. ﴿وَلِيَطُوفُوا﴾ طواف الركن الذي به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث، وقيل طواف الوداع. وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما. ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ القديم لأنه أول بيت وضع للناس، أو المعق من تسلط الجبابرة فكم من جبار رسا إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى، وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه.

﴿ذَلِكَ﴾ خبر محذوف أي الأمر ذلك وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين. ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه، أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكليف. وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ فالتعظيم «خير له». ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ثواباً. ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ إلا المتلو عليكم تحريمه، وهو ما حرم منها لعارض: كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة. ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس، وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها.

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور، كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والإفتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك. وقيل شهادة الزور لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال «عدلت شهادة الزور الإشراف بالله تعالى ثلاثاً وتلا هذه الآية». و «الزور» من الزور وهو الإنحراف كما أن الإفك من الأفك وهو الصرف، فإن

الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبُكَ اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ مخلصين له. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وهما حالان من الواو. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ فإن الأهواء الرديئة توزع أفكاره، وقرأ نافع وحده ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بفتح الحاء وتشديد الطاء. ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصِيبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾، أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له أصلاً، ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد، ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى: ومن يشرك بالله فقد هلك نفسه هلاكاً يشبه أحد الهالكين.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبُكَ اللَّهُ﴾ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه، أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده، وتعظيمها أن تختارها حسناً سماناً غالبية الأثمان. روي أنه ﷺ أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب، وأن عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار. ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الأمرة بهما.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر، ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يليه من الحرم، و ﴿ثُمَّ﴾ تحتل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة، أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها، وهو على الأولين إما متصل بحديث ﴿الأنعام﴾ والضمير فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت، ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع إليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة، وعلى الثاني ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّذِكْرِهِمْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ وَاللَّهُ يُحَدِّثُونَ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ولكل أهل دين. ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ متعبداً أو قرباناً يتقربون به إلى الله، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك. ﴿لِّذِكْرِهِمْ أَسْمَ اللَّهِ﴾ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه، علل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود من المناسك تذكّر المعبود. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعماً. ﴿فَإِنَّهُمْ وَاللَّهُ يُحَدِّثُونَ﴾ أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك. ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها. ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ من الكلف والمصائب. ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها، وقرئ «والمقيمين الصلاة» على الأصل. ﴿وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» في وجوه الخير.

﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣٦).

﴿وَالْبَدَنَ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة، وأصله الضم وقد قرئ به وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة، ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في إجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة» تناول اسم البدنة لها شرعاً، بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره. ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ﴾ ومن رفعه جعله مبتدأ. ﴿مِّنْ شَعَاتِرِ اللَّهِ﴾ من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ منافع دينية ودنيوية. ﴿فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك. ﴿صَوَافً﴾ قائمات قد صفقن أيديهن وأرجلهن، وقرئ «صوافن» من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث، وقرئ «صوافنا» بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف و «صوافي» أي خوالص لوجة الله، و «صوافي» بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقاً كقولهم: أعط القوس باريها. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ﴾ الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده قراءة «القنع»، أو السائل من قنعت إليه قنوعاً إذا خضعت له في السؤال. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ والمعترض بالسؤال، وقرئ «والمعتري» يقال عره وعراه واعتراه واعتراه. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما وصفنا من نحرها قياماً. ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ مع عظيمها وقوتها حتى تأخذوها منقاداً فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لبانها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِ اللَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧).

﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ﴾ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول. ﴿لُحُومُهَا﴾ المتصدق بها. ﴿وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ المهرقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء. ﴿وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ ولكن يضيئه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمره تعالى والتقرب إليه والإخلاص له، وقيل كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قرية إلى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرهه تذكيراً للنعمة وتعليلاً له بقوله: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحده بالكبرياء. وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح. ﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها، و «ما» تحتمل المصدرية والخبرية و «على» متعلقة ب«تكبروا» لتضمنه معنى الشكر. ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غائلة المشركين، وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون «يدافع» أي يبالغ في الدفع مبالغته من يغالب فيه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله. ﴿كُفُورٍ﴾ لنعمة كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩).

﴿أَذِّنْ﴾ رخص، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحزمة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله. ﴿لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ﴾ المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون. ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزلت. وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين آية. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني مكة. ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير موجب استحققه به. ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ على طريقة قول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَن سَيُوفَهُمْ يَهِنٌ فُلُوسٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقيل منقطع. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين. ﴿لَهُدِمَتْ﴾ لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل، وقرأ نافع ﴿دفاع﴾ وقرأ نافع وابن كثير ﴿لهدمت﴾ بالتخفيف. ﴿صَوَامِعُ﴾ صوامع الرهبانية. ﴿وَبِيْعٌ﴾ بيع النصارى. ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائس اليهود، سميت بها لأنها يصلى فيها، وقيل أصلها صلوتا بالعبرانية فحربت. ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ مساجد المسلمين. ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ صفة للأربع أو لمساجد خست بها تفضيلاً. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ من ينصر دينه، وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثتهم أرضهم وديارهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصرهم. ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يمانعه شيء.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وصف للذين أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء، وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين. وقيل بدل ممن ينصره. ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ فإن مرجعها إلى حكمه، وفيه تأكيد لما وعده.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ وقوم إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ تسلية له ﷺ بأن قومه إن كذبه فهو ليس بأوحدي في التكذيب، فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه. ﴿وَكَذَّبَ مُوسَىٰ﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لأن قومه بنو إسرائيل، ولم يكذبه وإنما كذبه القبط ولأن تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع. ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فأمهلتهم حتى انصرفت آجالهم المقدرة. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكاً والعمارة خراباً.

﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ (٤٥).

﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بإهلاك أهلها، وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي أهلها. ﴿فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ ساقطة حيطانها على سقفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقف، أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقاً بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها أي: مظلة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها، والجملة معطوفة على ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ لا على ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ فإنها حال والإهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها إن نصبت كأني بمقدر يفسره ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ وإن رفعته بالإبتداء فمحلها الرفع. ﴿وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ﴾ عطف على ﴿قَرْيَةٍ﴾ أي وكم بر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها، وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله. ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه، وذلك يقوي أن معنى ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ خالية مع بقاء عروشها، وقيل المراد بـ ﴿يَبْرٍ﴾ بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا، وهم وإن كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك. ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال. ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم. ﴿فَإِنَّهَا﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار. وفي ﴿تَعْمَى﴾ راجع إليه والظاهر أقيم مقامه. ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد، وذكر ﴿الصدور﴾ للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر. قيل لما نزل ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ قال ابن مکتوم يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فتزلت ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧) وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ (٤٨).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ المتوعد به. ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ لا امتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال، أو لتماذي عذابه وطول أيامه حقيقة، أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة، وقرأ ابن كثير وحمة والكسائي بالياء.

﴿وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب، ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتحويل وإنما عطف الأولى بالفاء وهذه بالواو، لأن الأولى بدل من قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحق بهم لا محالة وأن تأخير له عادته تعالى. ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ كما أمهلتكم. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلكم. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب. ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ وإلى حكمي مرجع الجميع.

﴿قُلْ يَكُونُ النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٤٩﴾ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٥٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٥١﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أوضح لكم ما أنذركم به، والاقتصار على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن صدر الكلام ومساقه للمشركون، وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لما بدر منهم. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هي الجنة وال ﴿كريم﴾ من كل نوع ما يجمع فضائله.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ بالرد والإبطال. ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق، من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سبقه فسبقه لأن كلاً من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحق به، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿معجزين﴾ على أنه حال مقدرة. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار الموقدة، وقيل اسم دركة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَلَّهِ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ٥٢﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يبعثه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام، ولذلك شبه النبي ﷺ علماء أمته بهم، فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام مثل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، قيل فكلم الرسل منهم قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمعاً غفيراً» وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي غير الرسول من لا كتاب له. وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي، والنبي يقال له ولعن يوحى إليه في المنام. ﴿إِلَّا إِذَا تَمَتَّى﴾ زور في نفسه ما يهواه. ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ في تشبهه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام «وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة». ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركود إليه والإرشاد إلى ما يزيحه. ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَمْرَهُ﴾ ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة. ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَحْوَالِ النَّاسِ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله بهم، قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت. وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة ﴿والنجم﴾ فأخذ يقرؤها فلما بلغ ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهواً إلى أن قال: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لِمَا سجد في آخرها، بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد، ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه الله بهذه الآية. وهو مردود عند المحققين وإن صح قابلية يتميز به الثابت على الإيمان عن المترزل فيه، وقيل تمنى قرأ كقوله:

تَمَتَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ تَمَتَّى دَاوُدُ الرُّزُورَ عَلَى رَسْلِ

وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي ﷺ. وقد رد أيضاً بأنه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَمْرَهُ﴾ لأنه أيضاً يحتمله، والآية تدل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي

شَقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

﴿لَيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ علة لتمكين الشيطان منه، وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل. ﴿فَتُخْبِتَ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق. ﴿وَالْقَائِنَةُ قُلُوبُهُمْ﴾ المشركين. ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم. ﴿لَقِيَ شِقَاقَ بَعِيدٍ﴾ عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين.

﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أن القرآن هو الحق النازل من عند الله، أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله لأنه مما جرت به عادته في الإنس من لدن آدم. ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بالقرآن أو بالله. ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ بالإنقياد والخشية. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيما أشكل. ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك. ﴿مِنْهُ﴾ من القرآن أو الرسول، أو مما ألقى الشيطان في أميته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة أو أسراطها أو الموت. ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر، سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرون كالعقم، أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيماً، فوصف اليوم بوصفها اتساعاً أو لأنه لا خير لهم فيه، ومنه الريح العقيم لما لم تنشأ مطراً ولم تلقح شجراً، أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة فيه، أو يوم القيامة على أن المراد بـ ﴿السَّاعَةِ﴾ غيره أو على وضعه، موضع ضميرها للتحويل.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي: يوم تزول مریتهم. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بالمجازاة، والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى، وأن عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم فلذلك قال ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ ولم يقل: هم في عذاب.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا﴾ في الجهاد. ﴿أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ الجنة ونعيمها، وإنما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل. روي أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا: يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا فنزلت. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فإنه يرزق بغير حساب.

﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخِلًا يُرْضَوْنَ﴾ هو الجنة فيها ما يحبونه. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم وأحوال معادهم. ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل في العقوبة..

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (٦٠).

﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر ذلك. ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يزد في الاقتصاص، وإنما سمي الإبتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للزدواج أو لأنه سببه. ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة. ﴿لِيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ﴾ لا محالة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله إليه بقوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة، فإنه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى، وتنبه على أنه تعالى قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٦١)  
 ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢).

﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك النصر. ﴿يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بسبب أن الله تعالى قادر على تغليب الأمور بعضها على بعض، جار عاداته على المداولة بين الأشياء المتعاندة ومن ذلك إيلاج أحد المَلَوِّينَ في الآخر، بأن يزيد فيه ما ينقص منه، أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغيب الشمس وعكس ذلك بإطلاعها. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب. ﴿بَصِيرٌ﴾ يرى أفعالهما فلا يهملهما.

﴿ذَلِكَ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم. ﴿يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده، فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواء عالمياً بذاته وبما عداه، أو الثابت الإلهية ولا يصلح لها إلا من كان قادراً عالمياً. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ إلهاً، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالناء على مخاطبة المشركين، وقرأ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فإنه في معنى الآلهة. ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته، أو باطل الألوهية. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على الأشياء. ﴿الْكَبِيرُ﴾ على أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر منه سلطاناً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٦٣)  
 ﴿لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ اللَّهُ لَهْوُ الْعَنِيِّ الْحَمِيدُ﴾ (٦٤).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع. ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عطف على ﴿أنزل﴾ إذ لو نصب جواباً لدل على نفي الاخضرار كما في قولك: ألم تر أني جئتكم فتكرمني، والمقصود إثباته وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق. ﴿خَبِيرٌ﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهْوُ الْعَنِيِّ﴾ في ذاته عن كل شيء. ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ بَحْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ

الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جعلها مذلة لكم معدة لمنافعكم . ﴿وَالْفُلْكَ﴾ عطف على ﴿مَا﴾ أو على اسم ﴿أَنْ﴾ ، وقرئ بالرفع على الابتداء . ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ حال منها أو خبر . ﴿وَيُمِيتُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك . ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إلا بمشيئته وذلك يوم القيامة ، وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها . ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث هيا لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطفأ . ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذا جاء أجلكم . ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة . ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ لجحود لنعم الله مع ظهورها .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أهل دين . ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ متعبداً أو شريعة تعبدوا بها ، وقيل عيدا . ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ ينسكونه . ﴿فَلَا يُنْزِعُكَ﴾ سائر أرباب الملل . ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ في أمر الدين أو النساك لأنهم بين جهال وأهل عناد ، أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع ، وقيل المراد نهى الرسول ﷺ عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم ، فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء ، أو عن منازعتهم كقولك : لا يضار بك زيد ، وهذا إنما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم ، وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين : ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله ، وقرئ ﴿فَلَا يُنْزِعُكَ﴾ على تهيج الرسول والمبالغة في تثبيتته على دينه على أنه من نازعته فنزعته إذا غلبته . ﴿وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى توحيده وعبادته . ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق إلى الحق سوي .

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ .

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة . ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها ، وهو وعيد فيه رفق .

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب . ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات . ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه شيء . ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له . ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إن الإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ ، أو الحكم بينكم . ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة تدل على جواز عبادته. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم. ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (٧٢)

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن. ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالة على العقائد الحقية والأحكام الإلهية. ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ الانكار لفرط تكبرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليداً، وهذا منتهى الجهالة وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو ما يقصدونه من الشر ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ يشبون ويبطشون بهم. ﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنْ ذَلِكَُمُ﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم، أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم. ﴿النَّارِ﴾ أي هو النار كأنه جواب سائل قال: ما هو، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره: ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلاً من شرفكون الجملة استئنافاً كما إذا رفعت خبراً أو حالاً منها. ﴿وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (٧٣)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ﴾ بين لكم حال مستغربة أو قصة رائعة ولذلك سماها مثلاً، أو جعل الله مثل أي مثل في استحقاق العبادة. ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ للمثل أو لشأنه استماع تدبر وتفكر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام، قرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنياً للمفعول والراجع إلى الموصول محذوف على الأولين. ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لا يقدرون على خلقه مع صغره لأن ﴿لَنْ﴾ بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه، والذباب من الذب لأنه يذب وجمعه أذبة وذبان. ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي للخلق هو بجوابه المقدر في موضع حال جاء به للمبالغة، أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين. ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ﴾ جهلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلهاً قدر على المقدورات كلها وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها - تماثيل هي أعجز الأشياء، وبين ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها ولو اجتمعوا له، بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها. قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله. ﴿ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ عابد الصنم ومعبوده، أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب، أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات.

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤) ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ الْنَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٧٦)

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلق الممكنات بأسرها. ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه شيء وألتهتهم التي يعبدونها عاجزة

عن أقلها مقهورة من أذلها.

﴿اللَّهُ يَضْطَرُّنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يدعون سائرهم إلى الحق. ويبلغون إليهم ما نزل عليهم، كأنه لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها بين أن له عبادةً مصطفىين للرسالة يتوسل بإجابتهم والإقتداء بهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريراً للنبوة وتزييفاً لقولهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، والملائكة بنات الله تعالى، ونحو ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ مدرك للأشياء كلها.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عالم بواقعها ومتربها. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وإليه ترجع الأمور كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون.

﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

﴿٧٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُرُوا وَاسْجُدُوا﴾ في صلاتكم، أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونها أول الإسلام، أو صلوا وعبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها، أو اخضعوا لله وخروا له سجداً. ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ بسائر ما تعبدكم به. ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ وتحروا بما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم، والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود لقوله عليه الصلاة والسلام «فضلت سورة الحج بسجدين من لم يسجدهما فلا يقرأها».

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قِيلَ أَيُّكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾

﴿٧٨﴾

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ أي لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس. وعنه عليه الصلاة والسلام/ أنه رجع من غزوة تبوك فقال «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ أي جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك: هو حق عالم، وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعاً أو لأنه مختص بالله من حيث إنه مفعول لوجه الله تعالى ومن أجله. ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لدينه ولنصرته، وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعي إليه وفي قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم، إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه، أو إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به من حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجاً بأن رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة، وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد ﴿قِيلَ أَيُّكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف أي: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، أو على الإغراء أو على الاختصاص، وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتقد به في الآخرة، أو لأن أكثر العرب كانوا ذريته فغلبوا على غيرهم. ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَذَا﴾ وفي القرآن، والضمير لله تعالى ويدل عليه أنه قرىء «الله سماكم»، أو لـ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وتسميتهم بمسلمين في

القرآن وإن لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ﴿وَمَنْ ذَرِيتُنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾. وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته إياكم مسلمين. ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ يوم القيامة متعلق بـ﴿بِسْمَاكُمْ﴾. ﴿شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته، أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى. ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بتبليغ الرسل إليهم. ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فتقربوا إلى الله تعالى بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو إذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة، بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة. عن النبي عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمره اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي».

## (٢٢) سورة المؤمنون

مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانية عشرة عند الكوفيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢).

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قد فازوا بأمانيتهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته إذا دخلت على الماضي، ولذلك تقر به من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم، وقرأ ورش عن نافع ﴿قد أفلح﴾ بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها، وقرأ «أفلحوا» على لغة: أكلوني البراغيث، أو على الإيهام والتفسير، و«أفلح» بالضم اجتزاء بالضممة عن الواو و«أفلح» على البناء للمفعول.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ خائفون من الله سبحانه وتعالى متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم. روي أنه ﷺ كان يصلي رافعاً بصره إلى السماء، فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلاً يعبت بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرْآنِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٥).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ عما لا يعينهم من قول أو فعل. ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لما بهم من الجد ما شغلهم عنه، وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير، والتعبير عنه بالاسم وتقدير الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً، فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه، والزكاة تقع على المعنى والعين والمواد الأول لأن الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه أو الثاني على تقدير مضاف.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرْآنِهِمْ حَافِظُونَ﴾ لا يبدلون.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٦) فَمَنْ أَتْبَعِيَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْعَادُونَ﴾ (٧).

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ زوجاتهم أو سريانهن، و﴿على﴾ صلة لـ ﴿حافظون﴾ من قولك احفظ على عنان فرسي، أو حال أي حافظوها في كافة الأحوال إلا في حال الزوج أو التسري، أو بفعل دل عليه غير ملومين وإنما قال: ما إجراء للماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع فيه وإفراد

ذلك بعد تعميم قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطراً. ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ﴾ الضمير لحافظون، أو لمن دل عليه الاستثناء أي فإن بذلوا لأزواجهم أو إيمانهم فإنهم غير ملومين على ذلك.

﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المستثنى. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الكاملون في العدوان.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق. ﴿رَاعُونَ﴾ قائمون بحفظها وإصلاحها، وقرأ ابن كثير هنا وفي «المعارج» ﴿لأمانتهم﴾ على الأفراد ولأمن الإلباس أو لأنها في الأصل مصدر.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها، ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي، وليس ذلك تكريراً لما وصفهم به أولاً فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها، وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١).

﴿أُولَئِكَ﴾ الجامعون لهذه الصفات. ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الأحقاء بأن يسموا ورثاً دون غيرهم.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للورثة بعد إطلاقها تفخيماً لها وتأكيذاً، وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم، وإن كان بمقتضى وعده مبالغه فيه. وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار. ﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أنت الضمير لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (١٣).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر. ﴿مِّن طِينٍ﴾ متعلق بمحذوف لأنه صفة لـ ﴿سُلَالَةٍ﴾ أو من بيانية أو بمعنى ﴿سُلَالَةٍ﴾ لأنها في معنى مسلوقة فتكون ابتدائية كالأولى، والإنسان آدم عليه السلام خلق من صفوة سلت من الطين، أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفاً بعد أدوار. وقيل المراد بالطين آدم لأنه خلق منه والسلالة نطفته.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف. ﴿نُطْفَةً﴾ بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة، وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء. ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ مستقر حصين يعني الرحم، وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (١٦).

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء. ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ فصيرناها قطعة لحم. ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ بأن صلبناها. ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل إليها، واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة، وقرأ ابن

عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع، وقرئ بإفراد أحدهما وجمع الآخر. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وهو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخة فيه أو المجموع، و ﴿ثُمَّ﴾ لما بين الخلقين من التفاوت، واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة أفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرج لأنه خلق آخر. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ فتعالى شأنه في قدرته وحكمته. ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المقدرين تقديراً فحذف المميز لدلالة ﴿الخالقين﴾ عليه.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ لصائرون إلى الموت لا محالة، ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للمحاسبة والمجازاة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ﴾ (١٧).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سموات لأنها طروق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه، أو لأنها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ عن ذلك المخلوق الذي هو السموات أو عن جميع المخلوقات. ﴿غَافِلِينَ﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وتدبر أمرها حتى تبلغ متهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (١٨) ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١٩).

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره، أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم. ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ فجعلناه ثابتاً مستقراً. ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾ على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه. ﴿لَقَادِرُونَ﴾ كما كنا قادرين على إنزاله، وفي تنكير ﴿ذَهَابٍ﴾ إيحاء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإبعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ بالماء. ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات. ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تفكهون بها. ﴿وَمِنْهَا﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها. ﴿تَأْكُلُونَ﴾ تغذياً أو ترتزقون وتحصلون معاشكم من قولهم: فلان يأكل من حرفته، ويجوز أن يكون الضميران للـ ﴿نَحِيلٍ﴾ والـ ﴿أَعْنَابٍ﴾ أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَنِيعٌ لِلْآكِلِينَ﴾ (٢٠).

﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على ﴿جنات﴾ وقرئت بالرفع على الإبتداء أي: ومما أنشأنا لكم به شجرة. ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة، وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف إليها، أو المركب منهما علم له كأمريء القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا لئلا يفسد لأنه فيعال كديماس من السيناء بالمد وهو الرفة، أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف ﴿سيناء﴾ على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لا فعلال إذ ليس في كلامهم، وقرئ بالكسر والقصر. ﴿تَنبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ أي تنبت ملتبساً بالدهن ومستصحباً له، ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لـ ﴿تنبت﴾ كما في قولك: ذهب ي زيد، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية ﴿تنبت﴾ وهو إما من أنبت بمعنى

نبت كقول زهير:

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ عِنْدَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَشَى أَنْبَتِ الْبَقْلِ  
أو على تقدير «نبت» زيتونها ملتسباً بالدهن، وقرىء على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن  
وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنت بالدهان. «وَصَيْنِغٌ لِلْكَالِينِ» معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف  
أحد وصفي الشيء على الآخر أي: نبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصنع  
فيه الخبز أي: يغمس فيه للاتدام، وقرىء «وصباغ» كدباغ في دبغ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ .

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها. «نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا» من الألبان أو من  
العلف، فإن اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للإبتداء، وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب «نُسْقِيكُمْ»  
بفتح النون. «وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ» في ظهورها وأصوافها وشعورها. «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» فتتضعون بأعيانها.  
﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام فإن منها ما يحمل عليه كالإبل والبقر، وقيل المراد الإبل لأنها هي المحمول  
عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر قال ذو الرمة:  
سَفِينَةُ بَرٍّ تَحْتَ حَذْيِ زَمَانِهَا

فيكون الضمير فيه كالضمير في «ويعولتهن أحق بردهن». «وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ» في البر والبحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَنَرَيْصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ إلى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد  
عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها. «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» استئناف لتعليل الأمر بالعبادة،  
وقرأ الكسائي «غيره» بالجر على اللفظ. «أَفَلَا تَتَّقُونَ» أفلا تخافون. أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم  
برفضكم عبادته إلى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الْأَشْرَافُ﴾ «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ» لعوامهم. «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ» أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم. «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ» أن يرسل رسولاً. «لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً» رسلاً. «مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ» يعنون نوحاً عليه السلام أي ما سمعنا به أنه نبي، أو ما كلمهم به من الحث  
على عبادة الله سبحانه وتعالى ونفي إله غيره، أو من دعوى النبوة وذلك إما لفرط عنادهم أو لأنهم كانوا في  
فترة متطاولة.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾ أي جنون ولأجله يقول ذلك «فَنَرَيْصُوا بِهِ» فاحتملوه وانتظروا. «حَتَّىٰ حِينٍ» لعله يفيق من جنونه.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتُ فِيهِ﴾ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيرُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينَ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخَرَّجُونَ ﴿٢٧﴾ .

﴿قَالَ﴾ بعدما آيس من إيمانهم. ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ بإهلاكهم أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب. ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾ بدل تكذيبهم إياي أو بسببه.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا نحفظه أن تخطيء فيه أو يفسده عليك مفسد. ﴿وَوَحَيْنَا﴾ وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالركوب أو نزول العذاب. ﴿وَفَارَ التَّوَرُّو﴾.

روي أنه قيل لنوح إذا فار الماء من التور اركب أنت ومن معك، فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحلّه في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كنده. وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه آخر ذكرت في «هود». ﴿فَأَسْلُكُ فِيهَا﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾. ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل أمثي الذكر والأنثى واحد من مزدوجين، وقرأ حفص ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بالتنوين أي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد. ﴿وَأَهْلُكَ﴾ وأهل بيتك أو من آمن معك. ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي القول من الله تعالى بإهلاكه لكفره، وإنما جيء بعلی لأن السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ﴾. ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالدعاء لهم بالإتجاء. ﴿إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ﴾ لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي، ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٨) وَقُلِ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠).

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ كقوله: ﴿فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَقُلِ رَبِّ أُنْزِلْنِي﴾ في السفينة أو في الأرض. ﴿مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾ يتسبب لمزيد الخير في الدارين على قراءة أبي بكر، وقرىء «منزلاً» بمعنى إنزالاً أو موضع إنزال. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه وتوسلاً به إلى الإجابة، وإنما أفرده بالأمر والمعلق به أن يستوي هو ومن معه إظهاراً لفضله وإشعاراً بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم فإنه يحيط بهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما فعل بنوح وقومه. ﴿آيَاتٍ﴾ يستدل بها ويعتبر أولو الاستبصار والاعتبار. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم، أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ﴿وَإِنْ﴾ هي المخففة واللام هي الفارقة.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ هم عاد أو ثمود.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح، وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وإنما أوحى إليه وهو بين أظهرهم. ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ تفسير لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَلَتَرْقَبُنَّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ

مِثْلَكُمْ بِأَكْلٍ وَمَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ وَمِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَشِيرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ﷺ بخلاف قول قوم نوح حيث استؤنف به، فعلى تقدير سؤال. ﴿وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ ببقاء ما فيها من الثواب والعقاب، أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث ﴿وَأَتَرَفْنَاهُمْ﴾ ونعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد. ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ في الصفة والحالة. ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ تقرير للمماثلة و «ما» خبرية والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم به. ﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ حيث أذلتم أنفسكم، و ﴿إِذَا﴾ جزاء للشرط وجواب للذين قَالُوا لَهُمْ من قومه.

﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرِجُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ مجردة عن اللحم والأعصاب. ﴿أَنْتُمْ تُخْرِجُونَ﴾ من الأجداث أو من العدم تارة أخرى إلى الوجود، و ﴿أَنْتُمْ﴾ تكرير للأول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره، أو أنكم لمخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم، أو فاعل للفعل المقدر جواباً للشرط والجملة خبر الأول أي: أنكم إخراجكم إذا متم، أو أنكم إذا متم وقع إخراجكم ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفاً لدلالة خبر الثاني عليه لا أن يكون الظرف لأن اسمه جثة. ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ﴾ بعد التصديق أو الصحة. ﴿لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ أو بعدما توعدون، واللام للبيان كما في ﴿هِيَاتَ لَكَ﴾ كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل: فما له هذا الاستبعاد؟ قالوا ﴿لِمَا تُوْعَدُونَ﴾. وقيل ﴿هِيَاتَ﴾ بمعنى البعد، وهو مبتدأ خبره ﴿لِمَا تُوْعَدُونَ﴾، وقرئ بالفتح منوناً للتكثير، وبالضم متوناً على أنه جمع هية وغير منون تشبيهاً بقبل وبالكسر على الوجهين، وبالسكون على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أصله إن الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً عن التكرير وإشعاراً بأن تعيينها مغن عن التصريح بها كقوله:

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمِلُ

ومعناه لا حياة إلا هذه الحياة لأن ﴿إِنْ﴾ نافية دخلت على ﴿هِيَ﴾ التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفى الجنس. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت بعضنا ويولد بعض. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيما يدعيه من إرساله له وفيما يعدنا من البعث. ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ﴾ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَنَنَّ لِلْبَاطِلِ ﴿٤٠﴾ فَآخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَّةً لِّقَوْمٍ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم وانتقم لي منهم. ﴿بِمَا كَذَبْتُ﴾ بسبب تكذيبهم إياي.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ عن زمان قليل و «ما» صلة لتوكيد معنى القلة، أو نكرة موصوفة. ﴿لَيُضْطَحِقُنَّ فَادِمِينَ﴾ على التكذيب إذا عاينوا العذاب.

﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا، واستدل به على أن القرن قوم صالح. ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالوجه الثابت الذي لا دافع له، أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق. أو بالوعد الصدق. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب: سال به الوادي، لمن هلك. ﴿فَبُعْدُ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل الإخبار والدعاء، وبعداً مصدر بعد إذا هلك، وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها، واللام لبيان من دعي عليه بالبعد، ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ هي قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم. ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ الوقت الذي حد لها كها و «من» مزيدة للاستغراق. ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ الأجل.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ متواترين واحداً بعد واحد من الوتر وهو الفرد، والياء بدل من الواو كتولج وتيقور والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة، وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتثنية على أنه مصدر بمعنى المواترة وقع حالاً، وأماله حمزة وابن عامر والكسائي. ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ إضافة الرسول مع الإرسال إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو انتهاء إليهم. ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ في الإهلاك. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لم نبق منهم إلا حكايات يسمر بها، وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحداث وهي ما يتحدث به تليها. ﴿فَبُعْدُ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ بالآيات التسع. ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حجة واضحة ملزمة للخصم، ويجوز أن يراد به العصا وإفرادها لأنها أول المعجزات وأماها، تعلقت بها معجزات شتى: كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها، وحراستها ومصيرها شجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا، وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي ﷺ.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ على الإيمان والمتابعة. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين.

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَدُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾ ثنى البشر لأنه يطلق للواحد كقوله ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ كما يطلق للجمع كقوله: ﴿فَإِنَّمَا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ ولم يثن المثل لأنه في حكم المصدر، وهذه القصص كما ترى تشهد بأن قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر

بأدنى تأمل، فإن النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك لكنها متباينة الأقدام فيهما، وكما ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة، يمكن أن يكون في طرف الزيادة أغنياء عن التفكير والتعلم في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال، فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي إليه علمهم، وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾. ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ خادمون منقادون كالعباد.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالفرق في بحر قلزم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل بني إسرائيل، ولا يجوز عود الضمير إلى ﴿فرعون﴾ وقومه لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم. ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى المعارف والأحكام.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ بولادتها إياه من غير مسيس فالآية أمر واحد مضاف إليهما، أو ﴿جعلنا ابن مريم﴾ آية بأن تكلم في المهد وظهرت منه معجزات أخر ﴿وأمه﴾ آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها. ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فإن قراها على الربي، وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرىء «رَبْوَةٌ» بالضم والكسر. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من الأرض منبسطة. وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها. ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء معين ظاهر جار، فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الشيء، أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع، أو مفعول من عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلاً منهم خوطب به في زمانه، فيدخل تحته عيسى دخلاً أولاً ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيهاً على أن تهيئة أسباب التمتع لم تكن له خاصة، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم واحتجاجاً على الرهبانية في رفض الطيبات، أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقنّديا الرسل في تناول ما رزقا. وقيل النداء له وللفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ به من المباحات. وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل. ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ﴾ أي ولأن ﴿هذه﴾ والمعلل به ﴿فاتقون﴾، أو واعلموا أن هذه، وقيل إنه معطوف على ﴿ما تعملون﴾ وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف. ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ملتكم ملة واحدة أي متحدة في الاعتقاد وأصول الشرائع، أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب ﴿أمة﴾ على الحال. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ في شق العصا ومخالفة الكلمة.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرِيَّتِهِمْ حَتَّىٰ جِيئَ ﴿٥٤﴾.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أدياناً مختلفة، أو فترقوا وتحزبوا وأمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز، والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها أولها. ﴿زُبُرًا﴾ قطعاً جمع زبور الذي بمعنى الفرقه ويؤيده القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من الواو، أو مفعول ثان لتقطعوا فإنه متضمن معنى جعل. وقيل كتباً من زبرت الكتاب فيكون مفعولاً ثانياً، أو حالاً من أمرهم على تقدير مثل كتب، وقرئ بتخفيف الباء كرسل في «رسل». ﴿كُلُّ جُزْءٍ﴾ من المتحزبين. ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدين. ﴿فَرِحُونَ﴾ معجبون معتقدون أنهم على الحق.

﴿فَلَزَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ في جهالتهم شبهها بالباء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها أو لاعبون بها، وقرئ في «غمراتهم». ﴿حَتَّى جِئَ﴾ إلى أن يقتلوا أو يموتوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ أن ما نعطيهم ونجعله لهم مدداً، ﴿مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ بيان لما وليس خيراً له، فإنه غير معاتب عليه وإنما المعاتب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم خبره.

﴿نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ والراجع محذوف والمعنى: أيعسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير، وقرئ «يمدهم» على الغيبة وكذلك «يسارع» و«يسرع» ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به و«يسارع» مبنياً للمفعول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ من خوف عذابه. ﴿مُشْفِقُونَ﴾ حذرون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ المنصوبة والمنزلة. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بتصديق مدلولها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ شركاً جلياً ولا خفياً.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ يعطون ما أعطوه من الصدقات، وقرئ «يأتون ما أتوا» أي يفعلون ما فعلوا من الطاعات. ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به. ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ لأن مرجعهم إليه، أو من أن مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفى عليهم.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها، أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها كقوله تعالى: ﴿فَاتَّاهَمَ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ فيكون إثباتاً لهم ما نفي عن أصدادهم. ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ لأجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس إلى الطاعة أو الثواب أو الجنة، أو سابقونها أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾.

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على

النفوس. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ يريد به اللوح أو صحيفة الأعمال. ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع. ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ بزيادة عقاب أو نقصان ثواب.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ قلوب الكفرة. ﴿فِي غَمَرَةٍ﴾ في غفلة غامرة لها. ﴿مِنْ هَذَا﴾ من الذي وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظ. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ خبيثة ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ متجاوزة لما وصفوا به أو متخفية عما هم عليه من الشرك. ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ معتادون فعلها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَصِرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ لَا تَخْشَرُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُنَّا نُصَرِّفُونَ ﴿٦٥﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ متنعيمهم. ﴿بِالْعَذَابِ﴾ يعني القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول ﷺ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف». فحفظوا حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة. ﴿إِذَا هُمْ يَخْأَرُونَ﴾ فاجزوا الصراخ بالاستغاثة، وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب.

﴿لَا تَخْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ فإنه مقدر بالقول أي قيل لهم لا ﴿تَجَارُوا الْيَوْمَ﴾. ﴿إِنَّا كُنَّا لَا تَنْصُرُونَ﴾ تعليل للنهي أي لا تجاروا فإنه لا ينفعكم إذ لا تمنعون منا، أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْذِرُكُمْ فَلْتُنَظَرُوا عَلَيَّ أَفَعَالِيكُمْ تَنْكَبُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ

﴿٦٧﴾

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْذِرُكُمْ﴾ يعني القرآن. ﴿فَلْتُنَظَرُوا عَلَيَّ أَفَعَالِيكُمْ تَنْكَبُونَ﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها، والنكوص الرجوع قهقري.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ الضمير للمبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بأنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره، أو لآياتي فإنها بمعنى كتابي والباء متعلقة بـ ﴿مستكبرين﴾ لأنه بمعنى مكذبين، أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله: ﴿سَامِرًا﴾ أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه، وهو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة، وقرئ «سمرًا» جمع سامر ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الهجر بالفتح إما بمعنى القطيعة أو الهذيان، أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه أو الهجر بالضم أي الفحش، ويؤيد الثاني قراءة نافع ﴿تهجرون﴾ من أهجر وقرئ «تهجرون» على المبالغة.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَوْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ

﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله. ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الرسول والكتاب، أو من الأمن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل وأعقابهم فآمنوا به وكتبه ورسله وأطاعوه.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ﴾ دعواه لأحد هذه الوجوه إذ لا وجه له غيرها، فإن إنكار الشيء قطعاً أو ظناً إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه ﷺ أرجحهم عقلاً وأدقهم نظراً. ﴿بَلْ جَاءَهُمْ

بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٥﴾ لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه، وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه أو لقلّة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق.

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن كان في الواقع آلهة شتى. ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ كما سبق تقريره في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلاً لذهب ما قام به العالم فلم يبق، أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد ﷺ أهواءهم وانقلب شركاً لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه، أو لو اتبع الله أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الألوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والأرض وهو على أصل المعتزلة. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم، أو الذكر الذي تمنوه بقولهم ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ وقرئ «بذكراهم». ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ قيل إنه قسم قوله ﴿أَمْ بِهِ جَنَّةٌ﴾. ﴿خَرَجًا﴾ أجراً على أداء الرسالة. ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ﴾ رزقه في الدنيا أو ثوابه في العقبى. ﴿خَيْرٌ﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك، والخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه، وقرأ ابن عامر «خرجاً فخرج» وحمزة والكسائي «خراجاً فخراج» للمزاوجة. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تقرير لخيرية خراجه تعالى.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب إتهامهم له، واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة في هذه الآيات بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَابُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُؤُا فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾ عن الصراط السوي. ﴿لَنُكَابُونَ﴾ لعادلون عنه فإن خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ يعني القحط. ﴿لَلَجُؤُا﴾ لبتوا واللجاج التماس في الشيء. ﴿فِي طَغْيَانِهِمْ﴾ إفراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ عن الهدى، روي أنهم قحطوا حتى أكلوا البعلز فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله والرحم أأست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال: بلى فقال: قتل الأبناء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٨١﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ يعني القتل يوم بدر. ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ بل أقاموا على عتوهم

واستكبارهم، واستكان استفعل من الكون لأن المفتقر انتقل من كون إلى كون أو افتعل من السكون أشبعت فتحته. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعني الجوع فإنه أشد من القتل والأسر. ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ متحIRON آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ لتحسوا بها ما نصب من الآيات. ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لتتفكروا فيها وتستدلوا بها إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ تشكرونها شكراً قليلاً لأن العمد في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله، والإذعان لمانحها من غير إشراك و ﴿مَا﴾ صلة للتأكيد.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ خلقكم وبشكم فيها بالتناسل. ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رداً لنسبته إلى الشمس حقيقة أو لأمره وقضائه تعاقبهما، أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا نعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها، وقرئ بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين.

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿بَلْ قَالُوا﴾ أي كفار مكة. ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم. ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استبعاداً ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فخلقوا.

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ إلا أكاذيبهم التي كتبوها، جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلوه به كالأعاجيب والأصاحيك. وقيل جمع أسطار جمع سطر.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك، فيكون استهانة بهم وتقريراً لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح إلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأن العقل الصريح قد اضطربهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها ﴿قُلْ﴾ أي بعد ما قالوه. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قادر على إيجادها ثانياً، فإن بدء الخلق ليس أهون من إعادته. وقرئ «تذكرون» على الأصل.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكَاتِ السَّجِجِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا لَنُقُوتَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَبْدَأُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى

## تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ .

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فإنها أعظم من ذلك. ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال. ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته.

﴿قُلْ مَنْ مَن يَبْدُو مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه. ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ يغيث من يشاء ويحرسه. ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يغاى أحد ولا يمنع منه، وتعديته يعلى لتضمن معنى النصرة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة.

﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ .

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ من التوحيد والوعد بالنشور. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ حيث أنكروا ذلك.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ لتقدسه عن مماثلة أحد. ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ يساهمه في الألوهية. ﴿إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه، أي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساد.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة، وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في أنه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه. ﴿فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالفاء.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُ مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ .

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُ﴾ إن كان لا بد من أن تريني لأن ما والنون للتأكيد. ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قريناً لهم في العذاب، وهو إما لهضم النفس أو لأن شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه عليه السلام أنه له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء، وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجوار.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ لكننا نؤخره علمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون، أو لأننا لا نعذبهم وأنت فيهم، ولعله رد لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به. وقيل قد أراه: وهو قتل بدر أو فتح مكة.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ .

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين. وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك. وقيل هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فكل إلينا أمرهم.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ وسأوسهم، وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرافض، شبه حشم الناس على المعاصي بهمز الرافضة للدواب على المشي والجمع للمرات أو لتنوع الوسوس أو لتعدد المضاعف إليه.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ يحوموا حولي في شيء من الأحوال، وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أخرى الأحوال بأن يخاف عليه.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ متعلق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾، وما بينهما اعتراض لتأكيد الإغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام أو بقوله ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. ﴿قَالَ﴾ تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة لما اطلع على الأمر. ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ردوني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب. وقيل لتكثير قوله أرجعني كما قيل في قفا وأطرقا.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الإيمان الذي تركته أي لعلي آتي الإيمان وأعمل فيه، وقيل في المال أو في الدنيا. وعنه عليه الصلاة والسلام «قال إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا، فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوماً إلى الله تعالى، وأما الكافر فيقول رب أرجعوني». ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ معنى قوله ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ الخ، والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض. ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ لا محالة لتسلط الحسرة عليه. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أمامهم والضمير للجماعة. ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يوم القيامة، وهو إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ .

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد أن ﴿الصُّور﴾ أيضاً جمع الصورة. ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه أو يفتخرون بها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كما يفعلون اليوم. ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ولا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه، وهو لا يناقض قوله ﴿وَأَقْبِلْ بِمَعْصِيَتِهِمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ﴾ لأنه عند النفخة وذلك يعد المحاسبة، أو دخول أهل الجنة الجنة والنار النار.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ موزونات عقائده وأعماله، أي فمن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر. ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ومن لم يكن له ما يكون له وزن، وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا نَقِيم لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وزناً﴾. ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها. ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ بدل من الصلة أو خبر ثان «لأولئك».

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (١٠٩) ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَانِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاكْتُبُ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ (١١٠) ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَبْنَا عَلَىٰ سِفْوَتِنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١١١).

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تحرقها واللفح كالنفع إلا أنه أشد تأثيراً. ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان، وقرئ «كلحون».

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَانِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ على إضمار القول أي يقال لهم «ألم تكن» ﴿فَاكْتُبُ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله.

﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَبْنَا عَلَىٰ سِفْوَتِنَا﴾ ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة، وقرأ حمزة والكسائي «شقواتنا» بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الحق.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١١٢) ﴿قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١١٣).

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من النار. ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى التكذيب. ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ لأنفسنا.

﴿قَالَ اخْسَوْا فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت هوان في النار فإنها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب إذا زجرته فحساً. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب أو لا تكلمون رأساً. قيل إن أهل النار يقولون ألف سنة: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾، فيجيبون ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ فيقولون ألفاً ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾، فيجيبون ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ فيقولون ألفاً ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْبُكَ﴾، فيجيبون ﴿إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾، فيقولون ألفاً ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، فيجيبون ﴿أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ﴾، فيقولون ألفاً ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾، فيجيبون ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ فيقولون ألفاً ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، فيجيبون ﴿اخْسَوْا فِيهَا﴾ ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقَ مَنِ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١١٤) ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١١٥) ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٦).

﴿إِنَّهُمْ﴾ إن الشأن وقرئ بالفتح أي لأنه. ﴿كَانُوا فَرِيقَ مَنِ عِبَادِي﴾ يعني المؤمنين، وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا﴾ هزواً وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي «ص» بالضم، وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة، وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية. ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي﴾ من فرط تشاغلهم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في أوليائي. ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذاكم. ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به، وهو ثاني مفعولي «جزيتهم». وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافاً.

﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَّا الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿قَالَ﴾ أي الله أو الملك المأمور بسؤالهم، وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي على الأمر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار. ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أحياء أو أمواتاً في القبور. ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ تمييز لكم.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار، أو لأنها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار، أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم. ﴿فَأَسْأَلُ الْعَادِينَ﴾ الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها فإننا نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها، أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم. وقرأ «العادين» بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون ما نقول، و «العادين» أي القدماء المعمرين فإنهم أيضاً يستقصرون.

﴿قَالَ﴾ وفي قراءة حمزة والكسائي «قل». ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تصديق لهم في مقالهم.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ توبيخ على تغافلهم، و «عبثاً» حال بمعنى عابثين أو مفعول له أي: لم نخلقكم تلهياً بكم وإنما خلقناكم لتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث. ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ معطوف على «أنما خلقناكم» أو «عبثاً»، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء، وكسر الجيم.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك مطلقاً فإن من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإن ما عداه عبید له. ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ الذي يحيط بالأجرام وينزل منه محكمات الأقضية والأحكام، ولذلك وصفه بالكرم أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين. وقرأ بالرفع على أنه صفة الرب.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يعبد إفراداً أو إشراكاً. ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة أخرى لـ «إلهاً» لازمة له فإن الباطل لا برهان به، جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيهاً على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلاً عما دل الدليل على خلافه، أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فهو مجاز له مقدار ما يستحقه. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ إن الشأن وقرأ بالفتح على التعليل أو الخبر أي حسابه عدم الفلاح. بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين، ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال:

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾. عن النبي ﷺ «من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت». وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر». وروي «أن أولها وآخرها من كنوز الجنة، من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح».

## (٢٤) سورة النور

مكية وهي أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ النُّورِ أُنزِلَتْهَا وَفُرِضَتْهَا وَأُنزِلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

﴿سورة﴾ أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة. ﴿أُنزِلَتْهَا﴾ صفتها ومن نصبها جعله مفسراً لناصبها فلا يكون له محل إلا إذا قدر اتل أو دونك نحوه ﴿وَفُرِضَتْهَا﴾ وفرضنا ما فيها من الأحكام، وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم، أو للمبالغة في إيجابها. ﴿وَأُنزِلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتستون المحارم وقرىء بتخفيف الذال.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَنَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أو فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد، ويجوز أن يرفعا بالإبتداء والخبر: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط إذ اللام بمعنى الذي، وقرىء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة لأجل الأمر والزان بلا ياء، وإنما قدم ﴿الزَّانِيَةَ﴾ لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها، والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم، وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه الصلاة والسلام «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»، وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما الآخر نسخاً مقبولاً أو مردوداً، وله في العبد ثلاثة أقوال. والإحصان: بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح، واعتبرت الحنفية الإسلام أيضاً وهو مردود برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين، ولا يعارضه «من أشرك بالله فليس بمحصن» إذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها». وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن الإيمان يقتضي الجِد في طاعة الله تعالى والاجتهاد في إقامة حدوده وأحكامه، وهو من باب التهيج. ﴿وَلَيَشْهَدَ عَنَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب، وال «طائفة» فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحداً واثناً، والمراد جمع يحصل به التشهير.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ إذ الغالب أن المائل إلى الزنا

لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصالحاء، فإن المشاكلة علة للآلفة والتضام، والمخالفة سبب للنفرة والافتراق. وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح إلا من هو زان أو مشرك. لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن، لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والظعن في النسب وغير ذلك من المفاسد، ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة. وقيل النفي بمعنى النهي، وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه، أو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ فإنه يتناول المسافحات، ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال: «أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال»، وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول إلى نهى الزاني عن الزنا إلا بزانية، والزانية أن يزني بها إلا زان وهو فاسد.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يقدفونهن بالزنا لوصف المقدوفات بالإحصان، وذكرهن عقيب الزواني واعتبار أربعة شهداء بقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ والقذف بغيره مثل يا فاسق وبا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن، والإحصان ها هنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى، وتخصيص ﴿المحصنات﴾ لخصوص البواقة أو لأن قذف النساء أغلب وأشد، ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء ولا تعتبر شهادة زوج المقدوفة خلافاً لأبي حنيفة، وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده. ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ أي شهادة كانت لأنه مفتر، وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافاً لأبي حنيفة فإن الأمر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جواباً للشرط لا ترتيب بينهما فيترتان عليه دفعة، كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده. ﴿أَبَدًا﴾ ما لم يتب، وعند أبي حنيفة إلى آخر عمره. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المحكوم بفسقهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن القذف. ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم بالتدارك، ومنه الاستسلام للحد أو الاستحلال من المقدوف، والاستثناء راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل، لأن من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء، وقيل إلى النهي ومحل الجر على البدل من هم في لهم، وقيل إلى الأخيرة ومحل النصب لأنه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ علة للاستثناء.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦) وَالْخَوَاسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ نزلت في هلال بن أمية رأى رجلاً على فراشه، وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن إلا بمعنى غير. ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ فالواجب شهادة أحدهم أو فعلية شهادة أحدهم، و ﴿أربع﴾ نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر «شهادة». ﴿بِاللَّهِ﴾ متعلق بشهادات لأنها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها. ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي فيما رماها به من الزنا، وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنه باللام تأكيداً.

﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ والشهادة الخامسة. ﴿أَنْ لَعَنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في الرمي هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه، وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام «المتلاعنان لا يجتمعان أبداً». وتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد أن تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله.

﴿وَيَذَرُهَا عَنِ الْعَذَابِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾.

﴿وَيَذَرُهَا عَنِ الْعَذَابِ﴾ أي الحد. ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رماني به.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك ورفع الخامسة بالإبتداء وما بعدها الخير أو بالعطف على أن تشهد، ونصبها حفص عطفاً على «أربع». وقرأ نافع ويعقوب «أن لعنة الله» و «أن غضب الله» بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من «غضب» ورفع الهاء من اسم «الله»، والباقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ متروك الجواب للتعظيم أي لفضلكم وعاجلكم بالعقوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب، من الأفك، وهو الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه، والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله تعالى عنها. وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل، فمشت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جرع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتزمه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت اليهودج فرحله على مطيتها وسار، فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً فجلست كي يرجع إليها منشداً، وكان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه قد عرس وراء الجيش فأدلى ف أصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به. ﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة، يريد عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعه، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة. وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم، وهي خير إن وقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾ مستأنف والخطاب للرسول ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان رضي الله تعالى عنهم والهاء للإفك. ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثمانين عشرة آية في براءتكم، وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً. ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصاً به. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه. ﴿مِنْهُمْ﴾ من الخائضين وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ، أو هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاء بالتصريح به ﴿وَالَّذِي﴾ بمعنى الذين. ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطروداً مشهوراً بالنفاق، وحسان أعمى أشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾.

﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾. وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذبح الطاعنين عنهم كما يذنبونهم عن أنفسهم. وإنما جاز الفصل بين ﴿لَوْلَا﴾ وفعله بالظرف لأنه منزل منزلة من حيث إنه لا ينفك عنه وذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره، وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التحضيض على أن لا يخلوا بأوله. ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ من جملة المقول تقريراً لكونه كذباً فإن ما لا حجة عليه كذب عند الله أي في حكمه، ولذلك رتب الحد عليه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ﴿ورحمته﴾ في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم. ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً. ﴿ثِيْمًا أَفْضْتُمْ﴾ خضتم. ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد.

﴿إِذْ﴾ ظرف ﴿لمسكم﴾ أو ﴿أفضتم﴾. ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يأخذه بعضهم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول كتلقفه وتلقنه، قرئ «تلقونه» على الأصل و «تلقونه» من لقيه إذا لقفه و «تلقونه» بكسر حرف المضارعة و «تلقونه» من إلقائه بعضهم على بعض، و «تلقونه» و «تلقونه» من الألق والألق وهو الكذب، و «تلقونه» من ثقفته إذا طلبته فوجدته و «تلقونه» أي تتبعونه. ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي تقولون كلاماً مختصاً بالأفواه بلا مساعدة من القلوب. ﴿مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾. ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ سهلاً لا تبعه له. ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر واستجرار العذاب، فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم، تلقي الإفك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٨).

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾ ما ينبغي وما يصح لنا. ﴿أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن تكون إلى نوعه، فإن قذف آحاد الناس محرم شرعاً فضلاً عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله ﷺ. ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تعجب من ذلك الإفك أو ممن يقول ذلك، وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيهاً لله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب، أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريراً لما قبله وتمهيداً لقوله: ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا. ﴿أَبَدًا﴾ ما دمت أحياء مكلفين. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهيج وتقرير.

﴿وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالأحوال كلها. ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدابيرها ولا يجوز الكشخة على نبيه ولا يقرره عليها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يريدون ﴿أَنْ تَشِيعَ﴾ أن تنتشر ﴿الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بالحد والسعير إلى غير ذلك. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في الضمائر. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بإشاعة الفاحشة، وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبرقي وأبو عمرو وأبو بكر وحمة بسكونها. ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ بيان لعله النهي عن اتباعه، و «الفحشاء» ما أفرط قبحه، و «المنكر» ما أنكره الشرع. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿مَا زَكَا﴾ ما طهر من دنسها. ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ آخر الدهر. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ بحمله على التوبة وقبولها. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لمقالهم. ﴿عَلِيمٌ﴾ بياتهم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢).

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ولا يحلف افتعال من الألية، أو ولا يقصر من الألو، ويؤيد الأول أنه قرئ ولا «يأتل». وأنه نزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين. ﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ في الدين. ﴿وَالسَّعَةِ﴾ في المال. وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه رضي الله تعالى عنه. ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ على أن لا «يؤتوا»، أو في «أن يؤتوا». وقرئ بالناء على الالتفات. ﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفات لموصوف واحد، أي ناساً جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك، أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود. ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ عما فرط منهم. ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ بالإغماض عنه. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه. روي أنه عليه الصلاة والسلام قراها على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال: بلى أحب ورجع إلى مسطح نفقته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَنْهُمْ أَسْنَنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف. ﴿الْعَافِلَاتِ﴾ عما قذفن به. ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعناً في الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن أبي. ﴿لَعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لما طعنوا فيهن. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم، وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب، وقيل مخصوص بمن قذف أزواج النبي ﷺ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا توبة له، ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة رضي الله تعالى عنها.

﴿يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لأنه موصوف، وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل. ﴿أَلَسْتُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعترفون بها بإنطاق الله تعالى إياها بغير اختيارهم، أو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب.

﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ جزاءهم المستحق. ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ لمعاينتهم الأمر. ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواء، أو ذو الحق البين أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه يتتقم من الظالم للمظلوم لا محالة.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٦).

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ أي الخباثت يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني أهل بيت النبي ﷺ أو الرسول وعائشة وصفوان رضي الله تعالى عنهم. ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ إذ لو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها، وقيل ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ و﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ من الأقوال والإشارة إلى «الطيبين» والضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ للآفكين، أي مبرؤون مما يقولون فيهم أو «للخبيثين» و «الخبيثات» أي مبرؤون من أن يقولوا مثل قولهم. ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني الجنة، ولقد برأ الله أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها، وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغة، وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول ﷺ وإعلاء منزلته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ التي لا تسكنونها فإن الآجر والمعبر أيضاً لا يدخلان إلا بإذن. ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره، فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو يؤذن له، أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا له استأنس، أو تتعرفوا هل ثم إنسان من الأنس. ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ بأن تقولوا السلام عليكم أدخل. وعنه عليه الصلاة والسلام «التسليم أن يقول السلام عليكم، أدخل؟ ثلاث مرات، فإن أذن له دخل وإلا رجع». ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي الاستئذان أو التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة، أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته قال: حبيتم صباحاً أو حبيتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ «أستأذن على أمي»، قال: نعم، قال: إنها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت، قال: أنتحب أن تراها عريانة، قال: لا، قال: فاستأذن. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ متعلق بمحذوف أي أنزل عليكم، أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا

وتعملوا بما هو أصلح لكم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ٢٩﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم. ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى يأتي من يأذن لكم فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور، واستثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها. ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ ولا تلحوا. ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ الرجوع أطهر لكم عما لا يخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة، أو أنفع لدينكم ودنياكم. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فيعلم ما تاتون وما تذكرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ كالربط والحوانيت والخانات والخانقات. ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ استمتاع. ﴿لَكُمْ﴾ كالاستئذان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة، وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠﴾.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أي ما يكون نحو محرم. ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض، وقيل حفظ الفروج ها هنا خاصة سترها. ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أنفع لهم أو أطهر لما فيه من البعد عن الريبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه إجابة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال. ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ بالتستر أو التحفظ عن الزنا، وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالحلي والثياب والأصباغ فضلاً عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له. ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم فإن في سترها حرجاً، وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية، والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة

وَتَحْمِلُ الشَّهَادَةَ. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ستراً لأعناقهن. وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وهشام بضم الجيم. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له. ﴿إِلَّا لِمُؤَلَّتِهِنَّ﴾ فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج بكره. ﴿أَوْ أَبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُؤْلَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُؤْلَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب، ولهم أن ينظروا منهن ما يبدد عند المهنة والخدمة وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان أو لأن الأحوط أن يتسترن عنهم حذراً أن يصفوهم لأبنائهم ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يعني المؤمنات فإن الكافرات لا يتخرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن، وللعلماء في ذلك خلاف. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يعم الإماء والعبيد، لما روي «أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب، إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلارك». وقيل المراد بها. الإماء وعبد المرأة كالأجنبي منها. ﴿أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِزْيَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون، وفي المصنف والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئاً من أمور النساء، وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال. ﴿أَوْ الطِّفْلُ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَازِ النِّسَاءِ﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الإطلاع، أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع إكتفاء بدلالة الوصف. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ ليتحقق خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فإن ذلك يورث ميلاً في الرجال، وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت. ﴿وَتَوَوُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يكاد يخلوا أحد منكم من تفریط سيما في الكف عن الشهوات، وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه، في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر، وقرأ ابن عامر «أيّه المؤمنون» وفي «الزخرف» ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ وفي «الرحمن» ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانُ﴾ بضم الهاء في الوصل في الثلاثة والباقيون بفتحها، ووقف أبو عمرو والكسائي عليهن بالألف، ووقف الباقيون بغير الألف. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ بسعادة الدارين.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٢).

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ لما نهى عما عسى أن يفضي إلى السفاح المخل بالنسب المقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للأولياء والسادة، وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما، وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى، و «أَيْمَ» مقلوب أيايم كيتامي، جمع أيم وهو العزب ذكراً كان أو أنثى بكرةً كان أو ثيباً قال:

فَإِنْ تَنكِحْنِي أَنْكِحْ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي وَإِنْ كُنْتَ أَقْتَى مِنْكُمْ أَتَأَيَّمِ

وتخصيص «الصالحين» لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم، وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ رد لما عسى أن يمنع من النكاح، والمعنى لا يمنع فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح، أو وعد من الله بالإعانة لقوله ﷻ «اطلبوا الغنى في هذه الآية». لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةَ فَسَوْفَ يَغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾. «والله واسع» ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته. ﴿عَلِيمٌ﴾ ييسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته.

﴿وَلَيْسَتَعْفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْغَلَّةِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْمَعْرُوفِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهَا فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَلَيْسَتَعْفِيفَ﴾ وليجتهد في العفة وقمع الشهوة. ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أسبابه، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به أو بالوجدان التمكن منه. ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فيجدوا ما يتزوجون به. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ المكتابة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبك على كذا من الكتاب لأن السيد كتب على نفسه عتقه إذا أدى المال، أو لأنه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب بمعنى الجمع لأن العوض فيه يكون منجماً بنجوم بضم بعضها إلى بعض. ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمة والموصول بصلته مبتدأ خبره ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أو مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط، والأمر فيه للتدب عند أكثر العلماء لأن الكتابة معاوضة تتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية بإطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف لأن المطلق لا يعم مع أن العجز عن الأداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف، وقد روي مثله مرفوعاً. وقيل صلاحاً في الدين. وقيل مالاً وضعفه ظاهر لفظ ومعنى وهو شرط الأمر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز. ﴿وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ أمر للموالي كما قبله بأن يبدلوا لهم شيئاً من أموالهم، وفي معناه حظ شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الأكثر ويكفي أقل ما يتمول. وعن علي رضي الله تعالى عنه يحط الربع، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الثلث، وقيل ندب لهم إلى الإنفاق عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا، وقيل أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وإن كان غنياً، لأنه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري، ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة «هو لها صدقة ولنا هدية». ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ إماءكم. ﴿عَلَى الْبِعَاءِ﴾ على الزنا، كانت لعبد الله بن أبي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ فنزلت. ﴿إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا﴾ تعففاً شرط للإكراه فإنه لا يوجد دونه، وإن جعل شرطاً للنهي لم يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه، وإيثار إن على إذا لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر. ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهَا فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي لهن أوله إن تاب، والأول أوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: من بعد إكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه أن المكروه غير آئمة فلا حاجة إلى المغفرة لأن الإكراه لا ينافي المؤاخظة بالذات ولذلك حرم على المكروه القتل وأوجب عليه القصاص.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ يعني الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها الأحكام والحدود، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بالكسر في هذا وفي «الطلاق» لأنها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين، أو لأنها بينت الأحكام والحدود. ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ أو مثلاً من أمثال من قبلكم أي وقصة عجيبة مثل قصصهم، وهي قصة عائشة رضي الله تعالى عنها فإنها كقصة يوسف ومريم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني ما وعظ به في تلك الآيات، وتخصيص المتقين لأنهم المنتفعون بها؛ وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِشْكُورٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهُ

كَوْكَبٌ ذُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُونُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ .

﴿الله تُونُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم، أو على تجوز إما بمعنى منور السموات والأرض وقد قرئ به فإنه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة والأنبياء. أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: نور القوم لأنهم يهتدون به في الأمور. أو موجدهما فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم، والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عده. أو الذي به تدرك أو يدرك أهلها من حيث إنه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه ثم على البصيرة لأنها أقوى إدراكاً فإنها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات، وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل، ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها وإلا لما فارقتها فهي إذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداءً أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ولذلك سماه أنواراً، ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون، وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقه أو لاشتمالها على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ صفة نوره العجيبة الشأن، وإضافته إلى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره. ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ كصفة مشكاة، وهي الكوة الغير النافذة. وقرأ الكسائي برواية الدوري بالإمالة. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم ثاقب، وقيل المشكاة الأنبوية في وسط القنديل والمصباح القتيلة المشتعلة. ﴿الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ﴾ في قنديل من الزجاج. ﴿الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ذُرِّيٌّ﴾ مضيء متلألئ كالزهرة في صفاته وزهرته منسوب إلى الدرء وفعل كمرق من الدرء فإنه يدفع الظلام بضوئه، أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه إلا أنه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل، وقراءة أبي عمرو والكسائي «درى» كشريب وقد قرئ به مقلوباً. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أي ابتداء ثقب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالبته بزيتها، وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى ﴿الزُّجَاجَةِ﴾ بحذف المضاف، وقرئ «توقد» من تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب. ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تقع الشمس عليها حيناً بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة، أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، أو لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون، أو لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها أو في مقيأة تغيب عنها دائماً فتتركها نيئاً وفي الحديث «لا خير في شجرة ولا نبات في مقيأة ولا خير فيهما في مضحى». ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط ويصه. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته، وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه، الأول: أنه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة، أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوظ بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح، وإنما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه، وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس، أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها، ويؤيده قراءة أبي: «مثل نور المؤمن»، أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الداركة الخمس المترتبة التي منوط بها المعاش والمعاد وهي: الحساسة التي تدرك بها المحسوسات

بالحواس الخمس، والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت، والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية، والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم، والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية بقوله تعالى: **﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نَوْراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾** بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي: «المشكاة»، و «الزجاجة»، و «المصباح»، و «الشجرة»، و «الزيت»، فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالكرى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات، والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشمل عليه من المعقولات، والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية، والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها الزيتون المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية، أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين، والقوة القدسية كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكير ولا تعلم، أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة، ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متألثة في نفسها قابلة للأنوار، وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتون وإن كان بالحدس فكالزيت، وإن كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنه، ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح، فإذا استحضرتها كانت نوراً على نور. **﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾** لهذا النور الثاقب. **﴿مَنْ يَشَاءُ﴾** فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها تمامها. **﴿وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾** إثناء للمعقول من المحسوس توضيحاً وبياناً. **﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** معقولا كان أو محسوساً ظاهراً كان أو خفياً، وفيه وعد ووعد لمن تدبرها ولمن لم يكثر بها.

**﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٢٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٢٧) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٨)﴾**

**﴿فِي بُيُوتٍ﴾** متعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت، أو توقد في بعض بيوت فيكون تقييد للممثل به بما يكون تحبيراً ومبالغة فيه فإن قناديل المساجد تكون أعظم، أو تمثيلاً لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد، ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة إذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح، وفيها تكرير مؤكد لا يبيذكر لأنه من صلة أن لا فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت، والمراد بها المساجد لأن الصفة ثلاثتها. وقيل المساجد الثلاثة والتكثير للتعظيم. **﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾** بالبناء أو التعظيم. **﴿وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾** عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه. **﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾** ينزهونه أي يصلون له فيها بالغدوات والعشيات، والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل، وقرئ «والإبصال» وهو الدخول في الأصيل وقرأ ابن عامر وأبو بكر «يسبح» بالفتح على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه، وقرئ تسبح بالتاء مكسوراً لتأنيث الجمع ومفتوحاً على إسناده إلى أوقات الغدو.

**﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾** لا تشغلهم معاملة رابحة. **﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعارضة، أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء، وقيل المراد بالتجارة الشراء فإنه أصلها ومبدؤها، وقيل الجلب لأنه الغالب فيها ومنه يقال

تجر في كذا إذا جلبه وفيه إيماء بأنهم تجار. ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ عَوَّضَ فِيهِ الإِضَافَةُ مِنَ التَّاءِ الْمَعْرُوضَةِ عَنِ الْعَيْنِ السَّاقِطَةِ بِالْإِعْلَالِ كَقَوْلِهِ:

وَأَخْبَلْتُكَ عَدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

﴿وَإِتْيَاءِ الزُّكُوةِ﴾ ما يجب إخراجه من المال للمستحقين. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ مع ما هم عليه من الذكر والطاعة. ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ تضطرب وتتغير من الهول، أو تتقلب أحوالها فتتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصر، أو تتقلب القلوب مع توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق بيسبح أو لا تلهيهم أو يخافون. ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة. ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم. ﴿وَاللَّهُ يَزِدُّكَ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تقرير للزيادة وتنبه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لأغية مخيبة في العاقبة كالسراب، وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجزي، والقيعة بمعنى القاع وهو الأرض الخالية عن النبات وغيره المستوية، وقيل جمعه كجار وجيرة وقرى «بقيعات» كديمات في ديمة. ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ أي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند ميسيس الحاجة. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ﴾ جاء ما توهمه ماء أو موضعه. ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما ظنه. ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ عقابه أو زبانيته أو وجده محاسباً إياه. ﴿فَوْقَهُ حِسَابًا﴾ استعراضاً أو مجازاة. ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب. روي أنها نزلت في عتبة ابن ربيعة بن أمية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُورُهَا وَنَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠)

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ عطف على «كسراب» و «أو» للتخيير فإن أعمالهم لكونها لأغية لا منفعة لها كالسراب، ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب، أو للتنوع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب وإن كانت قبيحة فكالظلمات، أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة. ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ ذي لج أي عميق منسوب إلى اللج وهو معظم الماء. ﴿يَغْشَاهُ﴾ يغشى البحر. ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ أي أمواج مترادفة متراكمة. ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾ من فوق الموج الثاني. ﴿سَحَابٌ﴾ غطى النجوم وحجب أنوارها، والجملة صفة أخرى للـ «بحر». ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ أي هذه ظلمات. ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ وقرأ ابن كثير «ظلمات» بالجر على إبدالها من الأولى أو بإضافة الـ «سحاب» إليها في رواية البرزي. ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُورُهَا﴾ وهي أقرب ما يرى إليه. ﴿لَمْ يَكْدُورُهَا﴾ لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها كقول ذي الرمة:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُورُ رَسِيمُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةٍ يَنْبِرُحُ

والضمائر للمواقع في البحر وإن لم يجر ذكره للدلالة المعنى عليه. ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ ومن لم

يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ بخلاف الموفق الذي له نور على نور.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفْنَتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢).

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم علماً يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي أو الاستدلال. ﴿أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السموات والأرض، و ﴿مَنْ﴾ لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال. ﴿وَالطَّيْرِ﴾ على الأول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله: ﴿صَفَائِفٍ﴾ فإن إعطاء الأجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو بأسطة أجنتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع تعالى ولطف تدبيره. ﴿كُلِّ﴾ كل واحد مما ذكر أو من الطير. ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ أي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختياراً أو طبعاً لقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أو علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل إلى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع أنه لا يبعد أن يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسيحاً كما ألهمها علوماً دقيقة في أسباب تعيشها لا تكاد تهتدي إليها العقلاء. ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنه الخالق لهما وما فيهما من الذوات والصفات والأفعال من حيث إنها ممكنة واجبة الانتهاء إلى الواجب. ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ مرجع الجميع.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (٤٣).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فإنه يزجيها كل أحد. ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بأن يكون قرعاً فيضم بعضه إلى بعض، وبهذا الاعتبار صح بينه إذ المعنى بين أجزائه، وقرأ نافع برواية ورش ﴿يُولَفُ﴾ غير مهموز. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ متراكماً بعضه فوق بعض. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ الْمَطَرُ﴾ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل، وقرىء من «خلله». ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء. ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾ من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها. ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ بيان للجبال والمفعول محذوف أي «ينزل» مبتدأ ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ من جبال فيها من برد، برداً، ويجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول، وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر، وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحاباً، فإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً، وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً وإلا نزل برداً، وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً. ينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك لا بد أن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالتها وأوقاتها وإليها أشار بقوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ والضمير لل «برد». ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ ضوء برقه، وقرىء بالمد بمعنى العلو ويادغام الدال في السين «ويَرْقَهُ» بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة ويضمها للاتباع. ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث إنه توليد للضد من الضد، وقرىء «يذهب» على زيادة الباء.

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ

يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ .

﴿يَقْلُبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر، أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما تقدم ذكره. ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ حيوان يدب على الأرض. وقرأ حمزة والكسائي «خالق كل دابة» بالإضافة. ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ هو جزء مادته، أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل إذ من الحيوانات ما يتولد عن النطفة، وقيل ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ متعلق بـ ﴿دَابَّةٍ﴾ وليس بصلة. ﴿خَلَقَ﴾. ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحية وإنما سمي الزحف مشياً على الاستعارة أو المشاكلة. ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطيور. ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب فإن اعتمادها إذا مشت على أربع، وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الأصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطاً ومركباً على اختلاف الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يشاء.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَكَّفُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ .

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ للحقائق بأنواع الدلائل. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها. ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾ نزلت في بشر المنافق خاصم يهودياً فدعاه إلى كعب بن الأشرف وهو يدعو إلى النبي ﷺ. وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليّاً رضي الله عنه في أرض فابى أن يحاكمه إلى رسول الله ﷺ. ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أي وأطعناهما. ﴿ثُمَّ يَتَوَكَّفُ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه. ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد قولهم هذا. ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى القائلين بأسرهم فيكون إعلاماً من الله تعالى بأن جميعهم وإن آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم، أو إلى الفريق منهم وسلب الإيمان عنهم لتوليهم، والتعريف فيه للدلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الإيمان والثابتون عليه.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي ليحكم النبي ﷺ فإنه الحاكم ظاهراً والمدعو إليه، وذكر الله لتعظيمه والدلالة على أن حكمه ﷺ في الحقيقة حكم الله تعالى ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم، وهو شرح للتولي ومبالغة فيه.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ أَيْ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَوْ أَرْقَابُهُمْ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ .

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي الحكم لا عليهم. ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم، و

﴿إِلَيْهِ﴾ صلة لـ ﴿يَأْتُوا﴾ أو لـ ﴿مُذْعِنِينَ﴾ وتقديمه للاختصاص.

﴿أَفَبَىٰ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كفر أو ميل إلى الظلم. ﴿أَمْ أَرَأَيْتُمْ﴾ بأن رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك. ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ في الحكومة. ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إضراب عن القسمين الآخرين لتحقيق القسم الأول، ووجه التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم، والثاني إما أن يكون محققاً عندهم أو متوقفاً وكلاهما باطل، لأن منصب نبوته وفرط أمانته ﷺ يمنعه فتعين الأول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو إلى حكمه.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٢).

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبية على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي، وقرئ: ﴿قَوْلٌ﴾ بالرفع و ﴿لِيَحْكُمَ﴾ على البناء للمفعول وإسناده إلى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما يأمرانه أو في الفرائض والسنن. ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ على ما صدر عنه من الذنوب. ﴿وَيَتَّقْهُ﴾ فيما بقي من عمره، وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو بكر وأبو عمرو يسكون الهاء، وحفص يسكون القاف فشبهه تقه بكتف وخفف والهاء ساكنة في الوقف بالاتفاق. ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالنعيم المقيم.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتُمْ لَنَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٤).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ إنكار للامتناع عن حكمه. ﴿لَئِنْ أَمَرْتُمْ﴾ بالخروج عن ديارهم وأموالهم. ﴿لَنَخْرُجُنَّ﴾ جواب لـ ﴿أَقْسَمُوا﴾ على الحكاية. ﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا﴾ على الكذب. ﴿طَاعَةً مَّعْرُوفَةً﴾ أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكرة. أو ﴿طَاعَةً مَّعْرُوفَةً﴾ أمثل منها أو لتكون طاعة، وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلا يخفى عليه سرائركم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبييتهم. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ أي على محمد ﷺ. ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ. ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من الامتثال. ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ في حكمه. ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق. ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به، وقد أدى وإنما بقي ﴿مَا حُمِّلْتُمْ﴾ فإن أدبتم فلکم وإن توليتم فعليكم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَبَدِ فِي قَبْلِهِمْ وَلَيَسْخَرَنَّهُمْ فِي دِينِهِمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥٥).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ خطاب للرسول ﷺ وللأمة أوله وللمن معه ومن المان ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ليجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم، وهو جواب قسم مضمرة تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم، أو الوعد في تحقيقه منزل منزلة القسم. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة، وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام وإذا ابتداء ضم الألف والباقون بفتحهما وإذا ابتدؤوا كسروا الألف. «وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ» وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت. «وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ» من الأعداء، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف. «أَمَنَّا» منهم وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ثم هاجروا إلى المدينة وكان يصبحون في السلاح ويمسكون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب، وفيه دليل على صحة النبوة للإخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالإجماع. وقيل الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة. «يَعْبُدُونَنِي» حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد، أو استئناف ببيان المقضي للاستخلاف والأمن. «لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين. «وَمَنْ كَفَرَ» ومن ارتد أو كفر هذه النعمة. «يَعَذِّبْ ذَلِكَ» كبعد الوعد أو حصول الخلافة. «فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزَاتِ  
فِي الْأَرْضِ وَمَاؤُهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فإن الفاصل وعد على المأمور به، فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول ﷺ للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هي فيه بقوله: «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» كما علق به الهدى.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزَاتِ فِي الْأَرْضِ﴾ لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين لله عن إدراكهم وإهلاكهم، و «فِي الْأَرْضِ» صلة «معجزين». وقرأ ابن عامر وحزمة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد ﷺ، والمعنى كما هو في القراءة بالتاء أو «الذين كفروا» فاعل والمعنى ولا يحسبن الكفار في الأرض أحداً معجزاً لله، فيكون «معجزين في الأرض» مفعوليه أو لا يحسبونهم «معجزين» فحذف المفعول الأول لأن الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتمى بذكر اثنين عن الثالث. «وَمَاؤُهُمُ النَّارُ» عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل: الذين كفروا ليسوا بمعجزين وماؤهم النار، لأن المقصود من النهي عن الحساب تحقيق نفي الإعجاز. «وَلَيْسَ الْمَصِيرُ» المأوى الذي يصيرون إليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَبَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَإِنْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ مُكَافَآتٌ عَلَيْكُمْ بِبَعْضِ مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٨).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ رجوع إلى تنمة الأحكام السالفة بعد الفراغ من الإلهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الإعراض عنها، والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت. وقيل أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاماً وقت الظهيرة ليدعو عمر، فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لوددت أن الله عز وجل نهى آبائنا وأبنائنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت هذه الآية: «وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ» والصبيان الذين لم يبلغوا من الأحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لأنه أقوى دلائله. «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» في اليوم والليلة مرة. «مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ» لأنه وقت القيام من

المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة، ومحلّه النصب بدلاً من ثلاث مرات أو الرفع خيراً لمحذوف أي هي من قبل صلاة الفجر. ﴿وَجِئَ تَضُمُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ أي ثيابكم لليقظة للقليلة. ﴿مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ بيان للحين. ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف. ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ أي هي ثلاث أوقات يختل فيها تستركم، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور. وقرأ أبو بكر وحزمة والكسائي ﴿ثَلَاثَ﴾ بالنصب بدلاً من ﴿ثَلَاثَ مَرَاتٍ﴾. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان، وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسحبها لأنه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين. ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة، وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ طائف على بعض أو يطوف بعضهم على بعض. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين. ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي الأحكام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لكم.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٦٠﴾.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الذين بلغوا من قبلهم في الأوقات كلها، واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيده، وجوابه أن المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيماً للمماليك فلا يندرجون فيهم. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرره تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل. ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب، والفاء فيه لأن اللام في ﴿القواعد﴾ بمعنى اللاتي أو لوصفها بها. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة مما أمرن بإخفائه في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم: سفينة بارجة لا غطاء عليها، والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء، إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ من الوضع لأنه أبعد من التهمة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لمقاتلتهن للرجال. بمقصودهن.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِدُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٦١﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ نفي لما كانوا يتخرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم، أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح وبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب، أو من إجابة من دعوهم إلى

بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلاً عليهم، وهذا إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة أو كان في أول الإسلام ثم نسخ بنحو قوله ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾. وقيل نفي للخرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده. ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام «أنت ومالك لأبيك»، وقوله عليه السلام «إن أطيّب ما يأكل المؤمن من كسبه وإن ولده من كسبه». ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾ وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظاً. وقبل بيوت الممالك والمفاتيح جمع مفتاح وهو ما يفتح به وقرىء «مفتاحه». ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾. أو بيوت صديقكم فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به، وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط، هذا كله إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة ولذلك خصص هؤلاء فإنه يعتاد التبسط بينهم، أو كان ذلك في أول الإسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على أن لا قطع بسرقة مال المحرم. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث ابن عمرو من كنانة كانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده. أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه. أو في قوم تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبايع في الفذارة والنعمة. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ من هذه البيوت ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة. ﴿تَجِيءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، ويجوز أن تكون صلة للتحية فإنه طلب الحياة وهي من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لأنها بمعنى التسليم. ﴿مُبَارَكَةٌ﴾ لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب. ﴿طَيِّبَةٌ﴾ تطيب بها نفس المستمع. وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال لي «متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين». ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ كرره ثلاثاً لمزيد التأكيد وتفخيم الأحكام المختمة به وفصل الأولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي الحق والخير في الأمور.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ

الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون في الإيمان. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ من صميم قلوبهم. ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور، ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرىء «أمر جميع». ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا﴾ يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم، واعتباره في كمال الإيمان لأنه كالصدق لصحته والتمييز للمخلص فيه عن المناق في دينه التسلل والفرار، ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه ولذلك أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فإنه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وأن الذهاب بغير إذن ليس كذلك. ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ما يعرض لهم من المهام، وفيه أيضاً مبالغة وتضييق الأمر. ﴿فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ تفويض للأمر إلى رأي الرسول ﷺ، واستدل به على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى: فأذن لمن علمت أن له عذراً. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾ بعد الإذن فإن الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لقرطات العباد.

﴿رَحِيمٌ﴾ بالتيسير عليهم.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٢).

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته عليه السلام واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة. وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات، ولكن بقلبه المعظم مثل يا نبي الله، ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت، أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فإن دعاءه موجب، أو لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه مستجاب. ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾ ينسلون قليلاً قليلاً من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل. ﴿لِوَاذًا﴾ ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج، أو يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً خلاف سمتة، و ﴿عَنْ﴾ لتضمنه معنى الإعراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه، وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى، فإن الأمر له في الحقيقة أو للرسول فإنه المقصود بالذكر. ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة واستدل به على أن الأمر للوجوب فإنه يدل على أن ترك مقتضى الأمر مقتضى لأحد العذابين، فإن الأمر بالاحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب.

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٤).

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص، وإنما أكد علمه بـ ﴿قَدْ﴾ لتأكيد الوعيد. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء، ويجوز أن يكون الخطاب أيضاً مخصوصاً بهم على طريق الإلتفات، وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم. ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ من سوء الأعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه خافية.

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة النور أُعْطِيَ من الأجرِ عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي».

## (٢٥) سورة الفرقان

**مكية وآيها سبع وسبعون آية**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَتَّخِذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا نَقِيرًا﴾ (٢).

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير، أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، فإن البركة تتضمن معنى الزيادة، وترتيبه عن إنزاله ﴿الفرقان﴾ لما فيه من كثرة الخير أو لدلالته على تعاليه. وقيل دام من برك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها، وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل إلا الله تعالى و ﴿الفرقان﴾ مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو المحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصلاً بعضه عن بعض في الإنزال، وقرئ «على عباده» وهم رسول الله ﷺ وأمنه كقوله تعالى: ﴿وقد أنزلنا إليكم آيات﴾ أو الأنبياء على أن ﴿الفرقان﴾ اسم جنس للكتب السماوية. ﴿لِيَكُونَ﴾ العبد أو الفرقان. ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للجن والإنس. ﴿نَذِيرًا﴾ منذاراً أو إنذاراً كالتكبير بمعنى الإنكار، هذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بدل من الأول أو مدح مرفوع أو منصوب. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كزعم النصارى. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كقول الثوبة أثبت له الملك مطلقاً ونفي ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة. ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فقدره وهياه لما أراد منه من الخصائص والأفعال، كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك، أو ﴿فقدرة﴾ للبقاء إلى أجل مسمى. وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتاً.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا تُشْعِرُونَ﴾ (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤).

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ لما تضمن الكلام إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ ولا يستطيعون. ﴿لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾ دفع ضرر. ﴿وَلَا تُشْعِرُونَ﴾ ولا يملكون إماتة أحد وإحياءه أولاً وبعثه ثانياً ومن كان كذلك فمعزل عن الألوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها، وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب مصروف عن وجهه. ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلقه. ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ أي اليهود فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وهو يعبر عنها بعبارته، وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله ﴿إنما يعلمه بشر﴾. ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا﴾ يجعل الكلام المعجز ﴿إِنكًا﴾ مختلفاً متلفاً من اليهود. ﴿وَزُورًا﴾ بنسبة ما هو بريء منه إليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ اُكْتَتَبَهَا فِيهِ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدمون. ﴿اُكْتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه أو استكتبها، وقرئ على البناء للمفعول لأنه أُمي وأصله: اكتبها كاتب له؛ فحذف اللام وأضى الفعل إلى الضمير فصار اكتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه: ﴿نَهَى تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ليحفظها فإنه أُمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب.

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه أخباراً عن مغيبات مستقبلية وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف تجعلونه ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. ﴿إِنَّهُ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِقُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم. ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما نأكل. ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، والمعنى إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا، وذلك لعدمهم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تميز الرسل عن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه تعالى بقوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾. ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك.

﴿أَوْ يُنْفِقُ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش. ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ هذا على سبيل التنزل أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه، وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير للكفار. ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ وضع ﴿الظالمون﴾ موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوه. ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ ما تتبعون. ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ سحر فغلب على عقله، وقيل ذا سحر وهو الرثة أي بشراً لا ملكاً.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَبَرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة. ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي والتمييز بينه وبين المتنبئ فخطبوا خطب عشواء. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى القدح في نبوتك أو إلى الرشد والهدى.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدنيا. ﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ مما قالوا لكن آخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى. ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بدل من ﴿خيرًا﴾. ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ عطف على محل الجزاء، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ

ويجوز أن يكون استئنافاً بوعده ما يكون له في الآخرة، وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١١) إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبِينُ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا (١٢).

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن الكرامة إنما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك، أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة، أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة، أو فلا تعجب من تكذيبهم إياك فإنه أعجب منه. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة الاستعار، وقيل هو اسم لجحهم فيكون صرفه باعتبار المكان.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ إذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام «لا تترأى ناراها» أي لا تتقاربان بحيث تكون إحداها بمرأى من الأخرى على المجاز والتأنيث لأنه بمعنى النار أو جهنم. ﴿مِنْ مَّكَانٍ يَبِينُ﴾ هو أقصى ما يمكن أن يرى منه. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ صوت تغيط، شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه، هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيط وتزفر. وقيل إن ذلك لزيانيتها فنسب إليها على حذف المضاف.

﴿وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤).

﴿وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا﴾ في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالاً. ﴿ضَيِّقًا﴾ لزيادة العذاب فإن الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها كعرض السموات والأرض. ﴿مُقَرَّبِينَ﴾ ترنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل. ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان. ﴿ثُبُورًا﴾ هلاكاً أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون تعال يا ثبوره فهذا حينك.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ أي يقال لهم ذلك. ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لأن عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدة، أو لأنه يتجدد لقوله تعالى: ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور.

﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ (١٥) هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا (١٦).

﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتفريق مع التهكم أو إلى الـ ﴿كنز﴾ و الـ ﴿جنة﴾، والراجع إلى الموصول محذوف وإضافة الـ ﴿جنة﴾ إلى ﴿الخلد﴾ للمدح أو للدلالة على خلودها، أو التمييز عن جنات الدنيا. ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله أو اللوح، أو لأن ما وعده الله تعالى في تحقيقه كالواقع. ﴿جَزَاءً﴾ على أعمالهم بالوعد. ﴿وَمَصِيرًا﴾ ينقلبون إليه، ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب

لأنهم في مقابلتهم.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ ما يشاؤونه من النعيم، ولعله تقصر هم كل طائفة على ما يليق برتبته إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي، وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة. ﴿خَالِدِينَ﴾ حال من أحد ضمائرهم. ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلاً﴾ الضمير في ﴿كان﴾ لـ ﴿ما يشاءون﴾ والوعد الموعود أي: كان ذلك موعوداً حقيقاً بأن يسأل ويطلب، أو مسؤولاً سأله الناس في دعائهم ﴿ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك﴾. أو الملائكة بقولهم ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾، وما في ﴿على﴾ من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز، فإن تعلق الإرادة بالوعد مقدم على الوعد الموجب للإنجاز.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧).

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ للجزاء، وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء. ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعم كل معبود سواه تعالى، واستعمال ﴿ما﴾ إما لأن وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف، أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم أو تغليب الأصنام تحقيراً أو اعتبار الغلبة عبادها، أو يخص الملائكة وعزيراً والمسيح بقرينة السؤال والجواب، أو الأصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الأيدي والأرجل. ﴿فَيَقُولُ﴾ أي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب، وقرأ ابن عامر بالنون. ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح، وهو استغهام تقريع وتبكيت للعبدة، وأصله ﴿أَضَلَلْتُمْ﴾ أم ﴿ضَلُّوا﴾ فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لأنه لا شبهة فيه وإلا لما توجه العتاب، وحذف صلة الضل مبالغة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَأَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨) ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسَكُمْ تُظْلِمُ نَفْسُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٩).

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تعجباً مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون، أو جمادات لا تقدر على شيء أو إشعاراً بأنهم الموسومون بتسييحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبيده، أو تنزيهاً لله تعالى عن الأنداد. ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا﴾ ما يصح لنا. ﴿أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ للمصمة أو لعدم القدرة فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحداً دونك، وقرئ ﴿نَتَّخِذُ﴾ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ومفعوله الثاني ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ و ﴿مَنْ﴾ للتبويض وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي. ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَأَهُمْ﴾ بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات. ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك، وهو نسبة للضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه، وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ في قضائك. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ مالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع، أو جمع باثر كعائد وعود.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون. ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في، أو مع المجرور بدل من

الضمير، وعن ابن كثير بالياء أي: ﴿كَلْبُوكُمْ﴾ بقولهم ﴿سَبَّحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا﴾. ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين. ﴿صَرْفًا﴾ دفعاً للعذاب عنكم، وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال. ﴿وَلَا تُصْرَأَ﴾ يعنيكم عليه. ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أيها المكلفون. ﴿ثَلَاثَةُ عَذَابٍ كَبِيرٍ﴾ هي النار والشرط وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وإفاقاً، وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعاً وبالعفو عندنا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي إلا رسلاً إنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾، ويجوز أن تكون حالاً اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾. وقرئ «يمشون» أي تمشيهم حوائجهم أو الناس. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ أيها الناس. ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء، والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العدواة وإيذائهم لهم، وهو تسلية لرسول الله ﷺ على ما قاله بعد نقضه، وفيه دليل على القضاء والقدر. ﴿أَنْتَصِرُونَ﴾ علة للمجعل والمعنى ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى: ﴿لِيَلْوَكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أو حث على الصبر على ما افتتوا به. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر أو بالصواب فيما يتبلى به وغيره.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يأملون. ﴿لِقَاءَنَا﴾ بالخير لكفرهم بالبعث، أولاً يخافون ﴿لِقَاءَنَا﴾ بالشر على لغة تهامة، وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية فإنه وصول إلى المربي، والمراد به الوصول إلى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول. ﴿لَوْلَا﴾ هلا. ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فتخبرنا بصدق محمد ﷺ، وقيل فيكونوا رسلاً إلينا. ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه. ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق لأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها وما هو أعظم من ذلك. ﴿وَعَتَوْا﴾ وتجاوزوا الحد في الظلم. ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بالغاً أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية، واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله:

وَجَارَةٌ جَسَّاسٌ أَبَانَا بِنَابِهَا كَلْبِيَاءَ عَلَتْ نَابُ كَلْبِيٍّ بِوَاوِهَا

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَيْجَرًا نَّحْجُرًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْكَ مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ ملائكة الموت أو العذاب، و «يوم» نصب باذكر أو بما دل عليه. ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ فإنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها، و «يومئذ» تكرير أو خبر و «للمجرمين» تبين أو خبر ثان أو ظرف لما يتعلق به اللام، أو لـ «بشرى» إن قدرت منونة غير مبنية مع «لا» فإنها لا تعمل، ولد «مجرمين» إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر، وإما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلاً على جرمهم

وإشعاراً بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها. ﴿وَيَقُولُونَ جِئْنَا بِمَحْجُورٍ﴾ عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حيثئذ، هذه الكلمة استعازة وطلباً من الله تعالى أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه، أو تقولها الملائكة بمعنى حراماً محرماً عليكم الجنة أو البشرى. وقرئ «حجراً» بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه، ووصفه بـ ﴿محجوراً﴾ للتأكيد كقولهم: موت مائت.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْأَ مَنْثُورٍ﴾ أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره، وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم إلى أشياءهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثر، وال «نبأ» غبار يرى في شعاع يطلع من الكوة من الهبة وهي الغبار، و «منثوراً» صفته شبه عملهم المحبط بالهباء في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها، أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤).

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ مكاناً يستقر فيه أكثر الأوقات للتجالس والتحدث. ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مكاناً يؤوى إليه للاسترواح بالأزواج والتمتع بهن تجوزاً له من مكان القيلولة على التشبيه، أو لأنه لا يخلو من ذلك غالباً إذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمز إلى ما يتميز به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين، ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة، والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقاً أو بالإضافة إلى ما للمتفرقين في الدنيا. روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالسَّحَابِ وَتَزِلُّ اللَّيْلُكَ تَزِيلًا﴾ (٢٥) ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٢٦).

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ﴾ أصله تشقق فحذفت التاء، وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب. ﴿بِالسَّحَابِ﴾ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾. ﴿وَتَزِلُّ اللَّيْلُكَ تَزِيلًا﴾ في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد، وقرأ ابن كثير «ونزل» وقرئ «ونزلت» «وأنزل» «ونزل الملائكة» بحذف نون الكلمة.

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه فهو الخبر و «لِلرَّحْمَنِ» صلته، أو تبين و «يومئذ» مفعول «الملك» لا «الحق» لأنه متأخر أو صفته والخبر «يومئذ» أو «لِلرَّحْمَنِ». ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ شديداً.

﴿وَيَوْمَ يَعْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَوْ أَنَا خَلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩).

﴿وَيَوْمَ يَعْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ من فرط الحسرة، وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كناية عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما، والمراد بـ «الظالم» الجنس. وقيل عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي ﷺ، فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل، وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال: لا، ولكن ألى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحيت منه

فشهدت له، فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه قطعاً صفاء وتبزيق في وجهه، فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: لا أفاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر فأمر علياً فقتله وطمعن أياً بأخذ في المبارزة فرجع إلى مكة ومات. ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ طريقاً إلى النجاة أو طريقاً واحداً وهو طريق الحق ولم تشعب بي طرق الضلالة.

﴿يَا وَيْلَتَى﴾ وقرئ بالياء على الأصل. ﴿لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً﴾ يعني من أضله وفلان كناية عن الأعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول، أو كلمة الشهادة. ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ وتمكنت منه. ﴿وَوَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول، أو كل من تشيطن من جن وإنس. ﴿لِلْإِنْسَانِ خُدُولاً﴾ يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه، فعول من الخذلان.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد يومئذ أو في الدنيا بناً إلى الله تعالى. ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً. ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ بأن تركوه وصدوا عنه، وعنه عليه الصلاة والسلام «من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعامله ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً أقض بيني وبينه» أو هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين، فيكون أصله ﴿مهجوراً﴾ فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول، وفيه تخويف لقومه فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما جعلناه لك قاصبر كما صبروا، وفيه دليل على أنه خالق الشر، والعدو يحتمل الواحد والجمع. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ إلى طريق قهرهم. ﴿وَنَصِيرًا﴾ لك عليهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي كذلك أنزلناه مفرقاً لتقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه، لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة والسلام أمياً وكانوا يكتبون، فلو ألقى عليه جملة لعل بحفظه، ولعله لم يستتب له فإن التلقف لا يتأتى إلا شيئاً فشيئاً، ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى، ولأنه إذا نزل منجماً وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه، ولأنه إذا نزل به جبريل حالاً بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية، فإنه يعين على البلاغة، وكذلك صفة مصدر محذوف والإشارة إلى إنزاله مفرقاً فإنه مدلول عليه بقوله ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالاً والإشارة إلى الكتب السابقة، واللام على الوجهين متعلق بمحذوف. ﴿وَوَرَّأْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تودة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين وأصل الترتيل في الأسنان وهو تفليجها.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣٤).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك. ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الدامخ له في جوابه. ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم، أو ﴿لَا يَأْتُونَكَ﴾ بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي مقلوبين أو مسحوبين عليها، أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها. وعنه عليه الصلاة والسلام «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف، صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه» وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبداً خبره. ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ والمفضل عليه هو الرسول ﷺ على طريقة قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذُكِّرُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ﴾ كأنه قيل إن حاملهم على هذه الأسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكاناً وأضل سبيلاً، وقيل إنه متصل بقوله ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَوصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ (٣٥) فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ (٣٦) وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٧).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة، لأن المشاركين في الأمر متوازرين عليه.

﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ يعني فرعون وقومه. ﴿بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أي فذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم، فاقصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع، وقرئ «فدمرتهم» «فدمراهم» «فدمرناهم» على التأكيد بالنون الثقيلة.

﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ كذبوا نوحاً ومن قبله، أو نوحاً وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقاً كالإبراهيم. ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم. ﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عبرة. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعاً للظاهر موضع المضمّر تظليماً لهم.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٣٨) وَكُلًّا صَرْنَا لَهُ الْأَمَثِلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ (٣٩).

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ عطف على هم في «جعلناهم» أو على «الظالمين» لأن المعنى ووعدنا الظالمين، وقرأ حمزة وحفص «وثمود» على تأويل القبيلة. ﴿وَأَصْحَابَ الرِّسِّ﴾ قوم كان يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم شعبياً فكذبوه، فبينما هم حول الرس وهي البشر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم. وقيل «الرس» قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا. وقيل الأخدود وقيل بثر بأنطاكية قتلوا

فيها حبيباً النجار، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاههم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون، وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد، ولذلك سميت مغرباً فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم أنهم قتلوه فأهلكوا. وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر. ﴿وَقُرُونًا﴾ وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون. ﴿يَبَيِّنُ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر. ﴿كَثِيرًا﴾ لا يعلمها إلا الله.

﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا كما قال: ﴿وَكَلَّا تَبَرَّأَ تَبِيرًا﴾ ففتناه تفتيتاً ومنه التبر لفتات الذهب والفضة، ﴿وَكَلَّا﴾ الأول منصوب بما دل عليه ﴿ضربنا﴾ كأندرننا والثاني بـ ﴿تبرنا﴾ لأنه فارغ.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّيِّئَةَ﴾ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُونَ بِأَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ يعني قريشاً مروا مراراً في متاجرهم إلى الشام. ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّيِّئَةَ﴾ يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُونَ بِأَلْ﴾ في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُشُورًا﴾ بل كانوا كفره لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون طمعاً في الثواب، أو لا يخافونه على اللغة التهامية.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ما يتخذونك إلا موضع هزء أو مهزوءاً به. ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ محكي بعد قول مضمّر والإشارة للإستحقار، وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم يجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولاً.

﴿إِنْ﴾ إنه ﴿كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهداه في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يوردها مما يسبق إلى الذهن بأنها حجاج ومعجزات. ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها و ﴿لَوْلَا﴾ في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب لقولهم ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له، وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أهملهم.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً، وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به. ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الأول للتقرير والتعجب والثاني للإنكار.

﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ بل أتحسب. ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتتهم بشأنهم وتطمع في إيمانهم، وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه، وتخصيص الأكثر لأنه كان

منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكباراً وخوفاً على الرئاسة. ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم انتفاعهم بقرع الآيات أذاتهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات. ﴿بَلْ هُمْ أَصْلُ سَبِيلٍ﴾ من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدا وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا يتقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار، ولأنها إن لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شراً، بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق، ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَيْكَ﴾ ألم تنظر إلى صنعه. ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ كيف بسطه أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ربك، فغير النظم إشعاراً بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه، أو ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مده الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال، فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس: يسخن الجو ويبهز البصر، ولذلك وصف به الجنة فقال ﴿وَوَظِلٌّ مَدْدُودٌ﴾. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ ثابتاً من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام، أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ أي أزلناه بإيقاع الشمس موقعه لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو في معنى الكف. ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس ليتنظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق، و ﴿ثُمَّ﴾ في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها، وقيل ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ لما بنى السماء بلا نير، ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحالة، ثم خلق الشمس عليه دليلاً، أي مسلطاً عليه مستتباً إياه كما يستتبع الدليل المدلول، أو دليل الطريق من يهديه فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ شيئاً فشيئاً إلى أن تنتهي غاية نقصانه، أو ﴿قَبْضًا﴾ سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلمة والمظل عليها.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبه ظلامه باللباس في ستره. ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع المشاغل، وأصل السبت القطع أو موتاً كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ لأنه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت. ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش، أو بعث من النوم بعث الأموات فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور. وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ لِنُخْشِي بِهِ.

بَلَدَةٍ مَّيِّتًا وَنَسْفَيْمُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وقرأ ابن كثير على التوحيد إرادة للجنس. ﴿نُشْرًا﴾ ناشرات للحساب جمع نشور، وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به ويفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم ﴿بِشْرًا﴾ تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر ﴿بَيْنَ يَدَيَّ رَحْمَتِهِ﴾ يعني قدام المطر. ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهراً لقوله ﴿ليطهركم به﴾. وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به. قال عليه الصلاة والسلام «التراب طهور المؤمن»، «طهور إناء أحلكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعا أحداهن بالتراب». وقيل بليغاً في الطهارة وفعل وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول وللإسم كالذنوب، وتوصيف الماء به إشعاراً بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهناً وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته، وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى.

﴿لِنُخَبِّرِي بِهَ بَلَدَةٍ مَّيِّتًا﴾ بالنبات وتذكير ﴿ميتاً﴾ لأن البلدة في معنى البلد، ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد. ﴿وَنُسْفِي مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا﴾ يعني أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الأنعام والأناسي، وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار، والمنافع فيهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة، فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم وعلية معاشهم منوطة بها، ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها، وقرئ «نسفيه» بالفتح وسقى وأسقى لغتان، وقيل أسقاه جعل له سقياً «وأناسي» بحذف ياء وهو جمع انسي أو إنسان كظرابي في ظربان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب، أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما، وعن ابن عباس رضي الله عنه: «ما عام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية» أو في الأنهار والمنافع. ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره، أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم. ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها، أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا، ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء كان كافراً بخلاف من يرى أنها من خلق الله، والأنواء وسائط وأمارات بجعله تعالى.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطُعِ الْكَافِرِينَ وَجَهَنَّمُ بِهِ جِهَادًا كَثِيرًا﴾ .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ نبياً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قَصَرْنَا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرسل، فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق.

﴿فَلَا تَطُعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه، وهو تهيج له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين. ﴿وَجَهَنَّمُ بِهِ﴾ بالقرآن أو بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع، والمعنى أنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم

بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم. ﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾ لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف، أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم، أو لأنه جهاد مع كل الكفرة لأنه مبعوث إلى كافة القرى.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْرًا مَحْجُوراً﴾

﴿٥٢﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته إذا خلاها. ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ قانع للعطش من فرط عذوبته. ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بليغ الملوحة، وقرئ «ملح» على فعل ولعل أصله مالح فخفف كبرد في بارد. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ حاجزاً من قدرته. ﴿وَحِجْرًا مَحْجُوراً﴾ وتنافراً بليغاً كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوز للمتعوذ عنه، وقيل حداً محدوداً وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها، وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضام وتلاصقت وتشابهت في الكيفية.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ﴿٥٣﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ يعني الذي خمر به طينة آدم، أو جعله جزءاً من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الأشكال والهيئات بسهولة، أو النطفة. ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم، وذاتاً صهر أي إنثاءً يصاهر بهن كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنَ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ حيث خلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين، وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكراً وأنثى.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعني الأصنام أو كل ما عبد من دون الله إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضرر. ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ يظهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد به الكافر الجنس أو أبو جهل. وقيل هيناً مهيناً لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهره فيكون كقوله «ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم».

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مِن شَاءٍ أَن يَتَّخِذَ إِلَٰهَ رَبِّهِ

سَبِيلًا ﴿٥٦﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ للمؤمنين والكافرين.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. ﴿مِن أَجْرِ إِلَّا مَن شَاءَ﴾ إلا فعل من شاء. ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة، فصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله واستثناءه منه قلماً لشبهة الطمع وإظهاراً لغاية الشفقة، حيث اعتد بإنفاعك نفسك بالتعرض للشواب والتخلص عن العقاب أجراً وافياً مرضياً به مقصوراً عليه، وإشعاراً بأن طاعتهم تعود عليه بالشواب من حيث إنها بدالاته. وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُّوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ۖ﴾ (٥٨) ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَبِّحْ لَهُ خَيْرًا ۖ﴾ (٥٩).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ في استكفاء ضرورهم والإغناء عن أجورهم، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ ونزله عن صفات النقصان مثباً عليه بأوصاف الكمال طالباً لمزيد الأنعام بالشكر على سوابغه. ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُّوبَ عِبَادِهِ﴾ ما ظهر منها وما بطن. ﴿خَيْرًا﴾ مطلعاً فلا عليك أن آمنوا أو كفروا.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ قد سبق الكلام فيه، ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقاً بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه، وتحريض على الثبات والثبات في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تودة وتدرج، و ﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر للذي إن جعلته مبتداً ولمحذوف إن جعلته صفة للمحي، أو بدل من المستكن في ﴿استوى﴾ وقرئ بالجبر صفة للمحي. ﴿فَسَبِّحْ بِهِ خَيْرًا﴾ فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالماً يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى، أو جبريل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه، وقيل الضمير ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم، وعلى هذا يجوز أن يكون ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مبتداً والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالياء لتضمنه معنى الاعتناء. وقيل إنه صلة ﴿خَيْرًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۖ﴾ (٦٠) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۖ﴾ (٦١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله، أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره ولذلك قالوا: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي للذي تأمرنا يعني تأمرنا بسجوده أو لأمرنا من غير عرفان. وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعه. وقرأ حمزة والكسائي «يأمرنا» بالياء على أنه قول بعضهم لبعض. ﴿وَزَادَهُمْ﴾ أي الأمر بالسجود ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾. ﴿نُفُورًا﴾ عن الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ يعني الشمس لقوله ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾. وقرأ حمزة والكسائي «سراجاً» وهي الشمس والكواكب الكبار. ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ مضيئاً بالليل، وقرئ «وقمراً» أي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۖ﴾ (٦٢).

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي ذوي خليفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه، أو بأن يعتقبا لقوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾. وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة. ﴿لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ﴾ بأن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد. ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أن يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم، أو ليكونا وقتين للمتذكرين الشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخرة، وقرأ حمزة ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾ من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤﴾.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ خبره ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ الغرفة﴾ أو: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ وإضافتهم إلى ﴿الرحمن﴾ للتخصيص والتفضيل، أو لأنهم الراسخون في عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار. ﴿هَوْنًا﴾ هينين أو مشياً هيناً مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ تسليماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر، أو سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم، ولا ينافيه آية القتال لتسخره فإن المراد به الإغضاء. عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ في الصلاة، وتخصيص البيوتة لأن العبادة بالليل أحمز وأبعد عن الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر أجري مجراه.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ لازماً ومنه الغريم لملازمته، وهو إيدان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي بنست مستقرًّا، وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم إن، أو أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقرًّا حال أو تمييز والجملة تعليل لليلة الأولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والإبتداء من الله.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ولم يضيّقوا تضيق الشحيح. وقيل الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء وكسر التاء من أقترو، وقرأ بالتشديد والكل واحد. ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وسطاً عدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما، وقرأ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة، ويجوز أن يكون الخبر بين ذلك لغوًّا، وقيل إنه اسم ﴿كان﴾ لكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن وهو ضعيف لأنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشئ عن نفسه.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهْكًا ۝٦٩﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي حرّمها بمعنى حرم قتلها. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ متعلق القتل المحذوف، أو بلا يقتلون ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ نفى عنهم أمهات المعاصي بعدما أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمال إيمانهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك، وتعريضاً للكفرة بأضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديداً لهم. فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزاء إثم أو إثمًا بإضمار الجزاء، وقرأ «أيامًا» أي شدائد يقال يوم ذو أيام أي صعب.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بدل من ﴿يلقى﴾ لأنه في معناه كقوله:

مَتَى تَأْتِيْنَا تُلِمُّم بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجُجَا

وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك: ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ وابن كثير ويعقوب ﴿يضعف﴾ بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الألف في «يضعف»، وقرىء «ويخلد» على بناء المفعول مخففاً، وقرىء مثقلاً وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية إلى الكفر ويدل عليه قوله:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم، أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة. وقيل بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه، أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثواباً. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فلذلك يعفو عن السيئات ويثبت على الحسنات.

﴿وَمَنْ تَابَ﴾ عن المعاصي بتركها والندم عليها. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يتلافى به ما فرط، أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة. ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾ يرجع إلى الله بذلك. ﴿مَتَابًا﴾ مرضياً عند الله ماحياً للعقاب محصلاً للثواب، أو يتوب متاباً إلى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم؛ أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً وهو تعميم بعد تخصيص.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لا يقيمون الشهادة الباطلة، أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل شركة فيه. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ ما يجب أن يلقى ويطرح. ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه، ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية فيما يستهجن التصريح به.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بالوعظ أو القراءة. ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر، بل أكبوا عليها سامعين بأذان واعية مبصرين بعيون واعية، فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك: لا يلقاني زيد مسلماً. وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها ﴿باللغو﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُقَرَّبَاتِنَا﴾ (٧٤)

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بتوفيقهم للطاعة وحياسة الفضائل، فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحرقهم به في الجنة، و ﴿من﴾ ابتدائية أو بيانية كقولك: رأيت منك أسداً، وقرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي وأبو بكر «وذريتنا» وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب «وذرياتنا» بالألف، وتكثير الـ «أعين» لإرادة تكثير الـ «قُرَّة» تعظيماً وتقليلها لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. ﴿وَاجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴿ يقتدون بنا في أمر الدين بإضافة العلم والتوفيق للعمل، وتوحيده إما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد واجعل كل واحد منا، أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم. وقيل جمع أم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ وللقراءة بها، وقيل هي من أسماء الجنة. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات. ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم، أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه، أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿يلقون﴾ من لقي.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون فيها ولا يخرجون. ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل ﴿سَاءت مُسْتَقَرًّا﴾ معنى ومثله إعراباً.

﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾.

﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي﴾ ما يصنع بكم من عبات الجيش إذا هيأته أو لا يعتد بكم. ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ لولا عبادتكم فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء. وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعائكم معه آلهة وما إن جعلت استهفامية فمحلها النصب على المصدر كأنه قيل: أي عبء يعبا بكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما أخبرتكم به حيث خالفتموه. وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم: كذب القتال إذا لم يبالغ فيه. وقرئ «فقد كذب الكافرون» أي الكافرون منكم لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يكون جزاء التكذيب لازماً يحق بكم لا محالة، أو أثره لازماً بكم حتى يكبكم في النار، وإنما أضمر من غير ذكر للتحويل والتنبيه على أنه لا يكتننه الوصف، وقيل المراد قتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لازماً، وقرئ «لَزَامًا» بالفتح بمعنى اللزوم كالشبات والشبوت.

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب».

## (٢٦) سورة الشعراء

**مكية إلا قوله تعالى وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْخَاوُونَ إِلَى آخِرِهَا وَهِيَ مَائَتَانِ وَسِتْ أَوْ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ آية**

﴿طَسَمَ ١﴾ تِلْكَ مَآئِذُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَقَدْ بَلَغْتَ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ .

﴿طَسَمَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة، ونافع بين بين كراهة للعود إلى الياء المهروب منها، وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل متفصل عما بعده.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الظاهر إعجازه وصحته، والإشارة إلى السورة أو القرآن على ما قرر في أول «البقرة».

﴿لَقَدْ بَلَغْتَ نَفْسَكَ﴾ قاتل نفسك، وأصل البع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح، وقرئ «بأخع نفسك» بالإضافة، ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة. ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا.

﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظُلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ .

﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾ دلالة ملجئة إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه. ﴿فَظُلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ متقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله. وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم. وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم، وقرئ «خاضعة» وظلت عطف على «نزل» عطف وأكن على فأصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله لصح.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ موعظة أو طائفة من القرآن. ﴿مِنْ الرَّحْمَنِ﴾ يوحى إلى نبيه. ﴿مُحَدِّثٍ﴾ مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير. ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ إلا جددوا إعراضاً عنه وإصراراً على ما كانوا عليه.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي بالذكر بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمناً في قوله: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ أي إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة. ﴿أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من أنه كان حقاً أم باطلاً، وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ أو لم ينظروا إلى عجائبها. ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف «كريم»

محمود كثير المنفعة، وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى، وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة، وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره، و ﴿كل﴾ لإحاطة الأزواج ﴿وكم﴾ لكثرتها.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ إن في إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد. ﴿لَايَةً﴾ على أن منبتها تام القدرة والحكمة، سابغ النعمة والرحمة. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام.

﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. ﴿الرَّحِيمُ﴾ حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ مقدر باذكر أو ظرف لما بعده. ﴿أَنْ أَتِيَ﴾ أي ﴿أتيت﴾ أو بأن ﴿أتيت﴾. ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من الأول أو عطف بيان له، ولعل الإقتصار على القوم للعلم بأن فرعون كان أولى بذلك. ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ استئناف أتبعه إرساله إليهم للإنذار تعجبياً له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه، وقرئ بالتاء على الالتفات إليهم زجراً لهم وغضباً عليهم، وهم وإن كان غيباً حيث ذبحوا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم، مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل موده، وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة، ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله: ألا يا اسجدوا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿١٢﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة: خوف التكذيب، وضيق القلب انفعالاً عنه، وازدياد الحجة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق، لأنها إذا اجتمعت مئة الحاجة إلى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى تعثره حجة حتى لا تختل دعوته ولا تنبت حجته، وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر، بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه، وقرأ يعقوب ﴿ويضيق﴾ ﴿ولا ينطلق﴾ بالنصب عطفاً على ﴿يكذبون﴾ فيكونان من جملة ما خاف منه.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ أي تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمي باسمه، والمراد قتل القبطي وإنما سماه ذنباً على زعمهم، وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع. ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به قبل أداء الرسالة، وهو أيضاً ليس تعللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة، كما أن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله:

﴿قَالَ كَلَّا فَادْخُلْهَا بِآيَاتِنَا﴾ ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ﴿فَأْتِيَ فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٣﴾ أن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٤﴾.

﴿قَالَ كَلَّا فَادْخُلْهَا بِآيَاتِنَا﴾ إجابة له إلى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم رده عن الخوف، وضم أخيه إليه في الإرسال، والخطاب في ﴿فادْخُلْهَا﴾ على تغليب الحاضر لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه

﴿كَلَّا﴾ كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته. ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يعني موسى وهرون وفرعون. ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه، مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم وترقباً لإمداد أوليائه منهم، مبالغة في الوعد بالإعانة، ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات، وهو خير ثان أو الخير وحده ﴿ومعكم﴾ لغو.

﴿فَاتَّبِعْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا قُهِتَ عَنْدَهُمْ بِسِيرٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ  
ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى، أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به، أو لأنه أراد أن كل واحد منا.

﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعًا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول، والمراد خلهم ليذهبوا معنا إلى الشام.

﴿قَالَ أَلَمْ تُؤْيِكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ أَلَيْ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

﴿قَالَ﴾ أي فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك. ﴿أَلَمْ تُؤْيِكَ فِينَا﴾ في منازلنا. ﴿وَلَيْدًا﴾ طفلاً سمي به لقربه من الولادة. ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ﴾ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين، ثم بقي بعد الغرق خمسين.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ أَلَيْ فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطي، وبخه به معظماً إياه بعدما عدد عليه نعمته، وقرىء فعلتك بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكر. ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي، أو ممن تكفروهم الآن فإنه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من إحدى التاءين، ويجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بألهيته أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة، أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم.

﴿قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾

﴿قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ من الجاهلين وقد قرىء به، والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه، أو من الخاطئين لأنه لم يتعمد قتله، أو من الداهلين عما يؤول إليه التوكز لأنه أراد به التأديب، أو الناسين من قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾.

﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ حكمة. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ رد أولاً بذلك ما وبخه به قدحاً في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان صدقاً غير قاذح في دعواه، بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسيئاً عنها فقال:

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهراً، وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم، فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك. وقيل إنه مقدر بهمة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي ﴿أَنْ عَبَّدْتُ﴾، ومحل ﴿أَنْ عَبَّدْتُ﴾ الرفع على أنه خبر محذوف أو بدل ﴿نعمة﴾ أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها. وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء

مبهمة و «أن عبدت» عطف بيانها والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة «تمناها» علي، وإنما وحد الخطاب في تمناها وجمع فيما قبله لأن المنّة كانت منه وحده، والخوف والفرار منه ومن ملئه.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٢) قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل.

﴿قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ عرفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الأفراد إلا بذكر الخواص والأفعال وإليه أشار بقوله:-

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي إن كنتم موقنين الأشياء محققين لها علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة ممكنة لتركيبها وتعددتها وتغير أحوالها، فلها مبدىء واجب لذاته وذلك المبدىء لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن وإلا لزم تعدد الواجب، أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه سأله عن حقيقته وهو يذكر أفعاله، أو يزعم أنه «رب السموات» وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية، أو غير معلوم افتقارها إلى مؤثر.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٨﴾.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ عدولاً إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره إلى مصور حكيم ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل.

﴿قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر، وسماه رسولاً على السخرية.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ تشهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم قبله حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم أولاً، ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم.

﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشْيَءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾.

﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج، واستدل به على ادعائه الألوهية وإنكاره الصانع وأن تعجبه بقوله «ألا تستمعون» من نسبة الربوبية إلى غيره، ولعله كان دهرياً اعتقد أن من ملك قطراً أو تولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله، واللام في «المسجونين» للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجنتك.

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشْيَءٍ مُّبِينٍ﴾ أي أنفعل ذلك ولو جثت بك شيء يبين صدق دعواي، يعني المعجزة فإنها

الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته، فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل.

﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (٣٢) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (٣٣).

﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أن لك بينة أو في دعواك، فإن مدعي النبوة لا بُدَّ له من حجة.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب إذا فجزته فانفجر.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها، فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (٣٥).

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾ مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال. ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ بهر سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم واتمارهم وتغييرهم عن موسى وإظهار الاستشمار عن ظهوره واستيلائه على ملكه.

﴿قَالُوا أَزْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦) ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ (٣٧) ﴿فَجِئَ السَّحَرَةُ لَيْلَتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (٣٨).

﴿قَالُوا أَزْجَاهُ وَأَخَاهُ﴾ أي آخر أمرهما، وقيل احبسهما. ﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ شرطاً يحشرون السحرة.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ يفضلون عليه في هذا الفن وأمالها ابن عامر وأبو عمرو والكسائي، وقرئ «بكل ساحر».

﴿فَجِئَ السَّحَرَةُ لَيْلَتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (٣٩) ﴿لَمَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ (٤٠) ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِرَبِّعُونَ آمِينَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤١) ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرَبِينَ﴾ (٤٢).

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثاً على مبادرتهم إليه كقول تائب شراً: هَلْ أَنْتَ بَاعَتْ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْ عَبْدَ رَبِّ أَخَا عَزْوَ بْنِ مَخْرَاقٍ أي ابعت أحدهما إلينا سريعاً.

﴿لَمَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا والترجي باعتبار الغلبة

المقتضية للاتباع، ومقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه الصلاة والسلام.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِن كُنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ التزم لهم الأجر والقرية عنده زيادة عليه إن غلبوا فإذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء، وقرىء «نعم» بالكسر وهما لغتان.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ قَالُوا جِبَالُكُمْ وَعَصَصُكُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿٤٥﴾.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي بعدما قالوا له ﴿إِذَا أَنْ تَلْقَى﴾ وإما أن تكون نحن الملقين، ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق.

﴿قَالُوا جِبَالُكُمْ وَعَصَصُكُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم، أو لإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع، وقرأ حفص ﴿تَلْقَفُ﴾ بالتخفيف. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى، أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر، وفيه دليل على أن انتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئاً لا حقيقة له، وأن التبحر في كل فن نافع. وإنما بدل الخور بالإنقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم، وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بدل من «ألقى» بدل الاشتمال أو حال بإضمار قد.

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ تَبَلْ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٩﴾.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ تَبَلْ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئاً دون شيء ولذلك غلبكم، أو فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه، وأراد به التليس على قومه كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح «آمنت» بهمزتين. ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم وقوله: ﴿لَا أَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بيان له.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِنَّا نَحْنُ مُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥١﴾.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك. ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ بما توعدنا به فإن الصبر عليه محاء

للدنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى، أو بسبب من أسباب الموت والقتل أنفعها وأرجاها.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا﴾ لأن كنا. ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من أتباع فرعون، أو من أهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضمير، أو تعليل للعلة المتقدمة. وقرئ «إن كنا» على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة، أو على طريقة المدل بأمره نحو إن أحسنت إليك فلا تنس حقي.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ فَتَتَّبِعُونَهُمْ﴾ (٥٢).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ وذلك بعد سنين أقامها بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزدوا إلا عتواً وفساداً، وقرأ ابن كثير ونافع ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرئ «أن سر» من السير. ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصباحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٥٣) ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (٥٤) ﴿وَأِنَّهُمْ لَفَآئِظُونَ﴾ (٥٥) ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ (٥٦).

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسراهم. ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ العساكر ليتبعوهم.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ على إرادة القول وإنما استقلهم وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً بالإضافة إلى جنوده، إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة، ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع، و «قليلون» باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل.

﴿وَأِنَّهُمْ لَفَآئِظُونَ﴾ لفاعلون ما يغيظنا.

﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ وإنا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور، أشار أولاً إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثاً عليه، أو اعتذر بذلك إلى أهل المدائن كي لا يظن به ما يكسر سلطانه، وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون ﴿حادرُونَ﴾ والاول للثبات والثاني للتجدد، وقيل الحادر المؤدي في السلاح وهو أيضاً من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذراً، وقرئ «حادرُونَ» بالبدال المهملة أي أقوياء قال:

أَجِبَ الضُّبِّي السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ وَأَبْغَضَهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهُوَ حَادِرٌ

أو تامو السلاح فإن ذلك يوجب حذارة في أجسامهم.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٥٧) ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (٥٨) ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٥٩) ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ (٦٠) مَشْرِيقًا.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه. ﴿مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية.

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج أخرجنا فهو مصدر، أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام، أو الأمر كذلك فيكون خبر المحذوف. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ وقرئ «فاتبعوهم». ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَا۟ الْجَمْعَانِ قَالِ اصْحَابُ مُوسَىٰ اِنَّا لَمُدْرِكُوْنَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا اِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِيْنِ ﴿٦٢﴾ فَاَوْحَيْنَا۟ اِلَىٰ مُوسَىٰ اَنْ اَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيْمِ ﴿٦٣﴾ وَاَزْلَفْنَا ثُمَّ الْاٰخِرِيْنَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا تَرَا۟ الْجَمْعَانِ﴾ تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر، وقرىء «تراءت الفتتان» ﴿قَالَ اصْحَابُ مُوسَىٰ اِنَّا لَمُدْرِكُوْنَ﴾ لملحقون، وقرىء «لمدركون» من أدرك الشيء إذا تابع ففني، أي: لمتتابعون في الهلاك على أيديهم.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ لن يدركوكم فإن الله وعدكم بالخلاص منهم. ﴿اِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالحفظ والنصرة. ﴿سَيَهْدِيْنِ﴾ طريق النجاة منهم، زوي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال: أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون، فقال: أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع.

﴿فَاَوْحَيْنَا۟ اِلَىٰ مُوسَىٰ اَنْ اَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ بحر القلزم أو النيل. ﴿فَانْفَلَقَ﴾ أي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك. ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيْمِ﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب.

﴿وَاَزْلَفْنَا﴾ وقربنا. ﴿ثُمَّ الْاٰخِرِيْنَ﴾ فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَاَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُۥ اَجْمَعِيْنَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ اَغْرَقْنَا الْاٰخِرِيْنَ ﴿٦٦﴾ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿٦٧﴾ وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَاَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُۥ اَجْمَعِيْنَ﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا.

﴿ثُمَّ اَغْرَقْنَا الْاٰخِرِيْنَ﴾ بإطباقه عليهم.

﴿اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً﴾ وآية آية. ﴿وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾ وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط، وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا ﴿لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اِلٰهَ جِهْرَةً﴾.

﴿وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ﴾ المنتقم من أعدائه. ﴿الرَّحِيْمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَاَنْتَلٰ عَلَيْهِمْ نَبَا۟ اِبْرٰهِيْمَ ﴿٦٩﴾ اِذْ قَالَ لِاٰيِيْهِ وَقَوْمِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ ﴿٧٠﴾ قَالُوْا نَعْبُدُ اَصْنَامًا فَنُظِلُّ لَهَا مِنْ سَحَابٍ مَّاءً حَلٰلًا ﴿٧١﴾﴾

﴿وَاَنْتَلٰ عَلَيْهِمْ﴾ على مشركي العرب. ﴿نَبَا۟ اِبْرٰهِيْمَ﴾.

﴿اِذْ قَالَ لِاٰيِيْهِ وَقَوْمِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ﴾ سألهم ليربهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة.

﴿قَالُوْا نَعْبُدُ اَصْنَامًا فَنُظِلُّ لَهَا مَا كُنَّا نَعْبُدُ﴾ فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا، و «نظّل» ها هنا بمعنى ندوم. وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُوْنَكَ اِذْ تَدْعُوْنَ ﴿٧٢﴾ اَوْ يَفْعَلُوْنَكَ اَوْ يَصُرُوْنَ ﴿٧٣﴾ قَالُوْا بَلْ وَجَدْنَا اٰبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُوْنَكَ﴾ يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة. ﴿اِذْ تَدْعُوْنَ﴾ عليه

وقرىء «يسمعونكم» أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعاً مع ﴿إِذْ﴾ على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها.

﴿أَوْ يَتَفَعَّلُونَ﴾ على عبادتكم لها. ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ من أعرض عنها.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضرر أو نفع، والتجؤوا إلى التقليد.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقاً.

﴿فَأِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه، أو إن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان، لكنه صور الأمر في نفسه تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصيح من التصريح، وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول، وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب. ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبده وكان من آباءهم من عبد الله.

﴿وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدِي﴾ هداية مدرجة من مبدأ إيجادها إلى متهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار، مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم، ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعيم بلذاتها، والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده، وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم.

﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ عطف على ﴿يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب، وإنما لم ينسب المرض إليه تعالى لأن المقصود تعديد النعم، ولا ينتقض بإسناد الإمامة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه وإنما لضرر في مقدماته وهي المرض، ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي تستحق دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبليات، ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر، والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهراً وذلك بقدرة الله العزيز العليم.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ في الآخرة.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٧) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجِغْفَرِ بِالضَّالِّينَ

﴿٨٧﴾

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ذكر ذلك هضماً لنفسه وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر، وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفاراً لما عسى يندر منه من الصغائر، وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث: «إني سقيم»، «بل فعله كبيرهم هذا»، وقوله «هي أختي»، ضعيف لأنها معارضة وليست خطاباً.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ كمالاً في العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق. ﴿وَالْجِغْفَرِ بِالضَّالِّينَ﴾ ووفقني للكمال في العمل لأنظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره.

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٨) وَلَجَعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّ إِنَّمَا كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين، ولذلك ما من أمة إلا وهم محبوبون له مشنون عليه، أو صادقاً من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد ﷺ.

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ في الآخرة وقد مر معنى الورثة فيها.

﴿وَأَغْفِرْ لِأَيِّ﴾ بالهداية والتوفيق للإيمان. ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ طريق الحق وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعلة كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان تقية من نمرود ولذلك وعده به، أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ بمعاتبتي على ما فرطت، أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث، أو بتعذبي لحفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً، أو بتعذيب والدي، أو ببعثي في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان، أو من الخزاية بمعنى الحياء. ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير للعباد لأنهم معلومون أو لـ ﴿الضَّالِّينَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي لا ينفعان أحداً إلا مخلصاً سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته، أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر، وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة. وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى إلا غناه. وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة ﴿مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ تنفعه.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٩٠) وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنِّي مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرِفُهُمْ أَوْ يَنْصُرُهُمْ ﴿٩٣﴾

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها.

﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها، وفي اختلاف الفعلين

ترجيح لجانب الوعد.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْنَ آلِهَتِكُمُ الَّذِينَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُفَعَاؤُكُمْ. ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم. ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال:

﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾.

﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ أي الآلهة وعبدتهم، والكببة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقى في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ متبعوه من عصاة الثقلين، أو شياطينه. ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد للـ ﴿جُنُود﴾ إن جعل مبتدأ خبره ما بعده أو للضمير و ﴿مَا﴾ عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله:

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبداء ويؤيده الخطاب في قوله:

﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي في استحقاق العبادة، ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في ﴿قَالُوا﴾ والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة، والمعنى أنهم مع تخصصهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهم في الضلالة متحسرون عليها.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ إذ الأجل يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، أو فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء، أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق، وجمع الشافع ووحد الـ ﴿صديق﴾ لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، أو لأن الـ ﴿صديق﴾ الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الـ ﴿صديق﴾ على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ تمن للرجعة أقيم فيه «لو» مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير، أو شرط حذف جوابه. ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب التمني أو عطف على ﴿كرة﴾ أي: لو أن لنا أن نكر فنكون من المؤمنين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٤﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما ذكر من قصة إبراهيم. ﴿لَآيَةً﴾ لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير، يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفتهم معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصور الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أكثر قومه. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ به.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على تعجيل الانتقام. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال لكي يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١١٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿١١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٨﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الـ «قوم» مؤنثة ولذلك تصغر على قومية وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ لأنه كان منهم. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فتركوا عبادة غيره.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ مشهور بالأمانة فيكم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله سبحانه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٠﴾ ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١٢١).

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أنا عليه من الدعاء والنصح. ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ كرهه للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب

طاعته فيما يدعوههم إليه فكيف إذا اجتمعوا، وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء في «أَجَرِيَ» في الكلمات الخمس.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الأقلون جاهلاً ومالاً جمع الأرذل على الصحة، وقرأ يعقوب «وأتباعك» وهو جمع تابع كشاهد وأشهد أو تبع كبطل وأبطال، وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية، حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعاً عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوههم إليه ودليلاً على بطلانه، وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك:

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٢٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٢٥﴾.

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ إنهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة وما عليّ إلا اعتبار الظاهر.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه المطلع عليها. ﴿لَو تَشْعُرُونَ﴾

لعلتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا

اتباعهم المانع عنه وقوله:

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ كالعلة له أي ما أنا إلا رجل مبعوث لإلذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء

كانوا أعماء أو أذلاء فكيف يليق بي في طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء، أو ما عليّ إلا إنذاركم إنذاراً بيناً بالبرهان الواضح فلا عليّ أن أطردهم لاسترضائكم.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَبْنُوحْ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (١٢٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوِيٌّ كَذَّبُونِ ﴿١٢٧﴾ فَافْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ

فَتْحاً وَبَيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ عما تقول. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ من المشتمين أو المضروبين بالحجارة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ إظهاراً لما يدعو عليهم لأجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه.

﴿فَأَنْتَخِ بَنِي وَيِثْهَمُ فَتَحَا﴾ فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة. ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من قصدهم أو شؤم عملهم.

﴿فَأَنبِئْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١١٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢١﴾.

﴿فَأَنبِئْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ﴾ المملوء.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائه. ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ شاعت وتواترت. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَأَطِيعُوا أَمْرًا.

﴿كَذَّبَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ أنه باعتبار القبيلة وهو في الأصل اسم أبيهم.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه، وكان الأنبياء متفقين على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة والأغراض الدنيوية.

﴿أَتَتَّبِعُونَ يَكُلَّ رِيعٍ مَائَةٍ تَعْبَثُونَ﴾ وَتَخْلُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٢٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا.

﴿أَتَتَّبِعُونَ يَكُلَّ رِيعٍ﴾ بكل مكان مرتفع، ومنه ريع الأرض لارتفاعها. ﴿آيَةً﴾ علماً للمارة. ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بيناتها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام، أو بنياناً يجتمعون إليه للبعث بمن يمر عليهم، أو قصوراً يفتخرون بها.

﴿وَتَخْلُدُونَ مَصَانِعَ﴾ مأخذ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ فتحكمون بنيانها.

﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾ بسيف أو سوط. ﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تأديب ونظر في

العاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك هذه الأشياء. ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم.

﴿وَاتَّقُوا إِلَهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ ﴿١٢٧﴾ وَخَنَتِ وَعُيُونِ ﴿١٢٨﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٥﴾ .

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ كرهه مرتباً على إمداد الله تعالى إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلاً وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالإنتقطاع، ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساوئهم المدلول عليها إجمالاً بالإنكار في ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى فقال .

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَينَ﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ثم أوعدهم فقال .

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة، فإنه كما قدر على الإنعام قدر على الانتقام .  
﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٢٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ .

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ فإننا لا نرعوى عما نحن عليه، وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه .

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما هذا الذي جئنا به إلا كذب الأوليين، أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحياً ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿خلق الأولين﴾ بضميتين أي ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلقون مثله، أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم تزل الناس عليها .

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ على ما نحن عليه .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بسبب التكذيب بريح صرصر . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٣٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٣٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ ﴿١٣٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِآمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضْبٌ ﴿١٣٩﴾ .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ .

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَتُتْرَكُونَ فِيمَا هُمْ آمِنِينَ﴾ إنكار لأن يتركوا كذلك أو تذكير للنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب نعمهم آمينين ثم فسر بقوله :

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضْبٌ﴾ لطيف لين للطف التمر، أو لأن النخل أنشئ وطلع إناث النخل لطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنن، أو متدل منكسر من كثرة الحمل، وإفراد الـ ﴿نخل﴾ لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار .

﴿وَتَنَجَّيْتُمْ مِنَ الْجِبَالِ يُونَا فَارِهِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٤٢﴾ .

﴿وَتَنَجَّيْتُمْ مِنَ الْجِبَالِ يُونَا فَارِهِينَ﴾ بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل

بنشاط وطيب قلب. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «فرهين» وهو أبلغ من «فارهم».

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ «وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ» استعير الطاعة التي هي انقياد الأمر لامتنال الأمر، أو نسب حكم الأمر إلى أمره مجازاً.

﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وصف موضع لإسرافهم ولذلك عطف: ﴿وَلَا يُضْلِحُونَ﴾ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣) ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَبِئْ بِكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٥٤).

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقولهم، أو من ذوي السحر وهي الرفة أي من الأناسي فيكون ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ تأكيداً له. ﴿فَأَبِئْ بِكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ نَارًا مِمَّا شَرِبْتُمْ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (١٥٥) ﴿وَلَا تَسْهَوْا يَوْمَ تَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ (١٥٦) ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ (١٥٧) ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٨).

﴿قَالَ هَذِهِ نَارُهَا﴾ أي بعدما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها. ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرى بالضم. ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ فاقترضوا على شربكم ولا تراحموا في شربها.

﴿وَلَا تَسْهَوْا يَوْمَ تَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ كضرب وعقر. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه، وهو أبلغ من تعظيم العذاب.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أسند العقير إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً. ﴿فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على عقرها خوفاً من حلول العذاب لا توبة، أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي العذاب الموعود. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب، وأن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٥٩) ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٠) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٦١) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٦٢) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٦٣) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٤) ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٥) ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (١٦٦).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ» «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ» «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ».

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ» أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم، أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم، فالمراد بـ «العالمين» على الأول كل من ينكح وعلى الثاني الناس.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ لأجل استمتاعكم. ﴿رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ للبيان إن أريد به جنس الإناث، أو للتبويض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات، أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذاك، أو أحقاء بأن توصفوا بالغدوان لارتكابكم هذه الجريمة.

﴿قَالُوا لَنْ لَرْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧) قَالَ إِنْ لِمَلِكُكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨).

﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَا لُوطُ﴾ عما تدعيه أو عن نهينا وتقييح أمرنا. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من المنفيين من بين أظهرنا، ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال.

﴿قَالَ إِنِّي لَمَعْلُكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الإنكار عليه بالإبعاد، وهو أبلغ من أن يقول ﴿إني لمعلمكم﴾ قال لدلالته على أنه معدود في زميرهم مشهور بأنه من جملتهم.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٩) فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِرِينَ (١٧١).

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي من شؤمه وعذابه.

﴿فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأة لوط. ﴿فِي الْغَائِرِينَ﴾ مقدرة في الباقيين في العذاب إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم. وقيل كائنة فيمن بقي في القرية فإنها لم تخرج مع لوط.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْغَزِيرُ الرَّحِيمُ (١٧٥).

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ أهلكتناهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وقيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم. ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل ساء. والمخصوص بالدم محذوف وهو مطرهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْغَزِيرُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) \* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١).

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعبياً كما بعثه إلى مدين وكان أجنبياً منهم فلذلك قال:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب. وقيل الأيكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر «ليكة» بحذف الهمزة وإبقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدتهم، وإنما كتبت ها هنا وفي ص غير ألف اتباعاً للفظ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين حقوق الناس بالتطفيف.

﴿وَرَبُّوْا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (١٨٧) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولَى﴾ (١٨٤).

﴿وَرَبُّوْا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السوي، وهو وإن كان عربياً فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم. ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولَى﴾ وذوي الجبل الأولى يعني من تقدمهم من الخلائق.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَمْسِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧).

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه. ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في دعواك. ﴿فَأَمْسِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قطعة منها، ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. وقرأ حفص بفتح السين. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٩٠).

﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ويعذابه منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَاسَدَكُمُ الْغَزِيُّ الرَّجِيمُ﴾ (١٩١) وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَى﴾ (١٩٦).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلياً لرسول الله ﷺ وتهديداً للمكذبين به، وإطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به، واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال إنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان إيتاء لهم لا مؤاخدة على تكذيبهم. ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ، فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحياً من الله عز وجل، والقلب إن أراد به الروح فذاك وإن أراد به العضو فتخصيصه، لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق، ثم تصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة، و ﴿الروح الأمين﴾ جبريل عليه السلام فإنه أمين الله على وحيه. وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب ﴿الروح الأمين﴾. ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾، ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أُنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ وإن ذكره أو معناه في الكتب المتقدمة.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمُوا عُلْمَتَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ على صحة القرآن أو نبوة محمد ﷺ. ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلاً. وقرأ ابن عامر ﴿تَكُنْ﴾ بالتاء و ﴿آيَةٌ﴾ بالرفع على أنها الاسم والخبر ﴿لَهُمْ﴾ ﴿وَأَنْ يَعْلَمَهُ﴾ بدل أو الفاعل و ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ بدل ﴿وَلَهُمْ﴾ حال، أو أن الاسم ضمير القصة و ﴿آيَةٌ﴾ خبر ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ والجملة خبر تكن.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ كما هو زيادة في إعجازه أو بلغة العجم.

﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم، أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم، و ﴿الأعجمين﴾ جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلناه. ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ فتدل الآية على أنه بخلق الله، وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عناداً.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ الملجئ إلى الإيمان.

﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ تحسراً وتأسفاً.

﴿أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿٢٠٧﴾.

﴿أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء، ﴿فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا﴾، وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاوّل في دفع العذاب وتخفيفه.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ أُنذروا أهلها إلزاماً للحجة.

﴿ذِكْرَى﴾ تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار، أو الرفع على أنها صفة

﴿مَنْدُورُونَ﴾ بإضمار ذور، أو يجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة، أو خبر محذوف والجملة اعتراضية. ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فنهلك غير الظالمين، أو قبل الإنذار.

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٥) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ (٢١٦) ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٢١٧) ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ (٢١٨) ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (٢١٩).

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ وما يصح لهم أن يتزلوا به. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ وما يقدرُونَ.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة. ﴿لَمْعَزُولُونَ﴾ لأنه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية، ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ تهيج لإزدياد الإخلاص ولطف لسائر المكلفين.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥) ﴿إِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢١٦).

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم. روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا إليه فقال: «لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي» قالوا نعم قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط، و ﴿مَنِ﴾ للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره، أو للتبعيض على أن المراد ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان.

﴿إِنْ عَصَوْكَ﴾ ولم يتبعوك. ﴿فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مما تعملونه أو من أعمالكم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨) ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ (٢١٩) ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٢٠).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وابن عامر «فتوكل» على الإبدال من جواب الشرط.

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى التهجد.

﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ وترددك في تصفح أحوال المجتهدين كما روي أنه عليه السلام لما نسخ قيام فرض الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن. أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أمتهم، وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه عليه.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما تقوله. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما تنويه.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١) ﴿تَزُولُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٢٢) ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ

كَذِبُونَ ﴿٢٢٢﴾

﴿هَلْ أَتَبْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ﴾ لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمداً ﷺ لا يصح أن ينزلوا عليه من وجهين: أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم، فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد ﷺ على خلاف ذلك. وثانيهما قوله:

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنوناً وأمارات لنقصان علمهم، فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء في الحديث «الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة» ولا كذلك محمد ﷺ، فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها، وقد فسر الأكثر بالكل لقوله تعالى: ﴿كُلُّ آفَاكٍ أَثِيمٌ﴾. والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني. وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملا الأعلى قبل أن يرجعوا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم، أو لقصور فهمهم أو ضيغهم أو إفهامهم.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٢٣﴾

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك، وهو استئناف أبطل كونه عليه الصلاة والسلام شاعراً وقرره بقوله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها، وأغلب كلماتهم في النسب بالحرم والغزل والابتهاج وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والإفتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه، وإليه أشار بقوله:

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى، وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين، وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول ﷺ لحال أربابهما. وقرأ نافع ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ على التخفيف، وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيهاً لبعضه بعضاً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ﴿٢٢٤﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثر ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته، ولو قالوا هجواً أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان «قل وروح القدس معك». وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له «اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل» ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم، وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الإيهام والتهويل، وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد

إليه، وقرىء «أي منفلت ينفلتون» من الانفلات وهو النجاة والمعنى: أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا عن عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات.

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ويعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام».

## (٢٧) سورة النمل

مكية وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾ الإشارة إلى آي السورة، والكتاب المبين إما اللوح المحفوظ وإبائه أنه خط فيه ما هو كائن فهو بيّنه للنّاظرين فيه، وتأخيره باعتباره تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود، أو القرآن وإبائه لما أودع فيه من الحكم والأحكام، أو لصحته بإعجازه وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى وتنكيره للتعظيم. وقرأ ﴿وَكِتَابٍ﴾ بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حالان من الـ ﴿آيَاتٍ﴾ والعامل فيهما معنى الإشارة، أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ من تمتة الصلة والواو للحال أو للتعطف، وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الأوحدون فيه، أو جملة اعتراضية كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة، فإن تحمل المشاق إنما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس، أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ كالقتل والأسر يوم بدر. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ أشد الناس خسراناً لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة.

﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ لتؤتاه. ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي حكيم وأي عليم، والجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار عن المغيبات، ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَرِّهَا مِنْهَا خَبِيرٌ أَوْ آتَيْكُمْ بِشَهَابٍ مِّنْ سَمَاءٍ لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لَأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي اذكر قصته ﴿إِذْ قَالَ﴾ ويجوز أن يتعلق بـ ﴿عَلِيمٍ﴾. ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي عن حال الطريق لأنه قد ضله، وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالأهل، والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالإتيان وإن أبطأ. ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شعلة نار مقبوسة، وإضافة الشهاب إليه لأنه قد يكون قساً وغير قس، ونونه الكوفيون ويعقوب على أن الـ ﴿قَبَسٍ﴾ بدل منه أو وصف له لأنه بمعنى المقبوس، والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في «طه»، والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم، أحدهما بناء على ظاهر الأمر أو ثقة بعبادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها والصلاة النار العظيمة.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿يَمْسُقُ إِلَيْهِ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾ أي «بورك» فإن النداء فيه معنى القول، أو بـ ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة، والتخفيف وإن اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في أحكام كثيرة. ﴿مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ «من» في مكان «النار» وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ ومن حول مكانها والظاهر أنه عام في كل من في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتاً وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى. وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون، وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم تنتشر بركته في أقطار الشام. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من تمام ما نودي به لكلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً وللتعجب من عظمة ذلك الأمر، أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمته.

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ الهاء للشأن و «أنا الله» جملة مفسرة له، أو للمتكلم و «أنا» خبره و «الله» بيان له. «العزیز الحكيم» صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره، يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُقُ إِلَيَّ لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على «بورك» أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك، ويدل عليه قوله «وأن ألق عصاك» بعد قوله «أنا يا موسى إني أنا الله» بتكرير أن. ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك باضطراب. ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ حية خفيفة سريعة، وقرئ «جان» على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين. ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار، وإنما رعب لظنه أن ذلك الأمر أريد به ويدل عليه قوله: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾ أي من غيري ثقة بي أو مطلقاً لقوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق فإنهم أخوف الناس أي من الله تعالى، أو لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم، وفيهم من فرطت منه صغيرة فإنهم وإن فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطئها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فإنه لا يخاف أيضاً، وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي. وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

﴿١٢﴾

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ لأنه كان بمدرعة صوف لا كم لها. وقيل الجيب القميص لأنه يجاب أي يقطع. ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ آفة كبرص. ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ في جملتها أو معها على أن التسع هي، الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجذب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحداً ولا يعد الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون. أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثاً أو مرسلأ. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ تعليل للإرسال.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾ وَجَعَلُوا بِهَا ءَسْتَفْتَنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا﴾ بأن جاءهم موسى بها. ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة اسم فاعل أطلق للمفعول، إشعاراً بأنها لفرط اجتلاتها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر، أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي والعمي لا تهدي فضلاً عن أن تهدي، أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها. وقرئ «مبصرة» أي مكاناً يكثر كم فيه التبصر. ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ واضح سحرته.

﴿وَجَعَلُوا بِهَا﴾ وكذبوا بها. ﴿وَءَسْتَفْتَنَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾ وقد استيفتتها لأن الواو للحال. ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم. ﴿وَعُلُوًّا﴾ ترفعاً عن الإيمان وانتصابهما على العلة من ﴿جَعَلُوا﴾. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ وهو الإغراق في الدنيا والإخراق في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع، أو علماً أي علم. ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال: ففعلاً شكراً له ما فعلاً ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. ﴿الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني من لم يؤت علماً أو مثل علمهما، وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبروا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما، وتجزئض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير.

﴿وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰئَهَا النَّاسُ عِلْمًا مِّنْطِقِ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ

الْمُبِينُ﴾ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ إِسْلِيمَانَ جُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

﴿وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ النبوة أو العلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنييه وكانوا تسعة عشر. ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمًا مِّنْطِقِ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تشهيراً لنعمة الله وتنوياً بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظام ما أوتيه، والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه، أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد، فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما من جنسه،

ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخليل الذي صوته والغرض الذي توخاه به. ومن ذلك ما حكى أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال: يقول إذا أكلت نصف تمره فعلى الدنيا العفاء، وصاحت فاخنة فقال: إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا، فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاخنة عن مقاساة شدة وتآلم قلب، والضمير في ﴿علمنا﴾ و﴿أوتينا﴾ له ولأبيه عليهما الصلاة والسلام أوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة، والمراد ﴿من كل شيء﴾ كثرة ما أوتي كقولك: فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء. ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ الذي لا يخفى على أحد.

﴿وَحِيزٌ﴾ وجمع ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبسون بحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ واد بالشام كثير النمل، وتعدية الفعل إليه بـ ﴿على﴾ إما لأن إتيانهم كان من عال أو لأن المراد قطعه من قولهم: أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت عنهم مخافة حطمتهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعها، فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق. ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ نهي لهم عن الحطم، والمراد نهينا عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم: لا أرينك ها هنا، فهو استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بأنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء. وقيل استئناف أي فهم سليمان والقوم لا يشعرون.

﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى مصالحها، وسروراً بما خصه الله تعالى به من إدراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره. ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ أي اجعلني أزرع شكر نعمتك عندي، أي أكفه وأرتبطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عنه، وقرأ البري وورش بفتح ياء ﴿أَوْزِعْنِي﴾. ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي﴾ أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة أو تعميماً لها، فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ إتماماً للشكر واستدامة للنعمة. ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ في عدادهم الجنة.

﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْمَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدم. ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْمَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لسائر أو غيره فقال: ما لي لا أراه، ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ كنتف ريشه وإلقائه في الشمس، أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده في نقص. ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ ليعتبر به أبناء جنسه. ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة تبين عذره، والحلف في الحقيقة

على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما، وقرأ ابن كثير أو «ليأتيني» بنونين الأولى مفتوحة مشددة.

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَبِينٍ ٢٣﴾.

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ زماناً غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفاً منه، وقرأ عاصم بفتح الكاف. ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ يعني حال سبأ، وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علماً بما لم يحط به لتحقاق إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه، وقرئ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق. ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمة ساكنة. ﴿يَبِينًا يَبِينٍ﴾ بخبر متحقق روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام بها ما شاء، ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبه نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء. وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء. فتفقدته لذلك فلم يجده إذ خلق حين نزل سليمان فرأى هدهداً واقفاً فانحط إليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له، ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى، ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستكبرها من ينكرها.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٤﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٥﴾.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان، والضمير لسبأ أو لاهلها. ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها. وقيل كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين عرضاً وسمكاً، أو ثمانين في ثمانين من ذهب وقضة مكللاً بالجواهر. ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كأنهم كانوا يعبدونها. ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقايح أعمالهم. ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن سبيل الحق والصواب. ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه.

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٦﴾.

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من «أعمالهم»، أو «لا يهتدون» إلى أن يسجدوا بزيادة «لا». وقرأ الكسائي ويعقوب «إلا» بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي: ألا يا قوم اسجدوا كقوله:

وَقَالَتْ أَلَا يَا أَسْمَعَ أَعِظُكَ بِخَطِيئَةٍ فَقُلْتُ سَمِيعاً فَأَنْطِقِي وَأَصِيبِي

وعلى هذا صح أن يكون استثناءً من الله أو من سليمان والوقف على «لا يهتدون»، فيكون أمراً بالسجود وعلى الأول ذماً على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها، وقرئ «هلا» و «هلا» بقلب الهمزة هاء و «ألا تسجدون» و «هلا تسجدون» على الخطاب. ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثاً على سجوده ورداً على من يسجد لغيره، و «الخبء» ما خفي في غيره

وإخراجه إظهاره، وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع، فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته. وقرأ حفص والكسائي ﴿ما تخفون وما تعلنون﴾ بالتاء.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فيين العظيمين يون.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) أَذْهَبَ يَكْتَبِي هَذَا قَالِقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ﴾ منعرف من النظر بمعنى التأمل. ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي أم كذبت والتغير للمبالغة ومحافظة الفواصل.

﴿أَذْهَبَ يَكْتَابِي هَذَا قَالِقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ثم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه. ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣١).

﴿قَالَتْ﴾ أي بعد ما ألقى إليها. ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ لكرم مضمونه أو مرسله، أو لأنه كان مختوماً أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به.

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه، أي إن الكتاب أو العنوان من سليمان ﴿وَأِنَّهُ﴾ أي وإن المكتوب أو المضمون. وقرئ بالفتح على الإبدال من ﴿كتاب﴾ أو التعليل لكرمه. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ أن مفسرة أو مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف أي هو أو المقصود أن لا تعلموا أو بدل من ﴿كتاب﴾. ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ مؤمنين أو متقادين، وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود، لاشتماله على البسمة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحاً أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع لأمهاة الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٣٣).

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أجيوني في أمري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه. ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ ما أبت أمراً. ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ إلا بمحضركم استعطفهم بذلك ليمالئوها على الإجابة.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً﴾ بالأجساد والعدد. ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ نجدة وشجاعة. ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ موكول. ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ من المقاتلة أو الصلح نطعمك وتتبع رأيك.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أُولَئِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤) وَإِنِّي

مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ يَمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وغلبة. ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية، وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خطتهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم، ثم أن الحرب سجال لا تدرى عاقبتها. ﴿وَجَعَلُوا أَهْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً﴾ بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر. ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة، أو تصديق لها من الله عز وجل.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ بيان لما ترى تقديمه في المصالحة، والمعنى إني مرسله رسلاً بهدية أدفعه بها عن ملكي. ﴿فَنَاطِرَةٌ يَمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من حاله حتى أعمل بحسب ذلك. روي أنها بعثت منذر بن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجواري وجواري على زي الغلمان، وحَقّاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً، فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت إليهم نفوسهم، فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة، ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ قَمَّاءَ ثَلَاثِينَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ﴾ أي الرسول أو ما أهدت إليه وقرىء «فلما جاؤا». ﴿قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾ خطاب للرسول ومن معه، أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب. وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرىء بنون واحدة وبنونين وحذف الياء. ﴿قَمَّاءَ ثَلَاثِينَ﴾ من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء والياقون بإسكانها وبإمالتها الكسائي وحده. ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي. ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم حباً لزيادة أموالكم، أو بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم، والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليه وتقليله إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها.

﴿أَرْجِعْ﴾ أيها الرسول. ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرىء «بهم». ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من سبأ. ﴿أَذَلَّةً﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العز. ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أسراء مهانون.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أنعرفه أم تنكره؟. ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذها إلا برضاها.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ خبيث مارد. ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾ بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه، وكان اسمه ذكوان أو صخرأ. ﴿أَنَا آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف

النهار. **﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾** على حملة. **﴿لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾** لا اختزل منه شيئاً ولا أبذله.

**﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾** (٤١).

**﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾** آصف بن برخيا وزيره، أو الخضر أو جبريل عليهما السلام أو ملك أيده الله به، أو سليمان عليه السلام نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في: **﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** للتعريف كأنه استبطأه فقال له ذلك، أو أراد إظهار معجزة في نقله فتحدهام أولاً ثم أراهم أنه يتأتى له مالا يتأتى لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم، والمراد بـ **﴿الكتاب﴾** جنس الكتب المنزلة أو اللوح، و **﴿آتيك﴾** في الموضعين صالح للفعلية والاسمية، **﴿والطرف﴾** تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بإرسال الطرف كما في قوله:

وَكُنْتُ إِذَا أُرْسِلْتُ طَرْفَكَ رَائِدًا      لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبَتْكَ الْمَنَاطِرُ

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد، والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن تروه أحضر عرشها بين يديك، وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه. **﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾** أي العرش **﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾** حاصلًا بين يديه. **﴿قَالَ﴾** تلقياً للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى **﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾** تفضل به علي من غير استحقاق، والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة إرتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره، والكلام في إمكان مثله قد مر في آية «الإسراء». **﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ﴾** بأن أراه فضلاً من الله تعالى بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه. **﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾** بأن أجد نفسي في البين، أو أقصر في أداء واجبه ومحلها النصب على البذل من الياء. **﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** لأنه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران. **﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾** عن شكره. **﴿كَرِيمٌ﴾** بالإنعام عليه ثانياً.

**﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾** (٤٢) **﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا لَنَلْعَبَ مِنْ قِيلَهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾** (٤٣).

**﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾** بتغيير هيئته وشكله. **﴿نَنْظُرْ﴾** جواب الأمر، وقرئ بالرفع على الاستئناف. **﴿أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾** إلى معرفته أو الجواب الصواب، وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليها الحراس.

**﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾** تشبيهاً عليها زيادة في امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة العقل. **﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾** ولم تقل هو هو الاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها. **﴿وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾** من تمتة كلامها كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة، أو المعجزة مما تقدم من الآيات. وقيل إنه من كلام سليمان عليه السلام وقومه وعطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون ذلك عرشها تجويزاً غالباً، وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر إلا على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء به من عنده قبلها وكنا متقادين لحكمه ولم نزل على دينه، ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكراً لله تعالى.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤).

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام، أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان. ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صدها على الأول، أي صدها نشوها بين أظهر الكفار أو التعليل له.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر وقيل عرصة الدار. ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ روي أنه أمر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما أبصرته ظننته ماء راكداً فكشفت عن ساقها. وقرأ ابن كثير برواية قبل «ساقها» بالهمز حملاً على جمعه سؤوق وأسوق. ﴿قَالَتْ إِنَّهُ﴾ إن ما تظننه ماء. ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس. ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ من الزجاج.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادتي الشمس، وقيل بظني سليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيما أمر به عباده وقد، اختلف في أنه تزوجها أو زوجها من ذي تبع ملك همدان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْفَوِرَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦) قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٤٧).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ بأن اعبدوا الله، وقرئ بضم النون على اتباعها الباء. ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فجاجوا التفرق والاختصاص فأمن فريق وكفر فريق، والروا لمجموع الفريقين.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا. ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ. ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ قبل نزوله. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ.

﴿قَالُوا أَطِيعْنَا﴾ تشاء منا. ﴿بِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ﴾ إذ تابعت علينا الشدائد، أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم. ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ سبيكم الذي جاء منه شركم. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء، والإضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩).

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تسعة أنفس، وإنما وقع تمييزاً للتسعة باعتبار المعنى، والفرق بينه وبين نفر أنه من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة. ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح.

﴿قَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض. ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أمر مقول أو خبر وقع بدلاً أو حالاً بإضمار قد. ﴿لَنُنَبِّئَنَّ وَأَهْلَهُ﴾ لنباغتن صالحاً وأهله ليلاً. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض، وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر. ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ فيه القراءات الثلاث. ﴿لَوْلِيَّهِ﴾ لولي دمه. ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ فضلاً أن تولينا إهلاكهم، وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا ﴿مهلك﴾ في قراءة حفص فإن مفعلاً قد جاء مصدراً كمرجع. وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدراً. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ونحلف إننا لصادقون، أو والحال ﴿إننا لصادقون﴾ فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً، أو لأننا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين.

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُمْ مَكْرِهِمْ  
أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾.

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا﴾ بهذه المواضع. ﴿وَمَكْرًا مَّكْرًا﴾ بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك، روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث ففرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه، فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه قوله:

﴿فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ و ﴿كان﴾ إن جعلت ناقصة فخيرها ﴿كيف﴾ و ﴿أنا دمرناهم﴾ استئناف أو خبر محذوف لا خبر ﴿كان﴾ لعدم العائد، وإن جعلتها تامة فـ ﴿كيف﴾ حال. وقرأ الكوفيون ويعقوب ﴿أنا دمرناهم﴾ بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم ﴿كان﴾ أو خبر له و ﴿كيف﴾ حال.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ خالية من خوى البطن إذا خلا، أو ساقطة منهزمة من خوى النجم إذا سقط، وهي حال عمل فيها معنى الإشارة. وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بسبب ظلمهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيتعظون.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صالحاً ومن معه. ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ  
دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾.

﴿وَلَوْطًا﴾ واذكر لوطاً، أو وأرسلنا لوطاً للدلالة ولقد أرسلنا عليه. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ بدل على الأول وظرف على الثاني. ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح، أو يبصرها بعضكم من بعض لأنهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش.

﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه، والتنبية على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر. ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ اللاتي خلقن لذلك. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبيح، أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْطَهَرُونَ﴾  
 ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْمُغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْطَهَرُونَ﴾ أي يتنزهون عن أفعالنا، أو عن الأقدار ويعدون فعلنا قدراً.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قدرنا كونها من الباقيين في العذاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مر مثله.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ أمر رسوله ﷺ. بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدا - بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكراً على ما أنعم عليهم، أو علمه ما جهل من أحوالهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين، أو لوطاً بأن يحمده على هلاك كفره قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك. ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم، إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير. وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء.

﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿أَمَنْ﴾ بل آمن ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع. وقرأ «أمن» بالتخفيف على أنه بدل من الله. ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ لأجلكم. ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ عدل به من الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته، والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ شجر الحدائق وهي البساتين من الإحداق وهو الإحاطة. ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ أغیره بقرن به ويجعل له شريكاً، وهو المنفرد بالخلق والتكوين. وقرئ «إلهاً» بإضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون ويتوسط مدة بين الهمزتين وإخراج الثانية بين يين. ﴿بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحق الذي هو التوحيد.

﴿أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ بدل من «أمن خلق السموات» وجعلها قراراً بإبداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأنى استقرار الإنسان والدواب عليها. ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ وسطها. ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية. ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ﴾ جبلاً تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ العذب والمالح، أو خليجي فارس والروم. ﴿حَاجِزًا﴾ برزخاً وقد مر بيانه في سورة «الفرقان». ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق فيشركون به.

﴿أَمَنْ يُحِبُّ الْمُسْتَظَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ .

﴿أَمْ يَجِيبُ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَاهُ﴾ المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجأ إلى الله تعالى من الاضطراب، وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه إجابة كل مضطر. ﴿وَيُكْشِفُ السُّوءَ﴾ ويدفع عن الإنسان ما يسوءه. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها بأن ورثكم سكنائها والتصرف فيها ممن قبلكم. ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً، وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة. وقرأ أبو عمرو وهشام وروح بالياء وحزمة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال.

﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم وعلامات الأرض، وال ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ ظلمات الليالي وإضافتها إلى ﴿البر والبحر﴾ للملاسة، أو مشبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها. ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني المطر، ولو صح أن السبب الأكثر في تكون الرياح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لإنكسار حرها وتمويجها الهواء فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى، والفاعل للسبب فعل للمسبب. ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ يقدر على مثل ذلك. ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق.

﴿أَمْ يَدَّبْدَبُوا فَخَرُّوا أَوْ يَكِيدُكَ مِنَ السَّمَاءِ طَالِبٌ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ .

﴿أَمْ يَدَّبْدَبُوا فَخَرُّوا﴾ والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها. ﴿وَمَنْ يَزُقُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية. ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على أن غيره يقدر على شيء من ذلك. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ .

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لما بين اختصاصه تعالى بالقدرة التامة الفائقة العامة أتبعه ما هو كاللازم له، وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع، ورفع المستثنى على اللغة التيمية للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السموات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم، أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها، فإنه يعلم الله تعالى وأولي العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ متى ينشرون مركبة من «أي» «وأن»، وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة.

﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ .

﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه، بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ كمن تحير في الأمر لا يجد عليه دليلاً. ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم، وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في السموات

والأرض نسب إلى جميعهم كما يسند فعل البعض إلى الكل، والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم، وقيل الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم إلى وصفهم باستحكام علمهم في أمر الآخرة تهكماً بهم، وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لأن تلك غايته التي عندها تعدم. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿بَلْ إِدْرَاكَ﴾ بمعنى تتابع حتى استحكم، أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك، وأبو بكر «أدرك» وأصلهما تفاعل وافتعل. وقرئ «أدرك» و«أم أدرك» بهمزيين «وَأَدْرَكَ» بآلف بينهما و«بَلْ أدرك» و«بَلْ تدارك» و«بَلَى أدرك» و«بلى أدرك» و«أم أدرك» و«أم تدارك»، وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فإنكار وما فيه بلى فإثبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم، وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها ﴿بَلْ﴾ إنهم ﴿مِنْهَا صَمُونَ﴾ أو رد وإنكار لشعورهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَيْتًا لَمُخْرَجُونَ﴾ (٦٧) ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَيْتًا لَمُخْرَجُونَ﴾ كاليان لعلمهم والعامل في إذا ما دل عليه ﴿إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾، وهو نخرج لا مخرجون لأن كلاً من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها، وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار، والمراد بالإخراج الإخراج من الأجداث أو من حال الفناء إلى الحياة، وقرأ نافع «إذا كنا» بهمزة واحدة مكسورة، وقرأ ابن عامر والكسائي «إِنَّا لَمُخْرَجُونَ» بنونين على الخبر.

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل وعد محمد ﷺ، وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ التي هي كالأسفار.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٦٩) ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧٠).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم، والتعبير عنهم بـ «المجرمين» ليكون لطفًا بالمؤمنين في ترك الجرائم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على تكذيبهم وإعراضهم. ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ في حرج صدر، وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان، وقرئ ضيق أي أمر ضيق. ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من مكرهم فإن الله يعصمك من الناس.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٧٢).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ العذاب الموعود. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ تبعكم ولحقكم، واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنأ. وقرئ بالفتح وهو لغة فيه. ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر، وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونها إظهاراً لوقارهم وإشعاراً بأن الرمز منهم كال تصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعده.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾

وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ .

﴿وَلِإِنَّ رَيْكَ لَلَّذِي لَفَضَّلَ عَلَى النَّاسِ﴾ لتأخير عقوبتهم على المعاصي، والفضل والفاضلة الأفضال وجمعها فضول وفواضل. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونها بل يستعجلون بجهلهم وقروعه.

﴿وَلِإِنَّ رَيْكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفيه وقرىء بفتح التاء من كنت أي سترت. ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ من عداوتك فيجازيهم عليه.

﴿وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ خافية فيهما، وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية، أو اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بين أو «مبين» ما فيه لما يطالعه، والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَيْكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ .

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح.

﴿وَإِنَّهُمْ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم المستفعدون به.

﴿إِنَّ رَيْكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ بين بني إسرائيل. ﴿بِحُكْمِهِ﴾ بما يحكم به وهو الحق، بحكمته ويدل عليه أنه قرىء بحكمه. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يرد قضاؤه. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحقيقة ما يقضي فيه، وحكمه.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ .

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تبال بمعاداتهم. ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَ﴾ تعليل آخر للأمر بالتوكل من حيث إنه يقطع طعمه عن مشايعتهم ومعاذتهم رأساً، وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ فإن إسماعهم في هذه الحالة أبعد. وقرأ ابن كثير ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ﴾.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر. وقرأ حمزة وحده «وما أنت تهدي العمي». ﴿إِنْ تُسْمِعُ﴾ أي ما يجدي إسماعك. ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ من هو في علم الله كذلك. ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون من أسلم وجهة الله.

﴿وَإِذَا رَفَعَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ .

﴿وَإِذَا رَفَعَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ﴾ إذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب. ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ وهي الجساسة روي أن طولها ستون ذراعاً ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان، لا يفوتها

هارب ولا يدركها طالب. وروي أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله، يعني المسجد الحرام. ﴿تَكَلَّمُهُمْ﴾ من الكلام، وقيل من الكلم إذ قرئ «تَكَلَّمُهُمْ». وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام، فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه، وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه. ﴿إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله تعالى، وقيل القرآن، وقرأ الكوفيون أن الناس بالفتح. ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ لا يتيقنون، وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله عز وجل أو علة خروجها، أو تكلمها على حذف الجار.

﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾.

﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ يعني يوم القيامة. ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ بيان للفوج أي فوجاً مكذبين، و «من» الأولى للتبويض لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ إلى المحشر. ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال أي أكذبتم بها بادئ الرأي غير ناظرين فيها نظراً يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب، أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم إلقاء الأذهان لتحقيقها. ﴿أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك، وهو للتبكي إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدر أن يقولوا فعلنا غير ذلك.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك. ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله. ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِنَسْكُنُ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٦).

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشددهم إلى تجويز الحشر وبعثة الزسل، لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون إلا بقدرة قاهر، وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد الأبدان، وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم. ﴿أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِنَسْكُنُ فِيهِ﴾ بالنوم والقرار. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ فإن أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجهول عليها بحيث لا ينفك عنها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لدلالاتها على الأمور الثلاثة.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِيرٍ﴾ (٨٧).

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ في الصور أو القرن، وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق. ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقيق وقوعه. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا يفزع بأن يثبت قلبه. قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل الحور والخزنة وحملة العرش، وقيل الشهداء، وقيل موسى عليه الصلاة والسلام لأنه صعد مرة ولعل المراد ما يعم ذلك. ﴿وَكُلُّ أَتَوْهُ﴾ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية، أو راجعون إلى أمره وقرأ حمزة وحفص ﴿أَتَوْهُ﴾ على

الفعل، وقرئ «أناه» على التوحيد للفظ الكل. «ذَٰخِرِينَ» صاغرين وقرئ «دخرين».

﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِذِي آفَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨٨).

﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ثابتة في مكانها. «وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» في السرعة، وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها. «صُنِعَ اللَّهُ» مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله «وعد الله». «الَّذِي آفَنَ كُلَّ شَيْءٍ» أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي. «إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ﴾ (٨٩) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٠).

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمئة بواحدة، وقيل «خير منها» أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة، وقرأ ابن كثير وأبو عمر وهشام «خير بما يفعلون» بالياء والباقون بالتاء. «وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ» يعني به خوف عذاب يوم القيامة، وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن، وقرأ الكوفيون بالتنوين لأن المراد فزع واحد من أفزع ذلك اليوم، وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله «أفأمنوا مكر الله». وقرأ الكوفيون ونافع «يومئذ» بفتح الميم والباقون بكسرها.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ قيل بالشرك. «فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ» فكبوا فيها على وجوههم، ويجوز أن يراد بالوجه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة». «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك.

﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١) ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٩٢).

﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أمر الرسول ﷺ بأن يقول لهم ذلك بعدما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة، إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ «التي حرّمها». «وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ» خلقاً وملكاً. «وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» المتقادين أو الثابتين على ملة الإسلام.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ وأن أواظب على تلاوته لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً، أو اتباعه وقرئ «واتل عليهم» «وأن اتل». «فَمَنِ اهْتَدَىٰ» باتباعه إياي في ذلك، «فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» فإن منافعه عائدة إليه. «وَمَنْ ضَلَّ» بمخالفتي. «فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ» فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ما على الرسول إلا البلاغ وقد بلغت.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣).

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمة النبوة أو على ما علمني ووفقني للعمل به. «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» القاهرة في

الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الأرض، أو في الآخرة. ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِقَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلة عن أعمالكم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بآلاء.

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهوداً وصالحاً وإبراهيم وشعياً، ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله».

## (٢٨) سورة القصص

مكية وقيل إلا قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾  
وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

﴿طَسَمَ﴾

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾ نقرؤه بقراءة جبريل، ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازاً. ﴿مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ بعض نبئهما مفعول ﴿نتلو﴾. ﴿بِالْحَقِّ﴾ محققين. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المستمعون به.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استئناف «مبين» لذلك البعض، والأرض أرض مصر. ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾ فرقاً يشيعونه فيما يريد، أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه استعمل كل صنف في عمل، أو أحزاباً بأن أغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه. ﴿يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل، والجملة حال من فاعل ﴿جعل﴾ أو صفة لـ ﴿شيعاً﴾ أو استئناف، وقوله: ﴿يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ بدل منها، كان ذلك لأن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده، وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجهه. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيل فاسد.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥﴾ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أن نفضل عليهم بإنقاذهم من بأسه، ﴿ونريد﴾ حكاية حال ماضية معطوفة على ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ من حيث إنهما واقعان تفسيراً لـ ﴿نبأ﴾، أو حال من ﴿يستضعف﴾ ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له، لجواز أن يكون تعلق الإرادة به حينئذ تعلقاً استقبالياً مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن تجري مجرى المقارن. ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ مقدمين في أمر الدين. ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لما كان في ملك فرعون وقومه.

﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام، وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكاناً يتمكن فيه ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر. ﴿وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل. ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم. وقرأ حمزة والكسائي ﴿ويرى﴾ بالياء و ﴿فرعون وهامان﴾

وَجُنُودُهُمَا بِالرَّفْعِ.

﴿وَأَرْحَبْنَا إِلَكَ أَمْرَ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾.

﴿وَأَرْحَبْنَا إِلَى أَمْرَ مُوسَى﴾ بِالْهَامِ أَوْ رُيَا. ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ مَا أَمَكَّنَكَ إِخْفَاؤُهُ. ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ بِأَنْ يَحْسَ بِهِ. ﴿فَكَأَلِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ فِي الْبَحْرِ يَرِيدُ النَّيْلَ. ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عَلَيْهِ ضِيعَةٌ وَلَا شِدَّةٌ. ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لِفِرْعَوْنَ. ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ عَنْ قَرِيبٍ بَحِثْ تَأْمِنِينَ عَلَيْهِ. ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا ضَرَبَهَا الطَّلَقُ دَعَتْ قَابِلَةً مِنَ الْمُوَكَّلَاتِ بِحِبَالِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَالَجَتْهَا، فَلَمَّا وَقَعَ مُوسَى عَلَى الْأَرْضِ هَالِكًا نَورَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَارْتَعَشَتْ مَفَاصِلُهَا وَدَخَلَ حَبَهُ فِي قَلْبِهَا بَحِثْ مَنَعَهَا مِنَ السَّعَايَةِ، فَارْضَعَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ أَلَحَ فِرْعَوْنَ فِي طَلْبِ الْمَوَالِيدِ وَاجْتَهَدَ الْعَيُونَ فِي تَفْحَصِهَا فَأَخَذَتْ لَهُ تَابُوتًا فَقَذَفَتْهُ فِي النَّيْلِ.

﴿فَالْقَطْعَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ تَعْلِيلٌ لِلتَّقَاتُطِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا هُوَ عَاقِبَتُهُ وَمُؤَدَاهُ تَشْبِيهًا لَهُ بِالْغُرَضِ الْحَامِلِ عَلَيْهِ. وَقَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي «وَحَزَنًا». ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ يَبْدَعُ مِنْهُمْ أَنْ قَتَلُوا أَلُوفًا لِأَجَلِهِ ثُمَّ أَخَذُوهُ يَرْبُونَهُ لِيَكْبِرَ وَيَفْعَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ، أَوْ مَذْنِبِينَ فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ رَى عَدُوَّهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالْجُمْلَةُ اعْتِرَاضٌ لِتَأْكِيدِ خَطِيئَتِهِمْ أَوْ لِبَيَانِ الْمَوْجِبِ لِمَا ابْتَلَوْا بِهِ، وَقَرَأَ «خَاطِئِينَ» تَخْفِيفَ «خَاطِئِينَ» أَوْ «خَاطِئِينَ» الصَّوَابُ إِلَى الْخَطَا.

﴿وَقَالَتْ أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَقَالَتْ أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ أَي لِفِرْعَوْنَ حِينَ أَخْرَجَتْهُ مِنَ التَّابُوتِ. ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ هُوَ قُرَّةُ عَيْنٍ لَنَا لِأَنَّهُمَا لَمَّا رَأَيَاهُ أَخْرَجَ مِنَ التَّابُوتِ أَحْبَاهُ، أَوْ لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ بِرِصَاءٍ وَعَالَجَهَا الْأَطْبَاءُ بِرَيْقِ حَيَوَانَ بَحْرِي يَشْبَهُ الْإِنْسَانَ فَلَطَخَتْ بِرِصْعِهَا بِرَيْقَهُ فَبَرِثَتْ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: لَكَ لَا لِي. وَلَوْ قَالَ هُوَ لِي كَمَا هُوَ لَكَ لَهْدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَا. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خُطَابٌ بِلَفْظِ الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ. ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فَإِنْ فِيهِ مَخَايِلُ الْيَمَنِ وَدَلَائِلُ النِّفْعِ، وَذَلِكَ لَمَّا رَأَتْ مِنْ نَوْرِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَارْتِضَاعَهُ إِيَّاهُ لَبْنًا وَبِرَّ الْبِرْصَاءِ بِرَيْقِهِ. ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ أَوْ نَتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ أَهْلٌ لَهُ. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حَالٌ مِنَ الْمَلْتَقِطِينَ أَوْ مِنَ الْقَائِلَةِ وَالْمَقُولِ لَهُ أَي وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ عَلَى الْخَطَا فِي التَّقَاتُطِ أَوْ فِي طَمَعِ النِّفْعِ مِنْهُ وَالتَّبْنِي لَهُ، أَوْ مِنْ أَحَدٍ ضَمِيرِي تَتَّخِذُهُ عَلَى أَنْ. الضَّمِيرُ لِلنَّاسِ أَي وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ لَغَيْرِنَا وَقَدْ تَبْنَيْنَاهُ.

﴿وَأَصْبَحَ قُوَادُّ أَمْرَ مُوسَى قَدْرًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا لَتُنْكِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ قُصِيَّةٌ بَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَأَصْبَحَ قُوَادُّ أَمْرَ مُوسَى قَدْرًا﴾ صَفْرًا مِنَ الْغُلِّ لَمَّا دَهَمَهَا مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَيْرَةِ حِينَ سَمِعَتْ بِوُقُوعِهِ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَفْتَدَيْتَهُمْ هَوَاهُ﴾ أَي خَلَاءَ لَا عَقُولَ فِيهَا، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ قَرَأَ «قَدْرًا» مِنْ قَوْلِهِمْ دَمَاؤُهُمْ بَيْنَهُمْ فَرِغَ أَي هَدَرَ، أَوْ مِنْ الِهِمِّ لِفِرْعَوْنَ وَثُوقَهَا بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ سَمَاعِهَا أَنْ فِرْعَوْنَ عَطَفَ عَلَيْهِ وَتَبْنَاهُ. ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أَنَّهَا كَادَتْ لِتُظْهِرَ بِمُوسَى أَي بِأَمْرِهِ وَقِصَّتِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ الضَّجَرِ أَوْ الْفَرَحِ لِتَبْنِيهِ. ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا﴾ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ، أَوْ مِنَ الْوَائِقِينَ

بحفظه لا يتبني فرعون وعطفه. وقرىء «موسى» إجراء للضمّة في جوار الواو مجرى ضميتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط، وجواب ﴿لَوْ لَا﴾ محذوف دل عليه ما قبله:

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم. ﴿قُصِّيه﴾ اتبعي أثره وتتبعي خبره. ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ عن بعد وقرىء «عن جانب» «وعن جنب» وهو بمعناه. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها تقص أو أنها أخته.

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلَ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾.

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ ومنعناه أن يرتضع من المرضعات، جمع مرضع أو مرضع وهو الرضاع، أو موضعه يعني الثدي. ﴿مِنْ قَبْلَ﴾ من قبل قصصها أثره. ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ لأجلكم. ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ لا يقصرون في إرضاعه وتربيته، روي أن هامان لما سمعه قال: إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله، فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون، فأمرها فرعون أن تأتي بمن يكفله فأنت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله، فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها: من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها، فرجعت به إلى بيتها من يومها، وهو قوله تعالى:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بولدها. ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه. ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ علم مشاهدة. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن وعده حق فيرتابون فيه، أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع، وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَفَّ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذ. وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين سنة. ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ قده أو عقله. ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي نبوة. ﴿وَعِلْمًا﴾ بالدين، أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنباءه، فلا يقول ولا يفعل ما يستجمل فيه، وهو أوفق لنظم القصة لأن الاستنباء بعد الهجرة في المراجعة. ﴿وَكُذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه. ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ ودخل مصر أتياً من قصر فرعون وقيل منف أو حاثين، أو عين شمس من نواحيها. ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه، قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط، والإشارة على الحكاية. ﴿فَاسْتَنَفَّ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فسأله أن يغيبه بالإعانة ولذلك عدي بـ ﴿عَلَى﴾ وقرىء «استعان». ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ فضرب القبطي بجمع كفه، وقرىء فلكره أي فضرب به صدره. ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتله وأصله فأنهى حياته من قوله ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾. ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأموناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم، ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ، وإنما عده من عمل الشيطان وسماء ظلماً

واستغفر منه على عاداتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (١٧).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله. ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ذنبي. ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ لاستغفاره. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ للذنوب عباده. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قسم محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن. ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أو استعطف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معيناً لمن أدت معاونته إلى جرم. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى، وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أوليائك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ قَالَ لَمْ تُؤَمِّسْ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩).

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ يترصد الاستقادة. ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيث مشتق من الصراخ. ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ بين الغواية لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل. ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه غوياً ظن أنه يبطش عليه، أو القبطي وكأنه توهم من قوله أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي. ﴿إِنْ تُرِيدُ﴾ ما تريد. ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ تطاول على الناس ولا تنظر في العواقب. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن، ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملكه وهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال تعالى:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْتَسْقِ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢).

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْتَسْقِ﴾ يسرع صفة رجل، أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف. ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يتشاورون بسببك، وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر. ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ اللام للبيان وليس صلة لـ ﴿الناصرين﴾ لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من المدينة. ﴿خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب. ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ﴾ قبالة مدين قرية شعيب، سميت باسم مدين بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان. ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ توكلت على الله وحسن ظن به، وكان لا يعرف الطريق فعن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب

عقبيه فأخذوا في الآخرين.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها. ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ وجد فوق شفيرها. ﴿أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ﴾ جماعة كثيرة مختلفين. ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم. ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ في مكان أسفل من مكانهم. ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم. ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما تذودان. ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال، وحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتها ويدعوه إلى السقي لهما ثم دونه. وقرأ أبو عمرو وابن عامر ﴿يُصْدِرُ﴾ أي ينصرف. وقرئ «الرِّعَاء» بالضم وهو اسم جمع كالرِّحال. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطراراً.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ مواشيهما رحمة عليهما. قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم، وقيل كانت بئراً أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾ لأي شيء أنزلت إلي. ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ قليل أو كثير وحمله الأكثر على الطعام. ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج سائل ولذلك عدي باللام، وقيل معناه إني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا، لأنه كان في سعة عند فرعون والغرض منه إظهار التبعج والشكر على ذلك.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَنْتِ أَبْنَى بَنَاتِي وَأَنَا كَافَّةٌ لَكَ مِنْ أَجْرٍ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّكِ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَيْمِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أي مستحبة متخففة. قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء أو صفراء وهي التي تزوجها موسى عليه السلام. ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ ليكافئك. ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ جزاء سقيك لنا، ولعل موسى عليه الصلاة والسلام إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعاً في الأجر، بل روي أنه لما جاءه قدم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال له شعيب عليه الصلاة والسلام: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا. هذا وأن كل من فعل معروفاً فأهدى بشيء لم يحرم أخذه. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يريد فرعون وقومه.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ يعني التي استدعته. ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعي الغنم. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَيْمِينَ﴾ تعيل شائع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه، جعل ﴿خير﴾ اسماً وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه امرؤ مجرب معروف. روي أن شعيباً قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْكُمُكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ

عِنْدَكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِخْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ أي تأجر نفسك مني أو تكون لي أجيراً، أو تثبيني من أجرك الله. ﴿ثُمَّ إِنِّي حَجَجْتُ﴾ ظرف على الأولين ومفعول به على الثالث بإضمار مضاف أي رعية ثمانى حجج. ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتُ عَشْرًا﴾ عملت عشر حجج. ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ فإتمامه من عندك تفضلاً لا من عندي إلزاماً عليك. وهذا استدعاء العقد لا نفسه، فلعله جرى على أجرة معينة وبمهر آخر أو برعية الأجل الأول ووعد له أن يوفي الأخير إن تيسر له قبل العقد، وكانت الأثمان للمزوجة مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بالزام إتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال، واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ورأيك في مزاولته. ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة.

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه. ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ أطولهما أو أقصرهما. ﴿قَضَيْتُ﴾ وفيتك إياه. ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا تعتدي علي بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان، أو فلا أكون متعدياً بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم علي، وهو أبلغ في إثبات الخيرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عدوان علي. وقرئ «أيما» بكفوله:

تَنَظَّرْتُ نَضْرًا وَالسَّمَائِينَ أَيَّمَا - عَلَيَّ مِنَ الْعَيْثِ اسْتَهَلْتُ مَوَاطِرَهُ

وأي الأجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أي: أي الأجلين جردت عزمي لقضائه، وعدوان بالكسر. ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ من المشاركة. ﴿وَكِيلٌ﴾ شاهد حفيظ.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ بامرأته. روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشراً أخرى ثم عزم على الرجوع. ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ أبصر من الجهة التي تلي الطور. ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ بخبر الطريق. ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن.

قال:

بَاسَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسُنَ لَهَا جَزَلَ الْجَذَى غَيْرَ خَوَارٍ وَلَا دَعِيرٍ وقال آخر:

وَأَلْقَى عَلَى قَبَسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً شَدِيداً عَلَيْهِ خُرْهَا وَالتَّهَابُهَا ولذلك بينه بقوله: ﴿مِنَ النَّارِ﴾ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفنون بها.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَتُوسِعَ إِيَّاتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَتُوسِعُ أَقْبَلَ

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ آتاه النداء من الشاطئ الأيمن لموسى. ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ متصل بالشاطئ أو صلة لـ ﴿نُودِي﴾. ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من شاطئ بدل الاشتمال لأنها كانت ثابتة على الشاطئ. ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾ أي يا موسى. ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا وإن خالف ما في «طه» والنمل» لفظاً فهو طبقه في المقصود.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ﴾ أي فآلقاها فصارت ثعباناً واهتزت ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾. ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ فِي الْهَيْئَةِ وَالْجَنَّةِ أَوْ فِي السَّعَةِ﴾. ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ منهزماً من الخوف. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع. ﴿يَا مُوسَى﴾ نودي يا موسى. ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ من المخاوف، فإنه لا يخاف لدي المرسلون.

﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلَّكَ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أدخلها. ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ عيب. ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يديك المبسوطتين تنقي بهما الحية كالخائف الفرع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس، أو يادخالهما في الجيب فيكون تكريراً لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة، ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه. ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء، وقرئ بضمهما، وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات. ﴿فَذَلَّكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد، وشده ابن كثير وأبو عمرو ورويس. ﴿بُرْهَانٌ﴾ حجتان وبرهان فعلا لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض، ويقال برهه وبرهته للمرأة البيضاء وقيل فعلا لقولهم برهن. ﴿مِنَ رَبِّكَ﴾ مرسلأ بهما. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُاطًا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بها.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معيناً وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفع، وقرأ نافع «ردأ» بالتخفيف. ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بتخليص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة. ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ولساني لا يطاوعني عند المحاجة، وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب، وقرأ عاصم وحمزة «يصدقني» بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف.

﴿قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاوله الأمور، ولذلك يعبر عنه باليد وشدها بشدة العضد. ﴿وَنَجْعَلُ لَكَمُاطًا سُلْطَانًا﴾ غلبة أو حجة. ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ باستيلاء أو حجاج. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ متعلق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا، أو بـ ﴿نَجْعَلُ﴾ أي نسلطكما بها، أو بمعنى «لا يصلون» أي تمتنعون منهم، أو قسم جوابه «لا يصلون»، أو بيان لـ ﴿الغالبون﴾ في قوله: ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَهُ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله، أو سحر عمله ثم تفتريه على الله؛ أو سحر موصوف بالإفراء كسائر أنواع السحر. ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ يعنون السحر أو ادعاء النبوة. ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾ كائنات في أيامهم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَهُ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيعلم أنني محق وأنتم مبطلون. وقرأ ابن كثير «قال» بغير واو لأنه قال ما قاله جواباً لمقالتهم، ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد. ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة، والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب إنما قصد بالعرض. وقرأ حمزة والكسائي «يكون» بالياء. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨) وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ نفى علمه بآله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعده، ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويتطلع على الحال بقوله: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ كأنه توهم أنه لو كان لكان جسمًا في السماء يمكن الترفي إليه ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أو أراد أن يبني له رصداً يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة، وقيل المراد بنفي العلم بنفي المعلوم كقوله تعالى: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فإن معناه بما ليس فيهن، وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقيق معلوماتها فيلزم من انتفاؤها انتفاؤها، ولا كذلك العلوم الانفعالية، قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذها على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم؛ ولذلك نادى هامان باسمه بـ ﴿يَا﴾ في وسط الكلام.

﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بغير استحقاق. ﴿وَزَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالنشور. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ كما مر بيانه، وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم، ونظيره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. ﴿فَاُنظُرْ﴾ يا محمد. ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ وحذر قومك عن مثلها.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْفُكْرَةِ يَوِّمَ الْيَوْمِ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا

لَعَنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آئِمَةً﴾ قدوة للضلال بالحمل على الإضلال، وقيل بالتسمية كقوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾، أو بمنع الألفاظ الصارفة عنه. ﴿يَدْعُونَ إِلَى الثَّارِ﴾ إلى موجباتها من الكفر والمعاصي. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَةً﴾ طرداً عن الرحمة، أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ من المطرودين، أو ممن قبح وجوههم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾ أقوام نوح وهود وصالح ولوط. ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ أنواراً لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل. ﴿وَهُدًى﴾ إلى الشرائع التي هي سبل الله تعالى. ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله سبحانه وتعالى. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر، وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ يريد الوادي، أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى، أو الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله ﷺ أي ما كنت حاضراً. ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ إذ أوحينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه. ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ للوحي إليه أو على الوحي إليه، وهم السبعون المختارون الميقات، والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله:

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي ولكننا أوحينا إليك لانا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد، فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم، فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه. ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً. ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ شعيب والمؤمنين به. ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ تقرأ عليهم تلعماً منهم. ﴿آيَاتِنَا﴾ التي فيها قصتهم. ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إياك ومخبرين لك بها.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة وبالأول حين ما استنبأه لأنها المذكوران في القصد. ﴿وَلَكِن﴾ علمناك. ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ وقرئت بالرفع على هذه ﴿رحمة من ربك﴾. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بالفعل المحذوف. ﴿مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى، وهي خمسمائة وخمسون سنة، أو بينك وبين إسماعيل، على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليلهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧).

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ (لولا) الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها، لأنها إنما أُجيبَت بالفاء تشبيهاً لها بالأمر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سبباً لاتقاء ما يجاب به، وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى: لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فتتبعها ونكون من المصدقين، ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم والزاماً للحجة عليهم. ﴿فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات. ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٩).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحاً وتعتناً. ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى، أو كان فرعون عربياً من أولاد عاد. ﴿قَالُوا سِحْرَانِ﴾ يعني موسى وهارون، أو موسى ومحمداً عليهما السلام. ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين. وقرأ الكوفيون «سحران» بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين مبالغة، أو إسناد تظاهرها إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز. وقرئ ظاهراً على الإدغام. ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ أي بكل منهما أو بكل الأنبياء.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ مما أنزل على موسى وعلى محمد ﷺ وإضمارهما لدلالة المعنى، وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إنا ساحران مختلفان، وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيك، ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠) ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١).

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف المفعول للعلم به، ولأن فعل الاستجابة يعدي بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي، فإذا عدي إليه حذف الدعا غالباً كقوله:

وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنْ يُجِيبُ إِلَى التَّوَدَا فَلَمْ يَسْتَجِيبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إذ لو اتبعوا حجة لآثروا بها. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ استفهام بمعنى النفي. ﴿يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ في موضع الحال للتأكيد أو التقييد، فإن هوى النفس قد يوافق الحق. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتصل التذكير، أو في النظم لتتقر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون ويطيعون.

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنْثَلِ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب، وقيل في أربعين من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام، والضمير في ﴿من قبله﴾ للقرآن كالمستكن في:

﴿وَإِذَا يُنْثَلِ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ أي بأنه كلام الله تعالى. ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به. ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ، وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن، أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم وثباتهم على الإيمانين، أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده، أو على أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله ﷺ «أتبع السيئة الحسنة تمحها». ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرماً. ﴿وقالوا﴾ للاغين. ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لهم وتوديعاً، أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه. ﴿لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ﴾ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ تَنَحَّطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر على أن تدخلهم في الإسلام. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فيدخله في الإسلام. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بالمستعدين لذلك. والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، قال: يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكن أكره أن يقال خدع عند الموت.

﴿وقالوا إن تبيع الهدى معك تنحطف من أرضنا﴾ نخرج منها. نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، أتى النبي ﷺ فقال: نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة زأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ أو لم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه. ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ﴾ يحمل إليه ويجمع فيه، وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالفاء. ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كل أوب. ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون. ليعلموه، وقيل إنه متعلق بقوله ﴿من لدنا﴾ أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله، وأكثرهم لا يعلمون إذ لو علموا لما خافوا غيره، وانتصاب ﴿رِزْقًا﴾ على المصدر من معنى ﴿يجبى﴾، أو حال من الـ ﴿ثمرات﴾ لتخصصها بالإضافة، ثم بين أن الأمر

بالعكس فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكَنُهُمْ لَوْ تَشْكَنُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم. ﴿فَبَلَكَ مَسْكَنُهُمْ﴾ خاوية. ﴿لَوْ تَشْكَنُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم، أو لا يبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم، وانتصاب ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ بنزع الخافض أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك: زيد ظني مقيم، أو بإضمار زمان مضاف إليها أو مفعولاً على تضمين بطرت معنى كفرت.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ وما كانت عادته. ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ﴾ في أصلها التي هي أعمالها، لأن أهلها تكون أفطن وأنبّل. ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ لإلزام الحجة وقطع المَعْدَرَة. ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل والعتو في الكفر.

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ أَقْسَمَ وَعَدْتُهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من أسباب الدنيا. ﴿فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا﴾ تمتعون وتترينون به مدة حياتكم المنقضية. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو ثوابه. ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة. ﴿وَأَبْقَى﴾ لأنه أبدي. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ في الموعظة.

﴿أَقْسَمَ وَعَدْتُهُ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود. ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده، ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية. ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب بالتحسر على الانقطاع. ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب أو العذاب، و ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الزمان أو الرتبة، وقرأ نافع وابن عامر في رواية والكسائي ﴿ثُمَّ هُوَ﴾ بسكون الهاء تشبيهاً للمنفصل بالمتصل، وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ عطف على يوم القيامة أو منصوب بذكر. ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي، فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله تعالى: ﴿لَا مَلَأَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وغيره من آيات الوعيد. ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ أي ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ﴾ أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول. ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ فغروا غياً مثل ما غوينا، وهو استئناف للدلالة على أنهم غروا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلاً، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ﴾ صفة

و«أغويناهم» الخبر لأجل ما اتصل به إفادة زيادة على الصفة وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم.  
«تَبَرُّأْنَا إِلَيْكَ» منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم، وهو تقرير للجملية المتقدمة ولذلك خلت عن  
العاطف وكذا. «مَا كَانُوا إِلَّا نَا يَغْبُدُونَ» أي ما كانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم. وقيل «ما»  
مصدرية متصلة بـ «تبرأنا» أي تبرأنا من عبادتهم إيانا.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ﴾ من فرط الحيرة. «فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ» لعجزهم عن الإجابة والنصرة.  
«وَرَأَوُا الْعَذَابَ» لازماً بهم. «لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» لوجه من الحيل يدفعون به العذاب، أو إلى الحق لما  
رأوا العذاب وقيل «لو» للتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ عطف على الأول فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم به ثم  
عن تكذيبهم الأنبياء.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم، وأصله فعموا عن الأنباء  
لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يقبض ويرد عليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة  
إلى استحضاره، والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها وغيرها، فإذا كانت الرسل يتتبعون في  
الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أمهم، وتعدية الفعل  
بعلی لتضمنه معنى الخفاء. «فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ» لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة والعلم بأنه  
مثله في العجز.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّوْهُ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ  
وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك. «وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا». وجمع بين الإيمان والعمل الصالح. «فَغَسَّوهُ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ»  
عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام، أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا موجب عليه ولا مانع له. «مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» أي التخير كالطيرة  
بمعنى التطير، وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً والأمر كذلك عند التحقيق، فإن اختيار العباد مخلوق باختيار  
الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها، وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن  
العاطف، ويؤيده ما روي أنه نزل في قولهم «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم». وقيل «ما»  
موصولة مفعول لـ «يختار» والراجع إليه محذوف والمعنى: ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة أي الخير  
والصلاح. «سُبْحَانَ اللَّهِ» تنزيه له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار. «وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» عن  
إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى  
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ كعداوة الرسول وحقده. ﴿وَمَا يُغْلِثُونَ﴾ كالطعن فيه.

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ المستحق للعبادة. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا أحد يستحقها إلا هو. ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾. ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده. ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء. ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِيلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر. ﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ كان حقه هل إله فذكر بـ ﴿من﴾ على زعمهم أن غيره آلهة. وعن ابن كثير «بضياء» بهمزتين. ﴿أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واستبصار.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق. ﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ استراحة عن مناعب الأشغال، ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل، ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به ﴿أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ وبالليل. ﴿أَمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ لأن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار بأنواع المكاسب. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٤) ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥).

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تقرير بعد تقرير للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، أو الأول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان أنه لم يكن عن سند وإنما كان محض تشه وهوى.

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وأخرجنا. ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه. ﴿فَقُلْنَا﴾ للأنبياء. ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم تدبون به. ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ. ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الألوهية لا يشاركه فيها أحد. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع. ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل.

﴿إِنْ قَرُنَ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنٍ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ وَمَآئِنَهُ مِنْ الْكُفُورِ مَا إِنْ مَفَاصَهُ لَنُتُوا بِالْمُضْبَكَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

وَلَا تَلْسَنَ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَآحِسِينَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به. ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾ فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره، أو تكبر عليهم أو ظلمهم. قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل، أو حسدهم لما روي أنه قال لموسى عليه السلام: لك الرسالة ولهارون الحبورة وأنا في غير شيء إلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله. ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ من الأموال المدخرة. ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ مفاتيح صناديقه جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به، وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتاح. ﴿لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ خبر إن والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى، وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله، والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوبوا اجتمعوا. وقرئ «لينوء» بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه. ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ منصوب بـ «تنوء». ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها، فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قيل:

أَشَدُّ الْعَمِّ عِنْدِي فِي شُرُوبٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، وعلل النهي ها هنا بكونه مانعاً من محبة الله تعالى فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي بزخارف الدنيا.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من الغنى. ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها. ﴿وَلَا تَسْ﴾ ولا تترك ترك المنسي. ﴿نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك. ﴿وَأَحْسِنَ﴾ إلى عباد الله. ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما أنعم الله عليك. وقيل ﴿أَحْسَنَ﴾ بالشكر والطاعة ﴿كَمَا أَحْسَنَ﴾ إليك بالإِنعام. ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بأمر يكون علة للظلم والبغي، نهى له عما كان عليه من الظلم والبغي. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ لسوء أفعالهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال، و ﴿على علم﴾ في موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها، وقيل هو الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب، وقيل العلم بكنوز يوسف، و ﴿عِنْدِي﴾ صفة له أو متعلق بـ ﴿أُوتِيتُهُ﴾ كقولك: جاز هذا عندي أي في ظني واعتقادي. ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ، أو رد لادعائه للعلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه أي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى بقي به نفسه مضارع الهالكين. ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال استعلام فإنه تعالى مطلع عليها أو معاتبه فإنهم يعذبون بها بغتة، كأنه لما هدد قارون بذكر إهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه واغنى أكد ذلك بأن بين أنه لم يكن مطلعاً على ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ كما قيل إنه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه. ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على ما هو عادة الناس من الرغبة. ﴿وَيَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ تمنوا مثله لا عينه حذراً عن الحسد. ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الدنيا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بأحوال الآخرة للمتقين. ﴿وَنِلَّكُمْ﴾ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى. ﴿ثَوَابَ اللَّهِ﴾ في الآخرة. ﴿خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَحَمِلَ صَالِحاً﴾ مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها. ﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾ الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للـ ﴿ثَوَابٍ﴾، فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو للإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة. ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ على الطاعات وعن المعاصي.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾

(٨١)

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقربته حتى نزلت الزكاة، فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره، فعمد إلى أن يفضح موسى بين بني إسرائيل ليرفضوه، فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه، ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه، فقال قارون ولو كنت قال: ولو كنت، قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاتة فأحضرت، فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت: جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي، فخر موسى شاكياً منه إلى ربه فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فقال: يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبتيه، ثم قال خذيه فأخذته إلى وسطه، ثم قال خذيه فأخذته إلى عنقه، ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه، فأوحى الله إليه ما أفضك استرحمك مراراً فلم ترحمه، وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجته، ثم قال بنو إسرائيل: إنما فعله ليرثه، فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ أعوان مشتقة من فأوت رأسه إذا ميلته. ﴿يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيدفعون عنه عذابه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر إذا منعه منه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُ لَا يُلْقِي الْكَبِيرُونَ﴾ (٨٢) ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣).

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ منزلته. ﴿بِالْأَمْسِ﴾ منذ زمان قريب. ﴿يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ ﴿يسطر﴾ ﴿ويقدر﴾ بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض، و﴿ويكان﴾ عند البصريين مركب من «وي» للتعجب «وكان» للتشبيه والمعنى: ما أشبه الأمر أن الله يسطر الرزق. وقيل من «ويك» بمعنى ويملك و«أن» تقديره ويك اعلم أن الله. ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا. ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ لتوليدنا فينا ما ولده فيه فخسف بنا لأجله. وقرأ حفص بفتح الخاء والسين. ﴿وَيَكَآئُ لَا يُلْقِي الْكَافِرُونَ﴾ لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدوا لهم ثواب الآخرة.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ إشارة تعظيم كأنه قال: تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها، و﴿الدار﴾ صفة والخبر: ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ غلبة وقهراً. ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ ظلماً على الناس كما أراد فرعون وقارون. ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ما لا يرضاه الله.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَسْعَوْنَ﴾ (٨٤) **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَاذِ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (٨٥).

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ذاتاً وقدرأً ووصفاً. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجيناً لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم. ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَسْعَوْنَ﴾ أي إلا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم ﴿ما كانوا يعملون﴾ مقامه مبالغة في المماثلة.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه. ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَاذٍ﴾ أي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه، أو مكة التي اعتدت بها على أنه من العادة رده إليها يوم الفتح، كأنه لما حكم بأن ﴿العاقبة للمتقين﴾ وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين. روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجرة اشتاق إلى مولده ومولد آبائه فنزلت. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره أعلم. ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وما استحقه من العذاب والإذلال يعني به نفسه والمشركون، وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله:

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ (٨٦) **وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٨٧).

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي سيردك إلى معادك كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ولكن ألقاه رحمة منه، ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى كأنه قال: وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم.

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ عن قراءتها والعمل بها. ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ﴾ وقرئ ﴿يَصُدُّكَ﴾ من أصد. ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى عبادته وتوحيده. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بمساعدتهم.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْفُكْرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨).

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ هذا وما قبله للتبهيح وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم. ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في الخلق. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء بالحق. عن النبي ﷺ «من قرأ طسّم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه صادقاً».

## (٢٩) سورة العنكبوت

مكية وآيها تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَمْ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١)

﴿الَمْ﴾ سبق القول فيه، ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه أو بما يضمّر معه.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ الحسابان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله: ﴿أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فإن معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم ﴿آمنّا﴾، فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم ﴿آمنّا﴾ هو الثاني كقولك: حسبت ضربه للتأديب، أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم ﴿آمنّا﴾ بل يمتحنهم الله بمشاق التكليف، كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه، ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات، فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب. روي أنها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين، وقيل في عمار وقد عذب في الله تعالى، وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامراته.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢) **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٣)**

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ متصل بـ ﴿أَحَسِبَ﴾ أو بـ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾، والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا فيه، وينوط به ثوابهم وعقابهم لذلك وقيل المعنى وليميزن أو ليجازين، وقرئ «وليعلنن» من الإعلام أي وليعرفنهم الله الناس أو لَيَسْمَنَّهُمْ بِسِمَةٍ يعرفون بها يوم القيامة كيباض الوجوه وسوادها.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساوئهم وهو ساد مسد مفعولي ﴿حَسِبَ﴾ لاشتماله على مسند وبمسند إليه ويجوز أن يضمن ﴿حَسِبَ﴾ معنى قدر أو أم منقطعة والإضراب فيها لأن هذا الحساب أبطل من الأول ولهذا عقبه بقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي بشس الذي يحكمونه، أو حكماً يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالدم.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآئِيَّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤)

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ في الجنة، وقيل المراد بلقاء الله الوصول إلى ثوابه، أو إلى العاقبة من الموت

والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله، فإذا أن يلقاه يبشر لما رضي من أفعاله أو بسخط لما سخط منها. ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ فإن الوقت المضروب للقاءه. ﴿لَا ت﴾ لجاء وإذا كان وقت اللقاء آتياً كان اللقاء كائناً لا محالة، فليبادر ما يحقق أملة ويصدق رجاءه أو ما يستوجب به القربة والرضا. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بعقائدهم وأفعالهم.

﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿وَمَنْ جَاهَدْ﴾ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات. ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن منفعتها لها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم، وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي أحسن جزاء أعمالهم.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ بآيتائهما فعلاً ذا حسن، أو كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفاً، وقيل هو بمعنى قال، أي وقلنا له أحسن بوالديك ﴿حَسَنًا﴾، وقيل ﴿حَسَنًا﴾ منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أي قلنا أولهما أو افعل بهما ﴿حَسَنًا﴾ وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾، وقرئ ﴿حَسَنًا﴾ و ﴿إِحْسَانًا﴾. ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بالهيته عبر عن نفية بنفي العلم بها إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر قبل. ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عقى. ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء عليه، والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة، فإنها لما سمعت بإسلامه خلعت أنها لا تتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبت ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في «لقمان» و «الأحقاف».

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ في جملتهم والكمال في الصلاح انتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين، أو في مدخلهم وهو الجنة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ بأن عذبهم الكفرة على الإيمان. ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما يصيبه من أذيتهم في الصرف عن الإيمان. ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الصرف عن الكفر. ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ فتح وغنيمة. ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين فأشركونا فيه، والمراد المنافقون أو قوم ضعف إيمانهم

فارتدوا من أذى المشركين ويؤيد الأول. ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من الإخلاص والنفاق. ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم. ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٢) ﴿وَلْيَحْمِلْ أَثْقَالَهُمْ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّ لَكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَمَّا كَانُوا يَقَرُّونَ﴾ (١٣).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ الذي نسلكه في ديننا. ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ إن كان ذلك خطيئة أو إن كان بعث ومؤاخذه، وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كانت تشجيعاً لهم عليه، وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ من الأولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير: وما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم.

﴿وَلْيَحْمِلْ أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال ما اقترفته أنفسهم. ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وأثقالاً آخر معها لما تسبوا له بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء. ﴿وَلَيَسَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال تفرغ وتبكي. ﴿عَمَّا كَانُوا يَقَرُّونَ﴾ من الأباطيل التي أضلوا بها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٤) ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٥).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ بعد المبعث، إذ روي أنه بعث على رأس الأربعين ودعا قوماً تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين، ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخيل طول المدة إلى السامع، فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتبئته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة. ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل أو ظلام أو نحوهما. ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أي نوحاً عليه السلام. ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ ومن أركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين. وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم إناث. ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي السفينة أو الحادثة. ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يتعظون ويستدلون بها.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧).

﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على ﴿نوحاً﴾ أو نصب بإضمار اذكر، وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ظرف لأرسلنا أي أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به، أو بدل منه بدل اشتغال إن قدر بذكر. ﴿وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه. ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر، أو كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله تعالى، أو تعملونها وتحتونها للإفك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث إنه زور وباطل، وقرىء «تخلقون» من خلق للتكثير و«تخلقون» من تخلق للتكلف، و«أفكاً» على أنه مصدر كالكذب أو نعت بمعنى خلقاً ذا إفك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ دليل ثان على شرارة ذلك من حيث إنه لا يجدي بطائل، و«رِزْقًا» يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم. ﴿فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كله فإنه المالك له. ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حُفِّمَ من النعم بشكره، أو مستعدين للقاءه بهما، فإنه: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقرىء بفتح التاء.

﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَنْبَئُكُمُ الْبَيِّنَاتِ ۖ وَأَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩).

﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ وإن تكذبوني. ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم. ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ الذي يزال معه الشك وما عليه أن يصدق ولا يكذب، فالآية وما بعدها من جملة قصة إبراهيم عليه السلام إلى قوله ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ ويحتمل أن تكون اعتراضاً بذكر شأن النبي ﷺ وقرش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم، توسط بين طرفي قصته من حيث إن مساقها لتسلية رسول الله ﷺ والتنفيس عنه، بأن أباه خليل الله صلوات الله عليهما كان ممنوراً بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم في قومه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من مادة ومن غيرها، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالناء على تقدير القول وقرىء «يبدأ». ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لا على «يبدأ». فإن الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن تؤول الإعادة بأن ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما وتعطف على «يبدأ». ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى الإعادة أو إلى ما ذكر من الأمرين. ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إذ لا يفتر في فعله إلى شيء.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠) ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (٢١).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حكاية كلام الله لإبراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على اختلاف الأجناس والأحوال. ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء، فإنه والإعادة نشأتان من حيث إن كلا اختراع وإخراج من العدم، والإفصاح باسم الله مع إيقاعه مبتدأ بعد إضماره في بدأ والقياس للاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود بيان الإعادة، وأن من عرف بالقدرة على الإبداء ينبغي أن يحكم له بالقدرة على الإعادة لأنها أهون والكلام في العطف ما مر، وقرىء «النشأة» كالرأفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على النشأة الأولى.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه. ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته. ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢٢) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُوا اللَّهَ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٣).

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ريبكم عن إدراككم. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إن فررتم من قضائه بالتواري في الأرض أو الهبوط في مهاويها، والتحصن ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أو القلاع الذاهية فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان:

أَمِنْ يَهْجُرُ رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءً

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بدلائل وحدانيته أو بكتبه. ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بالبعث. ﴿أُولَئِكَ يَتَّخِذُونَ رَحْمَتِي﴾ أي يياسون منها يوم القيامة، فعبر عنه بالماضي للتحقق والمبالغة، أو آيسوا في الدنيا لإنكار البعث والجزاء. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤).

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ قوم إبراهيم له. وقرئ بالرفع على أنه الاسم والخبر. ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون أسند إلى كلهم. ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ أي فقدفوه في النار فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً. ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ في إنجائه منها. ﴿لَآيَاتٌ﴾ هي حفظه من أذى النار وإخمادها مع عظمها في زمان يسر وإنشاء روض مكانها. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ (٢٥).

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها، وثاني مفعولي «اتخذتم» محذوف ويجوز أن تكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف أي اتخذتم أوثاناً سبب المودة بينكم أو بتأويلها بالمودودة، وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق، وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة بينكم، والجملة صفة «أوثاناً». أو خير إن على أن ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الأول، وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح «بينكم» كما قرئ «لقد قطع بينكم» وقرئ «إنما مودة بينكم». ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم، أو بينكم وبين الأوثان على تغليب المخاطبين كقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾. ﴿وَمَا أَوَّاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يخلصونكم منها.

﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَيْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنْ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧).

﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ﴾ هو ابن أخيه وأول من آمن به، وقيل إنه آمن به حين رأى النار لم تحرقه. ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي. ﴿إِلَى رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي. ﴿الْحَكِيمُ﴾

الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي. روي أنه هاجر من كوثي من سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة عمه إلى حران، ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولدأ ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسماعيل. ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكثرت منهم الأنبياء. ﴿وَالْكِتَابَ﴾ يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة. ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ﴾ على هجرته إلينا. ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه، والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتفاء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر. ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لفي عداد الكاملين في الصلاح..

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتَوْنَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَلُوطًا﴾ عطف على إبراهيم أو على ما عطف عليه. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتَوْنَ الْفَاحِشَةُ﴾ الفعلة البالغة في القبح، وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام في الثاني. ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ استئناف مقرر لفاحشتها من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طبيعتهم.

﴿إِنَّكُمْ لَأَنْتَوْنَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّكُمْ لَأَنْتَوْنَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ وتعرضون للسبالة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث. ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾ في مجالسكم الخاصة بأهلها ولا يقال للنادي إلا لما فيه أهله. ﴿الْمُنْكَرُ﴾ كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها. وقيل الخذف ورمي البنادق. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في استقباح ذلك أو في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ بإنزال العذاب. ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم، وصفهم بذلك مبالغة في استئزال العذاب وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانَُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّ أَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُمْ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بالبشارة بالولد والنافلة. ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانَُوا ظَالِمِينَ﴾ تعليل لإهلاكهم لهم بإصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وأنواع المعاصي.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم، أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين أظهرهم. ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّ أَهْلَهُ﴾ تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وأنهم ما كانوا غافلين عنه، وجواب عنه بتخصيص الأهل بمن عداه وأهله أو تأقبت الإهلاك بإخراجهم منها، وفيه تأخير

لبيان عن الخطاب. ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقي في العذاب أو القرية.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٣).

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء، و  
﴿أَنْ﴾ صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما. ﴿وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ وضايق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته  
كقولهم ضاقت يده وبإذاؤه رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقاً له، وذلك لأن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير  
الذراع. ﴿وَقَالُوا﴾ لما رأوا فيه أثر الضجرة. ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ على تمكنهم منا. ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا  
أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب «لننجينه» و «منجوك» بالتخفيف ووافقهم أبو  
بكر وابن كثير في الثاني، وموضع الكاف الجر على المختار ونصب «أهلك» بإضمار فعل أو بالعطف على  
محلها باعتبار الأصل.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا  
مِنْهَا آيَةً يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً منها سمي بذلك لأنه يقلق المعذب من قولهم  
ارتجز إذا ارتجس أي اضطرب، وقرأ ابن عامر «مُنْزِلُونَ» بالتشديد. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم.  
﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ هي حكايتها الشائعة أو آثار الديار الخربة، وقيل الحجارة الممطرة فإنها كانت  
باقية بعد وقيل بقية أنهارها المسودة. ﴿لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار، وهو متعلق  
بـ «تركنا» أو «آية».

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ﴾ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ (٣٧).

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقم  
المسبب مقام السبب، وقيل إنه من الرجاء بمعنى الخوف. ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.  
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة وقيلة صيحة جبريل لأن القلوب ترجف لها. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي  
دَارِهِمْ﴾ في بلدهم أو دورهم ولم يجمع لأمن اللبس. ﴿جَنِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَرَبِّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتُمْ قَسْدَهُمْ عَنِ  
السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨).

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ منصوبان بإضمار اذكر أو فعل دل عليه ما قبله مثل أهلكننا، وقرأ حمزة وحفص  
ويعقوب «وثموداً» غير منصرف على تأويل القبيلة. ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ أي تبين لكم بعض  
مساكنهم، أو إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها. ﴿وَرَبِّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ﴾ من  
الكفر والمعاصي. ﴿فَقَصَدْنَاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ السوي الذي بينه الرسل لهم. ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ متمكنين من  
النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا، أو متبينين أن العذاب لا حق بهم بإخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى  
هلكوا.

﴿وَقَرَّبُوا وَفَرَعُونَ وَهَمَكُوا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ معطوف على عاداً وتقديم ﴿قارون﴾ لشرف نسبه. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾ فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه إذا فاته. ﴿فَكَلَّا﴾ من المذكورين. ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ عاقبناه بذنبه. ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً عاصفاً فيها حصباء، أو ملكاً رماهم بها كقوم لوط. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كمدين وشمود. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كقارون. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم إذ ليس ذلك من عادته عز وجل. ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالتعريض للعذاب.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ فيما اتخذوه معتمداً ومتكلاً. ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك أوهن فإن لهذا حقيقة وانتفاعاً ماء، أو مثلهم بالإضافة إلى الموحد كمثليها بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً من حجر وجص، والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، والتاء فيه كطاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة وأعكب. ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا بيت أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك، ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقاً للتمثيل فيكون المعنى: وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ على إضمار القول أي قل للكفرة إن الله يعلم، وقرأ البصريان بالياء حملاً على ما قبله و ﴿ما﴾ استفهامية منصوبة بـ ﴿تدعون﴾ و ﴿يعلم﴾ معلقة عنها و ﴿من﴾ للتبيين أو نافية و ﴿من﴾ مزيدة و ﴿شيء﴾ مفعول ﴿تدعون﴾ أو مصدرية و ﴿شيء﴾ مصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول ﴿تدعون﴾ عائدها المحذوف، والكلام على الأولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تعليل على المعنيين فإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئاً بمن هذا شأنه، وأن الجماد بالإضافة إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم، وأن من هذا وصفه قادر على مجازاتهم.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ حَقَّ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ يعني هذا المثل ونظائره. ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لما بعد من أفهامهم. ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ ولا يعقل حسناتها وفائدتها. ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي. وعنه ﴿تِلْكَ﴾ أنه تلا هذه الآية

فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ محققاً غير قاصد به باطلاً، فإن المقصود بالذات من خلقها إفادة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم المنتفعون به.

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥).

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ تقريباً إلى الله تعالى بقرائه وتحفظاً لألفاظه واستكشافاً لمعانيه، فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ بأن تكون سبباً للانتهاز عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث النفس خشية منه. روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف له عليه السلام فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب. ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها به للتعليل بأن اشتغالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات، أو ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٤٧).

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشغبة بالنصح، وقيل هو منسوخ بآية السيف إذ لا مجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء، وقيل المراد به ذو العهد منهم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أو بنقض العهد ومنع الجزية. ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو من المجادلة بالتي هي أحسن. وعن النبي ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم». ﴿وَالِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال. ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وحيّاً مصداقاً لسائر الكتب الإلهية وهو تحقيق لقوله: ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ هم عبد الله بن سلام وأضرابه، أو من تقدم عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب. ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ ومن العرب أو أهل مكة أو ممن في عهد الرسول من أهل الكتابين. ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بالقرآن. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليها. ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ إلا المتوغلون في الكفر فإن جزمهم به يمنهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول ﷺ كما أشار إليه بقوله:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَثَلَوْنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤٨) بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يَنْتَنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤٩).

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَثَلَوْنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ﴾ فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم

الشريفة على أُمِّي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة، وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفي للتجوز في الإسناد. ﴿إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأولين الأقدمين، وإنما سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتبابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز المتكاثرة، وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر.

﴿بَلْ هُوَ﴾ بل القرآن ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُنُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه. ﴿وَمَا يَجْعَدُ بَأْيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل إعجازها حتى لم يعتدوا بها.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾  
أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى، وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص ﴿آيَاتٌ﴾. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء لست أملكها فأتيتكم بما تقترحونه. ﴿إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ليس من شأني إلا الإنذار وإبانت بما أعطيت من الآيات.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آية مغنية عما اقترحوه. ﴿أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات، أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة. ﴿لَرَحْمَةٌ﴾ لنعمة عظيمة. ﴿وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت. وقيل إن أناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود، فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبينهم إلى ما جاء به غير نبينهم فنزلت.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَتَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا﴾ بصدقي وقد صدقني بالمعجزات، أو تبليغي ما أرسلت به إليكم ونصحي ومقابلتكم إياي بالتكذيب والتعنت. ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفي عليه حالي وحالكم. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله. ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَتَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ بقولهم: أمطر ﴿علينا حجارة من السماء﴾. ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ لكل عذاب أو قوم. ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة في الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه.

﴿تَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿تَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب، أو هي كالمحيطة

بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم، واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمحل للدلالة على موجب الإحاطة، أو للجنس فيكون استدلالاً بحكم الجنس على حكمهم.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ ظرف ﴿للمحيط﴾ أو مقدر مثل كان كيت وكيت. ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ من جميع جوانبهم. ﴿وَيَقُولُ﴾ الله أو بعض ملائكته بأمره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون. ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءه.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿كُلْ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٧)

﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ أي إذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك، وعنه عليه الصلاة والسلام: «من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام». والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها.

﴿كُلْ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ تناله لا محالة. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له وقرأ أبو بكر بالياء.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٥٨) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥٩)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لنزلهم. ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ علالي، وقرأ حمزة والكسائي «لنؤوينهم» أي لنقيمهم من الثواء فيكون انتصاب غرماً لإجرائه مجرى لنزلهم، أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم. ﴿تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ وقرئ «فنعم» والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من المحن والمشاق. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ولا يتوكلون إلا على الله.

﴿وَكَايُنَ مِنْ دَائِبَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٠) ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١)

﴿وَكَايُنَ مِنْ دَائِبَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره، وإنما تصبح ولا معيشة عندها. ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله، لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة، فإنهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم هذا. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضميركم.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ المسؤول عنهم أهل مكة. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود. ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحداً على أن البسط والقبض على التعاقب وألا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وإبهامه لأن من يشاء مبهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ معترفين بأنه الموجد للممكّنات بأسرها أصولها وفروعها، ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما عصمك من مثل هذه الضلالة، أو على تصديقك وإظهار حجتك. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدئ لكل ما عداه ثم إنهم يشركون به الصنم، وقيل لا يعقلون ما تريد بتحريكك عند مقالهم.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَلِئِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ إشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة. ﴿إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ إلا كما يلهي ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويتهجون به ساعة ثم يفرقون متعبين. ﴿وَلِئِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوةُ﴾ لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها، أو هي في ذاتها حياة للمبالغة، و ﴿الْحَيَوةُ﴾ مصدر حين سمي به ذو الحياة وأصله حيان فقلبت الياء الثانية واواً وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ها هنا. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم أي هم على ما وصفوا به من الشرك فإذا ركبوا البحر. ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كاتنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو. ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجزوا المعاودة إلى الشرك.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ اللام فيه لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة. ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادمهم عليها، أو لام الأمر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾ بالسكون. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك حين يعاقبون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْحَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفْئَالًا بَاطِلًا يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكة. ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ أي جعلنا بلدكم مصوناً عن النهب والتعدي آمناً

أهله عن القتل والسبي. ﴿وَيَتَحَفَّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يختلسون قتلاً وسيياً إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب. ﴿أَقْبَالُ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه إلا الله يؤمنون بالصنم أو الشيطان. ﴿وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بأن زعم أن له شريكاً. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ يعني الرسول أو الكتاب، وفي ﴿لَمَّا﴾ تسفيه لهم بأن لم يتوافقوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه. ﴿الْإِنْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ تقرير لثوائهم كقوله:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ زَكَبَ الْمَطَايَا

أي ألا يستوجبون الثواب فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب، أو لاجترائهم أي ألم يعلموا أن ﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ حتى اجترؤوا مثل هذه الجراءة.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقنا وإطلاق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعه. ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا، أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ وفي الحديث «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم». ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والإعانة.

قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين».

## (٣٠) سورة الروم

مكية إلا قوله ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ﴾ الآية وآيها ستون أو تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ (١) ﴿فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (٢) ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾  
﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣) ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤) ﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ (٥)

﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ﴾

﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَذْنَى الْأَرْضِ﴾ أرض العرب منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم، أو في أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من الإضافة. ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، وقرئ «غلبهم» وهو لغة كالجلب والجلب. ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾.

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ روي أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى، وقيل بالجزيرة وهي أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتموا بالمسلمين وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظفرون عليكم فنزلت، فقال لهم أبو بكر: لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظفرون الروم على فارس بعد بضْع سنين، فقال له أبي بن خلف: كذبت اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه، فنأجبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلنا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزأده في الخطر وماده في الأجل، فجعلناه مائة قلووس إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله ﷺ بعد قفوله من أحد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال تصدق به. واستبدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب، وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار، والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب. وقرئ «غَلَبَتْ» بالفتح و«سَيَغْلِبُونَ» بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم، وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون إضافة الغلب إلى الفاعل. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين، ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أي له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما إلا بقضائه، وقرئ «من قبل ومن بعد» من غير تقدير مضاف إليه كأنه قيل قبلاً وبعداً أي أولاً وآخرأ. ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويوم تغلب الروم. ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاضل وظهور صدقهم فيما أخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم، وقيل ينصر الله المؤمنين بإظهار صدقهم أو بأن ولي بعض أعدائهم بعضاً حتى تفانوا. ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويفضل عليهم بنصرهم أخرى.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٧﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى الوعد. ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ لامتناع الكذب عليه تعالى. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكيرهم.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها. ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ التي هي غابتها والمقصود منها. ﴿هُمْ غَافِلُونَ﴾ لا تخطر ببالهم، و ﴿هُمْ﴾ الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ و ﴿غَافِلُونَ﴾ خبره والجملة خبر الأولى، وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبذولة من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقريراً لجهالتهم وتشبيهاً لهم بالحيوانات المقصور إدراكها من الدنيا ببعض ظاهرها، فإن من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهراً، وأما باطنها فإنها مجاز إلى الآخرة ووصلة إلى نيلها وأنموذج لأحوالها وإشعاراً بأنه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ أو لم يحدثوا التفكير فيها، أو أو لم يَتَفَكَّرُوا في أمر أنفسهم فإنها أقرب إليهم من غيرها ومرة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات بأسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها مثل قدرته على إبدائها. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ متعلق بقول أو علم محذوف يدل عليه الكلام. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تنتهي عنده ولا تبقى بعده. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ﴾ بقاء جزائه عند انقضاء الأجل المسمى أو قيام الساعة. ﴿لَكَافِرُونَ﴾ جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٩﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تقرير لسيرهم في أقطار الأرض ونظرهم في آثار المدمرين قبلهم. ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وشمود. ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها. ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ وعمروا الأرض. ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمارة أهل مكة إياها فإنهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها، وفيه تهكم بهم من حيث إنهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالاً فيها، إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في أقطار الأرض بأنواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون إلى دار لا نفع لها. ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات أو الآيات الواضحات. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير. ﴿وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِئَن نَّسْتَهْزِئَهُمْ﴾ ﴿١٠﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوَىٰ اسْتَوَىٰ﴾ أي ثم كان عاقبتهم العاقبة ﴿السَّوَىٰ﴾ أو الخصلة ﴿السَّوَىٰ﴾،

فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جاءوا بمثل أفعالهم، و «السوأي» تأنيث الأسوأ كالحسنى أو مصدر كالشرى نعت به. «أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ» علة أو بدل أو عطف بيان لـ «السوأي»، أو خبر كان و «السوأي» مصدر أسأوا أو مفعوله بمعنى، «ثم كان عاقبة» الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها، ويجوز أن تكون «السوأي» صلة الفعل و «أَنْ كَذَّبُوا» تابعها والخبر محذوف للإبهام والتهويل، وأن تكون «أَنْ» مفسرة لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالكذب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول، وقرأ ابن عامر والكوفيون «عاقبة» بالنصب على أن الاسم «السوأي» و «أَنْ كَذَّبُوا» على الوجه المذكورة.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾

«الله يبدؤا الخلق» ينشئهم. «ثم يعيده» يعيدهم. «ثم إليه ترجعون» للجزاء والعدول إلى الخطاب للمبالغة في المقصود، وقرأ أبو بكر وعمرو وروح بالياء على الأصل.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو، وقرئ بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِرُ بِتَفْرِقِهِمْ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله. «شفعاء» يجيرونهم من عذاب الله، ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه. «وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ» يكفرون بالهتهم حين يشسوا منهم، وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم، وكتب في المصحف «شفعاء» و«علموا بني إسرائيل» بالواو وكذا «السوأي» بالألف إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِرُ بِتَفْرِقِهِمْ﴾ أي المؤمنون والكافرون لقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ أرض ذات أزهار وأنهار. «يُحْبَرُونَ» يسرون سروراً تهللت له وجوههم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ مدخلون لا يغيبون عنه.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ «لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ» إخبار في معنى الأمر بتتزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتتزه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض، وتخصيص التسييح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين إذا نقص نورها والظهيرية التي هي وسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر،

ويجوز أن يكون «عشياً» معطوفاً على «حين تمسون» وقوله «وله الحمد في السموات والأرض» اعتراضاً. وعن ابن عباس أن الآية جامعة للصلوات الخمس «تمسون» صلاتا المغرب والعشاء، و«تصبحون» صلاة الفجر، و«عشياً» صلاة العصر، و«تظهرون» صلاة الظهر. ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لأنه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقتا وإنما فرضه الخمس بالمدينة، والأكثر على أنها فرضت بمكة. وعنه عليه الصلاة والسلام «من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية». وعنه عليه الصلاة والسلام «من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في ليلته، ومن قاله حين يمسي أدرك ما فاته في يومه». وقرأ «حيناً تمسون» و«حيناً تصبحون» أي تمسون فيه وتصبحون فيه.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُمِئِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١٩)

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة. ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالنطفة والبيضة، أو يعقب الحياة الموت وبالعكس. ﴿ويُمِئِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الإخراج. ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم فإنه أيضاً تعقيب للحياة الموت، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي في أصل الإنشاء لأنه خلق أصلهم منه. ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ثم فاجأكم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال، أو لأنهن من جنسهم لا من جنس آخر. ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ لتميلوا إليها وتألفوا بها فإن الجنسية علة للمضام والاختلاف سبب للتنافر. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي بين الرجال والنساء، أو بين أفراد الجنس. ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظماً لأمر المعاش، أو بأن تعيش الإنسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج إلى التواد والتراحم، وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله تعالى: ﴿ورحمة منا﴾. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون ما في ذلك من الحكم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ الْبَشَرِ وَالْوَحْشِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ الْبَشَرِ وَالْوَحْشِ﴾ لغاتكم بأن علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها، أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقين مساويين في الكيفية. ﴿وَالْوَحْشِ﴾ بياض الجلد وسواده، أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها، وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى أن التوائمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لا تكاد تخفى على عاقل من ملك أو إنس أو جن، وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيد قوله: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢٣)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما، أو منامكم بالليل وابتغائكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعاراً بأن كلا من الزمانين وإن اختص بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واستبصار فإن الحكمة فيه ظاهرة.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٤)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ مقدر بأن المصدرية كقوله:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَخْضِرِ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي

أو الفعل فيه منزلة المصدر كقولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، أو صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله:

فَمَا الدُّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أُمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَفِي الْعَيْشَ أَكْذَحُ

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة للمسافر. ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث للمقيم، ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فإن إراءتهم تستلزم رؤيتهم أوله على تقدير مضاف نحو إرادة خوف وطمع، أو تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع كقولك فعلته رغماً للشيطان، أو على الحال مثل كَلَّمْتُهُ شِفَاهًا. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وقرئ بالتشديد. ﴿فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٥) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾ (٢٦)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس، والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عطف على ﴿أَنْ تَقُومَ﴾ على تأويل مفرد كأنه قيل: ومن آياته قيام السموات والأرض بأمره ثم خروجكم من القبور ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا، والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق إرادته بلا توقف واحتياج إلى تجشم عمل بسرعة ترتب إجابة الداعي المطاع على دعائه، وثم إما لتراخي زمانه أو لعظم ما فيه ومن الأرض متعلق بدعا كقولك: دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي لا بتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها، و ﴿إِذَا﴾ الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الغاء في جواب الأولى.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾ منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧)

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ والإعادة أسهل عليه من الأصل بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء لـ ﴿الخلق﴾، وقيل ﴿أهون﴾ بمعنى هين وتذكير هو لأهون أو لأن الإعادة بمعنى أن يعيد. ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسر بقول لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية. ﴿الْأَعْلَى﴾ الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يصفه به ما فيها دلالة ونطقاً. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته. ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ متزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم. ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من ممالككم. ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِيهَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الأموال وغيرها. ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ فتكونون أنتم وهم فيه سواء يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم، و ﴿مِنْ﴾ الأولى للابتداء والثانية للتبعية والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يستبدوا بتصرف فيه. ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التفصيل. ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبينها فإن التفصيل مما يكشف المعاني ويوضحها. ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك. ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين لا يكفهم شيء فإن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه. ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ فمن يقدر على هدايته. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتنا.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْنَهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ مَبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه، وهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به. ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ خلقته نصب على الإغراء أو المصدر لما دل عليه ما بعدها. ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه، أو ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها، وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغي أن يغير. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة. ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم الذي لا عوج فيه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استقامته لعدم تدبرهم.

﴿مُبِينٌ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى، وقيل منقطعين إليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لأن الآية خطاب للرسول ﷺ والأمة لقوله: ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ غير أنها صدرت بخطاب الرسول ﷺ تعظيماً له.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ جَزِئٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم،

وقرأ حمزة والكسائي ﴿فارقوا﴾ بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا به. ﴿وَكَاثُوا شَيْعَمًا﴾ فرقاً تشايح كل إمامها الذي أضل دينها. ﴿كُلُّ جُزْءٍ بِمَا لَدَيْنَهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ظناً بأنه الحق، ويجوز أن يجعل فرحون صفة كل على أن الخبر ﴿من الذين فرقوا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَسْتَهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٤) ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٥).

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدة. ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه من دعاء غيره. ﴿ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ خلاصاً من تلك الشدة. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجأ فريق منهم بالإشراك بربهم الذي عافاهم.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر بمعنى التهديد لقوله: ﴿فَمَتَّعُوا﴾ غير أنه التفت فيه مبالغة وقرئ و «ليتمتعوا». ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم، وقرئ بالياء التحتية على أن تمتعوا ماض. ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وقيل ذا سلطان أي ملكاً معه برهان. ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة كقوله ﴿كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ أو نطق. ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ بإشراكهم وصحته، أو بالأمر الذي بسببه يشركون به في ألوهيته.

﴿وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (٣٦) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧).

﴿وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ نعمة من صحة وسعة. ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ بطروا بسببها. ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدة. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بشؤم معاصيهم. ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فاجؤوا القنوط من رحمته وقرأ الكسائي وأبو عمرو بكسر النون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ فما لهم لم يشكروا ولم يحسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة.

﴿فَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨).

﴿فَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ كصلة الرحم، واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به. ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ ما وظف لهما من الزكاة، والخطاب لرسول الله ﷺ أو لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ذاته أو جهته أي يقصدون بمعروفهم إياه خالصاً، أو جهة التقرب إليه لا جهة أخرى. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم.

﴿وَمَا ءَانَسْتُمْ مِنْ رِبَاٍ لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَانَسْتُمْ مِنْ رَكَاوِرٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْضِعُونَ﴾ (٣٩).

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاٍ﴾ زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة، وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جتسم به من إعطاء ربا. ﴿لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ ليزيد ويزكو في أموالهم. ﴿فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فلا

يزكو عنده ولا يبارك فيه، وقرأ نافع ويعقوب ﴿لَتَرْبُوا﴾ أي لتزيدوا أو لتصيروا ذوي ربا. ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ تبتغون به وجهه خالصاً ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف المقيوي والموسر لذي القوة واليسار، أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة، وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظماً للمبالغة، والاتلفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفاً لحالهم، أو للتعميم كأنه قال: فمن فعل ذلك ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾، والراجع منه محذوف إن جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به، أو فمؤنوه أولئك هم المضعفون.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيْشُكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٥).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً﴾ أثبت له لوازم الألوهية ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها مؤكداً بالإنتكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق، ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويجوز أن تكون الكلمة الموصولة صفة والخبر ﴿هل من شركائكم﴾ والرباط ﴿من ذلكم﴾ لأنه بمعنى من أفعاله، و ﴿من﴾ الأولى والثانية تفيد أن شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٦) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٧).

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ كالجذب والموتان وكثرة الحرق والفرق وإخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار، أو الضلالة والظلم. وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى و «البحور». ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياه، وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قاييل أخاه وفي البحر بأن جلنداً ملك عمان كان يأخذ كل سفينة غصباً. ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ بعض جزائه فإن تمامه في الآخرة واللام للعللة أو للعاقبة. وعن ابن كثير ويعقوب ﴿لنذيقهم﴾ بالنون. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم، أو كلان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ (٤٨).

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ البليغ الاستقامة. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ﴾ لا يقدر أن يرده أحد، وقوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ متعلق بـ «يأتي»، ويجوز أن يتعلق بـ «مَرَدٌ» لأنه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه. ﴿يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ يتصدعون أي يفرقون ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ كما قال

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُهْدُونَ﴾ (٤٩) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٥٠).

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي وباله وهو النار المؤبدة. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُهْدُونَ﴾ يسوون منزلاً في الجنة، وتقدير الطرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ علة لـ ﴿يمهدون﴾ أو لـ ﴿يصدقون﴾، والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين، وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على أن الإثابة تفضل محض، وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ (٤٦).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ الشمال والصبأ والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «الريح» على إرادة الجنس. «مُبَشِّرَاتٍ» بالمطر. «وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» يعني المنافع التابعة لها، وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها «مبشرات» أو عليها باعتبار المعنى، أو على «يرسل» بإضمار فعل معلل دل عليه. «وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» يعني تجارة البحر. «وَلِتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُشْكُرُونَ» ولتشكروا نعمة الله تعالى فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُومُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُومُوا﴾ بالتدمير. «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» إشعار بأن الانتقام لهم وإظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم، وعنه عليه الصلاة والسلام «ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك». وقد يوقف على «حقاً» على أنه متعلق بالانتقام.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٨) «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ» (٤٩).

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ﴾ متصلاً تارة. «فِي السَّمَاءِ» في سمتها. «كَيْفَ يَشَاءُ» سائراً أو واقفاً مطبقاً وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك. «وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا» قطعاً تارة أخرى، وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف أو جمع كسفة أو مصدر وصف به. «فَتَرَى الْوَدْقَ» المطر. «يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» في التارتين. «فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ» يعني بلادهم وأراضيهم. «إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» لمجيء الخصب.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ المطر. «مِنْ قَبْلِهِ» تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام بأسهم، وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال. «لَمُبْلِسِينَ» لايسين.

﴿فَانْظُرْ إِلَى مَائِنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَلْمُوتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠).

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ أَثْرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أثر الغيث من النبات والأشجار وأنواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص. ﴿كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وقرئ بالتاء على إسناده إلى ضمير الرحمة. ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يعني إن الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها. ﴿لَمُخَيِّ الْمَوْتَى﴾ لقادر على إحيائهم فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية، كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية، هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الراحنة ما يكون من مواد تفتت وتبددت من جنسها في بعض الأعوام السالفة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء.

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٥١).

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ فرأوا الأثر أو الزرع فإنه مدلول عليه بما تقدم، وقيل السحاب لأنه إذا كان «مصفراً» لم يعطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله: ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ جواب سد مسد الجزء ولذلك فسر بالاستقبال. وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكيرهم وسوء رأيهم، فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله ويلتجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولا يياسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشكر والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ﴾ (٥٢) ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٥٣).

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم. ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ﴾ قيد الحكم به ليكون أشد استحالة، فإن الأصم المقبل وإن لم يسمع الكلام يقطن منه بواسطة الحركات شيئاً، وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع «الصُّمَّ».

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ سماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الأبصار أو لعمي قلوبهم، وقرأ حمزة وحده «تهدي العمي». ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ فإن إيمانهم يدعوهم إلى تلقي اللفظ وتدبر المعنى، ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان. ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لما تأمرهم به.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله «خلق الإنسان ضعيفاً» أو خلقتكم من أصل ضعيف وهو النطفة. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وذلك إذا بلغت الحلم أو تعلق بأبدانكم الروح. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ إذا أخذ منكم السن، وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم أقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما: قرأتها على رسول الله ﷺ «من ضعف فأقراني من ضعف». وهما لغتان كالفقر والفقير والتكثير مع التكرير لأن المتأخر ليس عين المتقدم. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعف وقوة وشيبة وشيبة. ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ فإن التردد في الأحوال المختلفة مع إمكان غيره دليل العلم والقدرة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٥٥).

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة

وصارت علماً لها بالغلبة كالكوكب للزهرة. «يُفَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا» في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم، وفي الحديث «ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون» وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام. «غَيْرَ سَاعَةٍ» استقلوا مدة لبثهم إضافة إلى مدة عذابهم في الآخرة أو نسياناً. «كَذَلِكَ» مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق. «كَانُوا يُؤْفَكُونَ» يصرفون في الدنيا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة والإنس. «لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ» في علمه أو قضائه، أو ما كتبه لكم أي أوجبه أو اللوح أو القرآن وهو قوله: «ومن ورائهم برزخ». «إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ» ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه. «فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ» الذي أنكرتموه. «وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» أنه حق لتفريطكم في النظر، والفاء لجواب شرط محذوف تقديره: إن كنتم منكبين البعث فهذا يومه، أي فقد تبين بطلان إنكاركم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾ وقرأ الكوفيون بالياء لأن المعذرة بمعنى العذر، أو لأن تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما. «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم أي إزالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه في الدنيا من قولهم استعطني فلان فأعتبه أي استرضاني فأرضيته.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَسَّتْهُمُ بَآيَةُ إِلَهُ قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتَ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ولقد وصفناهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال، مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب، أو بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول. «وَلَكِنْ جَسَّتْهُمُ بَآيَةُ» من آيات القرآن. «لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم. «إِنْ أَنْتُمْ» يعنون الرسول والمؤمنين. «إِلَّا مُبْطِلُونَ» مزورون.

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع. «يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق.

﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿فَأَصْبِرْ﴾ على أذاهم. «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله. «حَقٌّ» لا بد من إنجازه. «وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ» ولا يحملنك على الخفة والقلق. «الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» بتكذيبهم وإيذائهم فإنهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك. وعن يعقوب بتخفيف النون، وقرأ «ولا يستحقنك» أي لا يزيغنك فيكونوا أحق بك مع المؤمنين. عن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليته».

## (٣١) سورة لقمان

مكية إلا آية وهي الَّذِينَ يقيمُونَ الصلاةَ وَيؤْتُونَ الزكاةَ فَإِنَّ وَجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لأنه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل إلا ثلاثاً من قوله

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾

وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ﴾ (١) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾

﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ﴾ سبق بيانه في «يونس».

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة، ورفعها حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر لمحذوف.

﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٣) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾

﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان لإحسانهم أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لاستجماعهم العقيدة الحق والعمل الصالح.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٥)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ما يلهي عما يعني كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتبار بها والمضاحك وفضول الكلام، والإضافة بمعنى من وهي تبينية إن أراد بالحديث المنكر وتبعيضية إن أراد به الأعم منه. وقيل نزلت في النضر بن الحرث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة. وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرته من أراد الإسلام ومنعه عنه. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه أو قراءة كتابه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ ويتخذ السبيل سخريه، وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفاً على ﴿ليضل﴾. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لإهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً لا يعبا بها. ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ مشابهاً حاله حال من لم يسمعها. ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ مشابهاً من في أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع، والأولى حال من المستكن في ﴿وَلَّىٰ﴾ أو في ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، والثانية بدل منها أو حال من المستكن في ﴿لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ ويجوز أن يكونا استئنافين، وقرأ نافع ﴿فِي أُذُنَيْهِ﴾. ﴿فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ﴾ أعلمه بأن العذاب يحيق به لا محالة وذكر البشارة على التهمك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ أي لهم نعيم الجنات فعكس للمبالغة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ أو من ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ والعامل ما تعلق به اللام. ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ وعد وليس كل وعد حقاً. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾. الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن إنجاز وعده ووعيده. ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما تستدعيه حكمته.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَغْيَرُ عَمَدَ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَغْيَرُ عَمَدَ تَرَوْنَهَا﴾ قد سبق في «الرعد». ﴿وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبلاً شوامخ. ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميد بكم، فإن تشابه أجزائها يقتضي تبدل أحيائها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين. ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدلل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة، وحكمته التي هي كمال العلم، ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق ألهمتكم حتى استحقوا مشاركته، و ﴿مَاذَا﴾ نصب بـ ﴿خَلَقَ﴾ أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته ﴿فَأَرُونِي﴾ معلق عنه. ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ إضراب عن تبكيهم إلى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر، ووضع الظاهر موضع المضممر للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ يعني لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته، وعاش حتى أدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه، والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً. والحكمة في عرف العلماء: استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها. ومن حكمته أنه صحب داود شهوراً وكان يسرد الدرر فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت فقال: الصمت حكم وقليل فاعله، وأن داود عليه السلام قال له يوماً كيف أصبحت فقال أصبحت في يدي غيري، فتفكر داود فيه فصعق صعقة. وأنه أمره بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب، ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضاً فسأله عن ذلك فقال: هما أطيب شيء

إذا طاب وأخبت شيء إذا خبثا. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ لأن أشكر أو أي أشكر فإن إيتاء الحكمة في معنى القول. ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن نفعه عائد إليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ لا يحتاج إلى الشكر. ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بالحمد وإن لم يحمد، أو محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنَّ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنَّ لِبَنِيهِ﴾ أنعم أو أشكم أو ماثان. ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بَنَى﴾ تصغير إشفاق، وقرأ ابن كثير هنا وفي ﴿يَا بَنَى أَتَمَّ الصَّلَاةِ﴾ بإسكان الياء، وحفص فيهما وفي ﴿يَا بَنَى إِنَّمَا إِنَّكَ﴾ بفتح الياء ومثله البزي في الأخير وقرأ الباقر في الثلاثة بكسر الياء. ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ قيل كان كافراً فلم يزل به حتى أسلم، ومن وقف على ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ جعل بالله قسماً. ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا﴾ ذات وهن أو تهن وهناً ﴿عَلَى وَهْنٍ﴾ أي تضعف ضعفاً فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال، وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهناً وهناً ووهن يوهن وهناً. ﴿وَوَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة، وقرئ «وفصله في عامين» وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ تفسير لـ ﴿وصينا﴾ أو علة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال، وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكداً للتوصية في حقها خصوصاً ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال من أبى «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك أبك». ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ فأحاسبك على شركك وكفرتك.

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥).

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك تقليداً لهما، وقيل أراد بنفي العلم به نفيه. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك. ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم. ﴿وَاتَّبِعْ﴾ في الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ بالتوحيد والإخلاص في الطاعة. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجعكم ومرجعهما. ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأن أجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما، والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال: وقد وصينا بمثل ما وصي به، وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فإنهما مع أنهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز أن يستحقاه في الإشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن أبي وقاص وأمه مكثت لإسلامه ثلاثاً لم تطعم فيها شيئاً، ولذلك قيل من أناب إليه أبو بكر رضي الله عنه فإنه أسلم بدعوته.

﴿يَبْنَى إِنَّمَا إِنَّكَ مُثْقَلٌ حَبْرٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

﴿يَا بَنَى إِنَّمَا إِنَّكَ مُثْقَلٌ حَبْرٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي أن الخصلة من الإحسان أو الإساءة إن تك مثلاً في الصغر كحبة الخردل. ورفع نافع ﴿مُثْقَلٌ﴾ على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيتها لإضافة المثلث إلى الحجة كقول الشاعر:

أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة. ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحذب السموات أو أسفله كمقعر الأرض. وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر إذا استقر في وكنته. ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ يحضرها فيحاسب عليها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه إلى كل خفي. ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه.

﴿يَبْنِي أَمِيرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

﴿١٧﴾

﴿يَا بَنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ تكميلاً لنفسك. ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ تكميلاً لغيرك. ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من الشدائد سيما في ذلك. ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمر به. ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب مصدر أطلق للمفعول، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي جد.

﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ﴿١٩﴾

﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعتري البعير فيلوي عنقه. وقرأ نافع وأبو عمرو وحزمة والكسائي ﴿وَلَا تَصَاعِرْ﴾، وقرئ «ولا تصعر» والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعلاه. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ أي فرحاً مصدر وقع موقع الحال أي تمرح مرحاً أو لأجل المرح وهو البطر. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ علة للنهي وتأخير ال «فخور» وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحاً لتوافق رؤوس الآي.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع. وعنه عليه الصلاة والسلام: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن»، وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان إذا مشى أسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت، وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية. ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ وانقص منه واقصر. ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أوحشها. ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ والحمار مثل في الدم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الأذنين، وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم إخراج مخرج الإستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لأن المراد تفضيل الجنس في التكثير دون الأحاد أو لأنه مصدر في الأصل.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ بأن جعله أسباباً محصلة لمنافعكم. ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن ممكنكم من الإنتفاع به بوسط أو غير وسط ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة، وقرئ «وأصبغ» بالإبدال وهو جار في كل سين اجتمع من الغين أو الخاء أو القاف كصلخ وصقر، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص ﴿نِعَمَهُ﴾ بالجمع والإضافة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في توحيده وصفاته. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من دليل. ﴿وَلَا هُدًى﴾ راجع إلى رسول. ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله الله بل بالتقليد كما قال:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ

## عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وهو منع صريح من التقليد في الأصول. ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم. ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ إلى ما يؤول إليه من التقليد أو الإشراك وجواب لو محذوف مثل لا تبعوه، والاستفهام للإنكار والتعجب.

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ بأن فوض أمره إليه وأقبل بشرائره عليه من أسلمت المتاع إلى الزبون، ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الإخلاص. ﴿وَهُوَ مُخْسِنٌ﴾ في عمله. ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ تعلق بأوثق ما يتعلق به، وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى إلى شاطئ جبل فتمسك بأوثق عرى الجبل المتدلي منه. ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ إذ الكل صائر إليه.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾ إِيَّاَنَا مَرْجِعُهُمْ فَلَنَبْتَلِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾ فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة، وقرئ «فلا يحزنك» من أحزن وليس بمستفيض. ﴿إِيَّاَنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الدارين. ﴿فَنَبْتَلِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ بالإهلاك والتعذيب. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فمجاز عليه فضلاً عما في الظاهر.

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو يضم إلى الإحراق الضغط.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الإعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك يلزمهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين. ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد وإن لم يحمد.

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ﴾ ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً، وتوحيد «شجرة» لأن المراد تفصيل الأحاد. ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ والبحر المحيط بسعته مداداً ممدوداً بسبعة أبحر، فأغنى عن ذكر المداد يمدد لأنه من مد الدواة وأمددها، ورفعها للعطف على محل أن ومعموليها ويمده حال أو للابتداء على أنه مستأنف أو الواو للحال، ونصبه البصريان بالعطف على اسم «أن» أو إضمار فعل يفسره «يمده»، وقرئ «تمده» «ويمده» بالياء والتاء. ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد وإيثار جمع القلة للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء. ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته أمر، والآية جواب لليهود سألو رسول الله ﷺ أو أمروا وقد قرئ أن يسألوه عن قوله تعالى: ﴿وَمَا أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شيء.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْتَكُمُ إِلَّا كَفْئُسٌ وَاحِدَةٌ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣٠).

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْتَكُمُ إِلَّا كَفْئُسٌ وَاحِدَةٌ﴾ إلا كخلقها وبعثها إذ لا يشغله شأن عن شأن لأنه يكفي لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال ﴿إِنَّمَا أَمْرُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله إدراك بعضها عن بعض فكذا الخلق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ كل من النيرين يجري في فلكه. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى متى معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر. وقيل إلى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله ﴿لَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أن ال ﴿أَجَلٍ﴾ ما هنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة أو مجازاً وكلا المعنيين حاصل في الغايات. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته، أو الثابت إلهيته. ﴿وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته لأنه لا يوجد ولا يتصف إلا بجعله أو الباطل إلهيته، وقرأ البصريان والكوفيون غير أبي بكر بالياء. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ مترفع على كل شيء ومتسلط عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِفُ بِإِذْنِ اللَّهِ لِيُبْرِكَكُمْ مِنْ مَّاءٍ بَيْنَهُمْ وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١) ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِفُ﴾ بإحسانه في تهينة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول إنعامه والباء للصلة أو الحال، وقرئ «الفلك» بالثقل و «بنعمات الله» بسكون العين، وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون. ﴿لِيُبْرِكَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ دلالة. ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الأفاق والأنفس. ﴿شَكُورٍ﴾ يعرف النعم ويتعرف مانحها، أو للمؤمنين فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ علامهم وغطاهم. ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما، وقرئ كالظلال جمع ظله كقلة وقلال. ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد. ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد، أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار فإنه نقض للعهد الفطري، أو لما كان في البحر والختر أشد الغدر. ﴿كُفُورٍ﴾ للنعم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْتَرِكُمْ أَلْحِيَّةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٣).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ لا يقضي عنه، وقرئ «لا يجزي» من

أجزأ إذا أغنى والراجع إلى الموصوف محذوف أي لا يجزى فيه. «وَلَا مَوْلُودٌ» عطف على «والد» أو مبتدأ خبره. «هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً» وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي، وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة. «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالشواب والعقاب. «حَقٌّ» لا يمكن خلفه. «فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» الشيطان بأن يرحبكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي.

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (٣٤).

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» علم وقت قيامها. لما روي أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله ﷺ فقال: متى قيام الساعة؟ وإني قد ألقيت حباتي في الأرض فمتى السماء تمطر؟ وحمل امرأتي أذكر أم أنثى؟ وما أعمل غداً وأين أموت؟ فنزلت. وعنه عليه الصلاة والسلام «مفاتيح الغيب خمس» وتلا هذه الآية. «وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ» في إيبانه المقدر له والمحل المنعين له في علمه، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد. «وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» أذكر أم أنثى أتام أم ناقص. «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا» من خير أو شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه. «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» كما لا تدري في أي وقت تموت. روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظم إليه، فقال الرجل من هذا؟ قال: ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك: كان دوام نظري إليه تعجباً منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك، وإنما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين، ويدل على أنه إن أعمل حيلة وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه، وقرئ «بأية أرض» وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في «كلهن». «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» يعلم الأشياء كلها. «خَبِيرٌ» يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها.

وعنه عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة، وأعطى من الحسنات عشراً عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر».

## (٣٢) سورة السجدة

**مكية وآياتها ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَمْ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

﴿الَمْ﴾ إن جعل اسماً للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ على أن التنزيل بمعنى المنزل، وإن جعل تعديداً للحروف كان ﴿تنزيل﴾ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فيكون ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حالاً من الضمير في ﴿فيه﴾ لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً ولا ﴿رب فيه﴾ حال من ﴿الكتاب﴾، أو اعتراض والضمير فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ فإنه إنكار لكونه من رب العالمين وقوله: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فإنه تقرير له، ونظم الكلام على هذا أنه أشار أولاً إلى إعجازه، ثم رتب عليه أن تنزيهه من رب العالمين، وقرر ذلك بنفي الريب عنه، ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك إنكاراً له وتعجيباً منه، فإن ﴿أَمْ﴾ منقطعة ثم أضرب عنه إلى إثبات أنه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيهه فقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إذ كانوا أهل الفترة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك إياهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ مر بيانه في «الأعراف». ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ ﴿ما لكم﴾ إذا جاوزتم رضا الله أحد ينصركم ويشفع لكم، أو ﴿ما لكم﴾ سواء ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على أن الشفيع متجاوز به للناصر، فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بمواعظ الله تعالى.

﴿يُنذِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ مَسْنَوٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾

﴿يُنذِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض. ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ثم يصعد إليه ويثبت في علمه موجوداً. ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ مَسْنَوٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع، وقيل يدبر الأمر بإظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج إليه في زمان هو كآلف سنة، لأن مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة فإن ما بين

السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة. وقيل يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر. وقيل يدبر الأمر إلى قيام الساعة ثم يعرج إليه الأمر كله يوم القيامة. وقيل يدبر الأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلى الأرض بالوحي، ثم لا يعرج إليه خالصاً كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والأعمال الخالص، وقرئ «يعرج» و «يعدون».

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فيدبر أمرهما على وفق الحكمة. ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره. ﴿الرَّحِيمُ﴾ على العباد في تدبيره، وفيه إيماء بأنه يراعي المصالح تفضلاً وإحساناً.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ سَلَالَةً مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ خلقه موفراً عليه ما يستعد له ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة، وخلقته بدل من كل بدل الاشتمال وقل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسنه أي يحسن معرفته، و «خلقته» مفعول ثان. وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الأول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بم متصل. ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ يعني آدم. ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ ذريته سميت بذلك لأنها تنسل منه أي تنفصل. ﴿مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ ممتن. ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ قَوَّمَهُ بتصوير أعضائه على ما ينبغي. ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ أضافه إلى نفسه تشريفاً له وإشعاراً بأنه خلق عجيب، وأن له شأناً له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولأجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ خصوصاً لتسمعوا وتبصروا وتعتقلوا. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ تشكرون شكراً قليلاً.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿قُلْ يَتُوبُ لَكُمْ﴾ ﴿١١﴾ ﴿مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ ثُمَّ إِلَيْكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميز منه، أو غيبنا فيها. وقرئ «ضللنا» بالكسر من ضل يضل «وصللنا» من صل اللحم إذا أنتن، وقرأ ابن عامر «إذا» على الخبر والعامل فيه ما دل عليه. ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو: نبعث أو يجدد خلقنا. وقرأ نافع والكسائي ويعقوب «إنا» على الخبر، والقائل أبي بن خلف وإسناده إلى جميعهم لرضاهم به. ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث أو بتلقي ملك الموت وما بعده. ﴿كَافِرُونَ﴾ جاحدون.

﴿قُلْ يَتُوبُ لَكُمْ﴾ يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئاً ولا يبقى منكم أحداً، والتفعل والإستفعال يلتقيان كثيراً كتقصيته وإستقصيته وتعجلته واستعجلته. ﴿مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ﴾ بقبض أرواحكم وإحصاء أجالكم. ﴿ثُمَّ إِلَيْكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من الحياء والخزي. ﴿رَبَّنَا﴾ قائلين ربنا. ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما وعدتنا. ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك. ﴿فَانْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا. ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ إذ لم يبق لنا

شك بما شاهدنا، وجواب ﴿لو﴾ محذوف تقديره لرأيت أمراً فظيماً، ويجوز أن تكون للتمني والمضي فيها وفي ﴿إذ﴾ لأن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع، ولا يقدر لـ ﴿تري﴾ مفعول لأن المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت، أو يقدر ما دل عليه صلة إذ والخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ ما تهدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق له. ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وذلك تصريح بعدم إيمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بأنهم من أهل النار، ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسبباً عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكيرهم فيها بقوله:

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ فإنه من الوسائط والأسباب المقتضية له. ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم من الرحمة، أو في العذاب ترك المنسي وفي استنفاذه وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كرر الأمر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بأفعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها دلالة على أن كلا منهما يقتضي ذلك.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ وعظروا بها. ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ خروفاً من عذاب الله. ﴿وَسَبَّحُوا﴾ نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث. ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ حامدين له شكراً على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة كم يفعل من يصر مستكبراً.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع وتتنحى. ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الفرش ومواضع النوم. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ داعين إياه. ﴿خَوْفًا﴾ من سخطه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته. وعن النبي ﷺ في تفسيرها «قيام العبد من الليل». وعنه عليه الصلاة والسلام «إذا جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ثم يرجع فينادي: ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادي: ليقيم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل، فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس» وقيل كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب إلى العشاء فتزلت فيهم. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في وجوه الخير.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧).

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مما تقر به عيونهم. وعنه عليه الصلاة والسلام «يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بل ما أطلعتهم عليه، اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾». وقرأ حمزة ويعقوب «أخفي لهم» على أنه مضارع أخفيت، وقرئ «نخفي» و«أخفي» والفاعل للكل هو الله، «وقرأت أعين»

لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة و ﴿مَا﴾ موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل. ﴿جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي جزوا جزاء أو أخفي للجزاء فإن إخفائه لعلو شأنه. وقيل هذا لقوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩).

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ خارجاً عن الإيمان ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ فإنها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة، وقيل المأوى جنة من الجنان. ﴿نُزُلًا﴾ سبق في سورة «آل عمران». ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم أو على أعمالهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١).

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ مكان جنة المأوى للمؤمنين. ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ عبارة عن خلودهم فيها. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ إهانة لهم وزيادة في غيظهم.

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ﴾ عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر: ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل من بقي منهم. ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون عن الكفر. روي أن الوليد بن عقبة فاجر علياً رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (٢٢) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِآيَاتِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٣).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتفكر فيها، و ﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً كما في بيت الحماسة.

وَلَا يَكْشِفُ الْعُمَاءُ إِلَّا ابْنَ حَرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ فكيف ممن كان أظلم من كل ظالم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما آتيناك. ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك. ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ من لقاءك الكتاب كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ فإننا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك بدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه، أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقاءك موسى. وعنه عليه الصلاة والسلام «رأيت ليلة أسري بي موسى ﷺ رجلاً آدم طويلاً جعداً كأنه من رجال شنوءة». ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي المنزل على موسى. ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْتَدُونَ﴾ الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام. ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إياهم به أو بتوفيقنا له. ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ وقرأ حمزة والكسائي ورويس ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا. ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوَفِّتُونَ﴾ لإمعانهم فيها النظر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٥) ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٦).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل. ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية، أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم، وقرىء «يمشون» بالتشديد. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٧).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي جرز نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ وقيل اسم موضع باليمن. ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع. ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ كالتين والورق. ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ كالحب والتمر. ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فيستدلون به على كمال قدرته وفضله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٢٩).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في الوعد به.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ وهو يوم القيامة فإنه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم. وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة، والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فإنهم لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباعه جواباً على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم، فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكديباً واستهزاء أجيئوا بما يمنع الاستعجال.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ (٣٠).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تبال بتكذيبهم، وقيل هو منسوخ بآية السيف. ﴿وانْتَظِرْ﴾ النصره عليهم. ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ الغلبة عليك، وقرىء بالفتح على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه.

عن النبي ﷺ من قرأ «آلَمْ تنزل، وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر». وعنه «من قرأ «آلَمْ تنزل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام».

## سورة الأحزاب

محذية وآيها ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتِيَ اللَّهِ وَلَا تُلَاحِظُوا السَّاعِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ آتِيَ اللَّهِ﴾ ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيماً له وتفهيماً لشأن التقوى، والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعاً له عما نهى عنه بقوله: ﴿وَلَا تُلَاحِظُوا السَّاعِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يعود بوهن في الدين. روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموقعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له: ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة وندعك وربك فنزلت. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح والمفاسد. ﴿حَكِيمًا﴾ لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة.

﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ﴾

﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ كالنهي عن طاعتهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فموجع إليك ما تصلح به أعمالك ويغني عن الاستماع إلى الكفرة، وقرأ أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أي أن الله خير بمكائدهم فيدفعها عنك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وكل أمرك إلى تديره. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ موكلًا إليه الأمور كلها.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٣﴾﴾

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ أي ما جمع قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني أولاً ومنع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد. ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل، والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر أو جميل بن أسد الفهري ذو القلبين، والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ﷺ ابن محمد، أو المراد نفي الأمومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنين ونفي القلبين لشميد أصل يحملان عليه. والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة، وقرأ أبو عمرو «اللاي» بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله، وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده، وأصل تظهرون تنظرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء. «ة» ابن عامر «تظاهرون» بالإدغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم «تظاهرون» من ظاهر، وقرئ «تظاهرون» من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد و«تظاهرون» من الظهور. ومعنى الظاهر: أن يقول للزوجة: أنت علي

كَظَهَرَ أَمِي، مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من ليك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقاً في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها، وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكنية عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج، أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء، وأدعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعل بمعنى فاعل فجمع جمعه. **﴿ذَلِكُمْ﴾** إشارة إلى ما ذكر أو إلى الأخير. **﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾** لا حقيقة له في الأعيان كقول الهادي. **﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾** ما له حقيقة عينية مطابقة له. **﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾** سبيل الحق.

**﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥﴾**.

**﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾** أنسبهم إليهم، وهو أفراد للمقصود من أقواله الحق وقوله: **﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾** تعليل له، والضمير لمصدر **﴿ادْعُوهُمْ﴾** و **﴿أَقْسَطُ﴾** أفل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق. **﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾** فتنسبهم إليهم: **﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾** أي فهم إخوانكم في الدين. **﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾** وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل. **﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾** ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان. **﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾** ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم أو ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح. **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** لعفوه عن المخطيء. واعلم أن التبني لا عبرة به عندنا وعند أبي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن إلحاقه به.

**﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَّائِكُمْ مَعْرُوفًا ٦﴾** كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا.

**﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس، فلذلك أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وشفتهم عليه، أتم من شفقتهم عليها. روي: أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس: نستأذن آبائنا وأمهاتنا فنزلت. وقرئ: «وهو أب لهم» أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة. **﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾** منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: لسنا أمهات النساء. **﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾** وذوو القربات. **﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾** في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالة في الدين. **﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** في اللوح أو فيما أنزل، وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيم فرض الله. **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾** بيان لأولي الأرحام، أو صلة لأولي أي أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة. **﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَّائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾** استثناء من أعم ما يقدر الأولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع **﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾** كان ما ذكر في الآيتين ثابتاً في اللوح أو القرآن. وقيل في التوراة.

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧﴾** لَيْسَ لَكَ مِنَ الَّذِينَ يَكْفِرُونَ عَذَابٌ أَلِيمًا.

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾** مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم. **﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾** خصهم بالذكر لأنهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا

عليه الصلاة والسلام تعظيماً له وتكريماً لشأنه. ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عظيم الشأن أو مؤكداً باليمين، والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيماً له.

﴿لَيْسَ أَلِصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ أي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم، أو تصديقهم إياهم تبيكياً لهم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق، أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم. ﴿وَأَعَدُّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾ من جهة أن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين، أو على ما دل عليه ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٩).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ ريح الصبا. ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الملائكة. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما سمع بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج إليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية، فأخسرتهم وسفت التراب في وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر، فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالتجاء التجاء فانهمزوا من غير قتال. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من حفر الخندق، وقرأ البصريان بالياء أي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة. ﴿بَصِيرًا﴾ رائياً.

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (١٠).

﴿إِذْ جَاءَكُمْ﴾ بدل من إذ جاءكم. ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخصاً. ﴿وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ رعباً فإن الرثة تنتفخ من شدة الروح فيرتفع القلب باارتفاعها إلى رأس الحنجرة، وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ الأنواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب أن الله منجز وعده في إعلاء دينه، أو محتجنهم فخافوا الزلزل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم، والألف مزيدة في أمثاله تشبيهاً للفواصل بالقوافي وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف، ولم يزدها أبو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقاً وهو القياس.

﴿هَٰذَاكَ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ زُلْزَلًا شَدِيدًا﴾ (١١) ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢).

﴿هَٰذَاكَ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل. ﴿وَزُلْزَلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع وقرىء «زلزلاً» بالفتح.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد. ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الظفر وإعلاء الدين. ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وعداً باطلاً. قيل قاله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يبرز فرقاً ما هذا إلا وعد غرور.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْهْلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣).

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ يعني أوس بن قبيط وأتباعه. ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أهل المدينة، وقيل هو اسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها. ﴿لَا مُقَامَ﴾ لا موضع قيام. ﴿لَكُمْ﴾ ها هنا، وقرأ حفص بالضم على أنه مكان أو مصدر من أقام. ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم هاربين، وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى الشرك وأسلموه لتسلموا، أو لا مقام لكم يثرب فارجعوا كفاراً ليمكنكم المقام بها. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للرجوع. ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة وأصلها الخلل، ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت الدار إذا اختلت وقد قرئ بها. ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هي حصينة. ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي وما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنفَقْنَاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ (١٤).

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ دخلت المدينة أو بيوتهم. ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من الحساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه. ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ الردة ومقاتلة المسلمين. ﴿لَأَنفَقْنَاهَا﴾ لأعطوها، وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجأوها وفعلوها. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا﴾ بالفتنة أو بإعطائها. ﴿إِلَّا بَسِيرًا﴾ ريثما يكون السؤال والجواب، وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد تمام الارتداد إلا يسيراً.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّينَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (١٥) ﴿قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦).

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّينَارَ﴾ يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لا يعودوا لمثله. ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به مجازي عليه. ﴿قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف، أو قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم. ﴿وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي وإن نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا تمتعاً، أو زماناً قليلاً.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧) ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨).

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله:

مبتدلاً سيفاً ورمحاً

أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع. ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ ينفعهم. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ المشبطين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون. ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ من

ساكني المدينة. ﴿هَلُمُّوا إِلَيْنَا﴾ قربوا أنفسكم إلينا وقد ذكر أصله في «الإتمام». ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً، فإنهم يعتذرون ويتشبثون ما أمكن لهم، أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون إلا قليلاً كقوله ﴿مَا قَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقيل إنه من تنمة كلامهم ومعناه لا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلاً.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء عليكم بالمعونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر أو الغنيمة، جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾ أو ﴿المعوقين﴾ أو على الذم. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم. ﴿كَالَّذِي يُغْتَنى عَلَيْهِ﴾ كنظر المغشي عليه أو كدوران عينية، أو مشبهين به أو مشبهة بعينه. ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾ من معالجة سكرات الموت خوفاً ولو أدرك بك. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم. ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ ضربوكم. ﴿بِالنِّسَةِ جِدَادٍ﴾ ذرية يطلبون الغنيمة، والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ نصب على الحال أو الذم، ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لأن كلا منهما مقيد من وجه. ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ إخلاصاً. ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فأظهر بطلانها إذ لم تثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط. ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً لتعلق الإرادة به وعدم ما يمنعه عنه.

﴿يَخْسِبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُّوهُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوكَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَسَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾.

﴿يَخْسِبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ لَمْ يَذْهَبُوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم يهزموا، وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة. ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرة ثانية. ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُّوهُ فِي الْأَعْرَابِ﴾ تمنوا أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب. ﴿يَسْأَلُونَ﴾ كل قادم من جانب المدينة. ﴿عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ عما جرى عليكم. ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال. ﴿مَا قَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وخوفاً من التعيير.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالشباب في الحرب ومقاساة الشدائد، أو هو في نفسه قدوة يحسن الناسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديداً أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد، وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة، أو أيام الله واليوم الآخر خصوصاً. وقيل هو كقولك أرجو زيدا وفضله، فإن ﴿اليوم الآخر﴾ داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الأمل والخوف و ﴿لِّمَن كَانَ﴾ صلة لحسنة أو صفة لها. وقيل بدل من ﴿لكم﴾ والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه. ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة، فإن المؤتسى بالرسول من كان كذلك.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا

وَتَسْلِيماً ﴿٢٢﴾

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية، وقوله عليه الصلاة والسلام «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم». وقوله عليه الصلاة والسلام: إنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر» وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة. ﴿وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾ ظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء، وإظهار الاسم للتعظيم. ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ فيه ضمير ﴿لما﴾ رأوا، أو الخطب أو البلاء. ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ بالله ومواعيده. ﴿وَتَسْلِيماً﴾ لأوامره ومقاديره.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع الرسول ﷺ والمقاتلة لإعلاء الدين من صدقني إذا قال لك الصدق، فإن المعاهد إذا وفى بعهده فقد صدق فيه. ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ نذره بأن قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر، والنجب النذر واستعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان. ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ الشهادة كعثمان وطلحة رضي الله عنهما. ﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ العهد ولا غيروه. ﴿تَبْدِيلًا﴾ شيئا من التبديل. روي أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أخذ حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام: «أوجب طلحة» وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل، وقوله:

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ تعليل للمنطوق والمعرض به، فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنی، والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد بها التوفيق للتوبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لمن تاب.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الأحزاب. ﴿بِعَيْثِهِمْ﴾ متغيظين. ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب. ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إحداث ما يريد. ﴿عَزِيزًا﴾ غالباً على كل شيء.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْسَرُوا فَرِيقًا﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ ظاهروا الأحزاب. ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني قريظة. ﴿مِنْ صَاحِبِهِمْ﴾ من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك. ﴿وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ﴾ الخوف وقرئ بالضم. ﴿فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْسَرُوا فَرِيقًا﴾ وقرئ بضم السين روي: أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال: أنتزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فاذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم: تنزلون على

حكمني فأبوا فقال: على حكم سعد بن معاذ فرضوا به، فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم، فكبر النبي عليه الصلاة والسلام فقال: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرفعة، فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢٧).

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ مزارعهم. ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾ حصونهم. ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ نقودهم ومواشيهم وأثاثهم. روي أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال: إنكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه: أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال: لا إنما جعلت هذه لي طعمة. ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها﴾ كفارس والروم، وقيل خيبر وقيل كل أرض يفتح إلى يوم القيامة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ فيقدر على ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُمْ وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨) وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ السعة والتنعم فيها. ﴿وَزَيَّنَّتْهَا﴾ زخارفها. ﴿فَنَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُمْ﴾ أعطكن الممتعة. ﴿وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ طلاقاً من غير ضرار وبدعة. روي أنهم سألته ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت. فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله، ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فأنزل ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيماً لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافاً لزيد والحسن ومالك وإحدى الروایتين عن علي، ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه». ولم يعده طلاقاً وتقديم التمتع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق. قيل لأن الفرق كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية، واختلف في وجوبه للمدخل بها وليس فيه ما يدل عليه، وقرئ «أمتعن وأسرحكن» بالرفع على الاستئناف.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يستحقرونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لأنهم كلهم كن محسنات.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١).

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ بكبيرة. ﴿مُبِينَةٍ﴾ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر والباقون بكسر الياء. ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه، لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد، وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان «يضعف» على البناء للمفعول، ورفع «العذاب» وابن كثير وابن عامر «تضعف» بالنون وبناء الفاعل ونصب «العذاب». ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ﴾ ومن يدم على الطاعة. ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ولعل ذكر الله للتعظيم أو لقوله: ﴿وَتَعْمَلْ

صَالِحاً نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴿٣٢﴾ مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي عليه الصلاة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة. وقرأ حمزة والكسائي «ويعمل» بالياء حملاً على لفظ «من ويؤتها» على أن فيه ضمير اسم الله. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة على أجرها.

﴿يَلَسَّاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٢).

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ أصل أحد وحد بمعنى الواحد، ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير، والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل. ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ مخالفة حكم الله ورضا رسوله. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ فلا تجتن بقولكن خاضعاً ليناً مثل قول المريبات. ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فُجُورٌ، وقرىء بالجزم عطفاً على محل فعل النهي على أنه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ حسناً بعيداً عن الريبة.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣).

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من قر يقر وقاراً أو من قر يقر حذف الأول من راء ي اقرن ونقلت كسرتها إلى القاف، فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه، ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ولا تتبخترن في مشيكن. ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ تبرجاً مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة، وقيل هي ما بين آدم ونوح، وقيل الزمان الذي ولد فيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس درعاً من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقيل الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق في الإسلام ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لأبي الدرداء رضي الله عنه «إن فيك جاهلية، قال جاهلية كفر أو إسلام قال بل جاهلية كفر». ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ الذنب المندس لعرضكم وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم. ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو المدح. ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن المعاصي. واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتشهير عنها، وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وإبنيهما رضي الله عنهم لما روي «أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس فأثت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما فأدخلهما فيه ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾»، والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها، والحديث يقتضي أنهم من أهل البيت لا أنه ليس غيرهم.

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤).

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ من الكتاب الجامع بين الأمرين وهو تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثاً على الانتهاء والالتزام فيما كلفن به. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن، أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ فَرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٢٥﴾.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المصدقين بما يجب أن يصدق به. ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ المداومين على الطاعة. ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في القول والعمل ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على الطاعات وعن المعاصي. ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم. ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ بما وجب في مالهم. ﴿وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ﴾ الصوم المفروض. ﴿وَالْحَافِظِينَ فَرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عن الحرام. ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات. ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم، والآية وعد لهن وأمثالهم على الطاعة والتدبر بهذه الخصال. روي: أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت. وقيل: لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت. وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري، وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله ﴿مُسْلِمَاتِ مُؤْمِنَاتِ﴾ وفائدته الدلالة على أن إعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ٢٦﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ ما صح له. ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ أي قضى رسول الله، وذكر الله لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه قضاء الله، لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله. وقيل في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد. ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أن يختاروا من أمرهم شيئاً بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله ورسوله، والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الأول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث إنهما في سياق النفي، وجمع الثاني للتعظيم. وقرأ الكوفيون وهشام «يكون» بالياء. ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ بين الانحراف عن الصواب.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَعْدَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ٢٧﴾.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه. ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب. وذلك: أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها، فأتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: ما لك أرايك منها شيء، فقال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها لشرفها تتعظم علي، فقال له: أمسك عليك زوجك. ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بتكبرها. ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو نكاحها إن طلقها أو إرادة طلاقها. ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ بتعيرهم إياك به. ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ إن

كان فيه ما يخشى، والواو للحال، وليست المعاتبة على الإخفاء وحده فإنه حسن بل على الإخفاء مخافة حالة الناس وإظهار ما ينافي إضماره، فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها. ﴿زَوْجَتَهَا﴾ وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك. وقرئ «زوجتكها»، والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد. ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي ﷺ: إن الله تعالى تولى إنكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن. وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة إيمانه. ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ علة للتزويج، وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه الدليل ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أمره الذي يريده ﴿مَفْعُولًا﴾ مكنونا لا محالة كما كان تزويج زينب.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٣٨) الَّذِينَ يَتْلُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان، ومنه فروض العسكر لأرزاقهم. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ سن ذلك سنة. ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء، وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاء مقضياً وحكماً مبتوتاً.

﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو مرفوع، وقرئ «رسالة الله». ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ تعريض بعد تصريح. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف أو محاسباً فينبغي أن لا يخشى إلا منه.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠).

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها، ولا ينتقض عمومها بكونه أباً للظاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم. ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وكل رسول أبو أمته لا مطلقاً بل من حيث إنه شقيق ناصح لهم، واجب التوقير والطاعة عليهم. وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة. وقرئ «رَسُولُ اللَّهِ» بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أي ﴿ولكن رسول الله﴾ من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر. ﴿وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح، ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبياً كما قال عليه الصلاة والسلام في إبراهيم حين توفي: لو عاش لكان نبياً، ولا يقدر فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه، مع أن المراد منه أنه آخر من نبي. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ يغلب الأوقات ويعم الأنواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد..

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره خصرصاً، وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلها علي سائر الأوقات لكونهما مشهودين كإفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها. وقيل الفعلان موجهان

إليهما. وقيل المراد بالتسبيح الصلاة.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُكُمْ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾  
 تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ٤٤﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ بالرحمة. ﴿وَمَلَائِكَتُكُمْ﴾ بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم، والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة. وقيل الترحم والانعطف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود، واستغفار الملائكة ودعائهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو السبب للرحمة من حيث إنهم مجابو الدعوة. ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر والمعصية إلى نوري الإيمان والطاعة. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ حيث اعتنى بصلاح أمرهم وإنافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون. ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبور، أو دخول الجنة. ﴿سَلَامٌ﴾ إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هي الجنة، ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ٤٦﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة. ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى الإقرار به وتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته. ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بتيسيره وأطلق له من حيث إنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيداناً بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه. ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ٤٧﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ٤٨﴾.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ على سائر الأمم أو على جزاء أعمالهم، ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك.

﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ تهيج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ﴿وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾ إيذاءهم إياك ولا تحتفل به، أو إيذاءك إياهم مجازاة أو مواخذة على كفرهم، ولذلك قيل إنه منسوخ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه يكفيهم. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ موكلًا إليه الأمر في الأحوال كلها، ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلاً منها بخطاب يناسبه، فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة لأن ما بعده كالتفصيل له، وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتماء به فإن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقاً بأن يكتفي به عن غيره.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ

عِدَّةً تَعْتَدُونَهَا فَمِيعُهُنَّ وَسِرَّحُهُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ تجمعهن، وقرأ حمزة والكسائي بآلف وضم الناء. ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ أيام يترصدن فيها بأنفسهن. ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك: كلته فاكتاله، أو تعدونها. والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به فما لكم، وعن ابن كثير ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ مخففاً على إبدال إحدى الدالين بالياء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعدون فيها، وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً لنطفته، وفائدة ثم إزاحة ما عسى أن يتوهم تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة. ﴿فَمِيعُهُنَّ﴾ أي إن لم يكن مفروضاً لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز أن يؤول التمتع بما يعمهما، أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والتدب فإن المتعة سنة للمفروض لها. ﴿وَسِرَّحُهُنَّ﴾ أخرجوهن من منازلكن إذ ليس لكم عليهن عدة. ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ولا منع حق، ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن لأن المهر أجر على البضع، وتقيد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل له كتقيد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها، وتقيد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ويحتمل تقيد الحل بذلك في حقه خاصة وبعضه قول أم هانئ بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء. ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق، ولا يدفعه التقيد بأن التي للاستقبال فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل أي: أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرأ إن اتفق ولذلك نكرها. واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعمائة: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم. وقرئ «أن» بالفتح أي لأن وهبت أو مدة أن وهبت كقولك: اجلس ما دام زيد جالسا. ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها، فإنها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكرراً، ثم الرجوع إليه في قوله: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إيدان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقدير لاستحقاق الكرامة لأجله. واحتج به أصحابنا على أن النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ، والاستكاح طلب النكاح والرغبة فيه، ﴿وَخَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد أي خلص إحلالها أو إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصاً لك، أو حال من الضمير في ﴿وهبت﴾ أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم. ﴿وَمَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُمْ» من توسيع الأمر فيها أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم، والجملة اعتراض بين قوله: ﴿لَكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ومتعلقه وهو «خالصة» للدلالة على أن الفرق بينه وبين «المؤمنين» في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه، بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى. «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا» لما يعسر التحرز عنه. «رَحِيمًا» بالتوسعة في مظان الحرج.

﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْزَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

«تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ» تؤخرها وتترك مضاجعتها. «وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» وتضم إليك من تشاء وتضاجعها، أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء. وقرأ نافع وحزمة والكسائي وحفص «ترجي» بالياء والمعنى واحد. «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ» طلبت. «مِمَّنْ عَزَلْتَ» طلقت بالرجعة. «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» في شيء من ذلك. «ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْزَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ» ذلك التفويض إلى مشيتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة جزنهن ورضاهن جميعاً، لأن حكم كلهن فيه سواء، ثم إن سويت بينهما وجدن ذلك تفضلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله تعالى فطمئن به نفوسهن، وقرئ «تقر» بضم التاء و«أعينهن» بالنصب و«تقر» بالبناء للمفعول و«كلهن» تأكيد نون «يرضين»، وقرئ بالنصب تأكيداً لهن. «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» فاجتهدوا في إحسانه. «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» بذات الصدور. «حَلِيمًا» لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

«لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ» بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وقرأ البصريان بالتاء. «مِنْ بَعْدُ» من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا، أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى. «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى و«من» مزيدة لتأكيد الاستغراق. «وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ» حسن الأزواج المستبدلة، وهو حال من فاعل «تبدل» دون مفعوله وهو «من أزواج» لتوغله في التنكير، وتقديره مفروضاً إعجابك بهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: «تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» على المعنى الثاني فإنه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً. وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجاً من أجناس آخر. «إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل منقطع. «وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا» فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَبِطِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعِيبِينَ لِخَبِيرٍ إِنَّ ذَلِكَُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَبَرِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مآذوناً لكم. ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُؤْذَنُ﴾ لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن كما أشعر به قوله: ﴿غَيْرِ نَازِلِينَ إِتَاءَهُ﴾ غير منتظرين وقته، أو إدراكه حال من فاعل ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ أو المجرور في ﴿لَكُمْ﴾. وقرئ بالجرح صفة لطعام فيكون جارياً على غير من هوله بلا إiraz الضمير، وهو غير جائز عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائي إياه لأنه مصدر أنى الطعام إذا أدرك. ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ تفرقوا ولا تمكثوا، ولأنه خطاب لقوم كانوا يتحيتون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، مخصوصة بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم. ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ لحديث بعضكم بعضاً، أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ﴿ناظرين﴾ أو مقدر بفعل أي: ولا تدخلوا أو ولا تمكثوا مستأنسين. ﴿إِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ اللبث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله بما لا يعنيه. ﴿فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ﴾ من إخراجكم بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فأمركم بالخروج، وقرئ «لا يستحي» بحذف الياء الأولى وإلقاء حركتها على الحاء. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً﴾ شيئاً ينتفع به. ﴿فَسَأَلُوهُنَّ﴾ المتاع. ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر. روي «أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت». وقيل إنه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ﷺ ذلك فنزلت. ﴿ذَلِكَ أَنْ تَلْقَوْهُمْ وَلِقَائُهُمْ مِنْ الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَةِ الشَّيْطَانِيَةِ﴾. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ وما صح لكم. ﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أن تفعلوا ما يكرهه. ﴿وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجَ مَنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ من بعد وفاته أو فراقه، وخص النبي لم يدخل بها، لما روي أن أشعث بن قيس تزوج المستعينة في أيام عمر رضي الله عنه فهم برجمها، فأخبر بأنه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل أن يمسه فتركها من غير نكير. ﴿إِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ يعني إيداعه ونكاح نسائه. ﴿كَانَ جُنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ذنباً عظيماً، وفيه تعظيم من الله لرسوله وإيجاب لحرمة حياً وميتاً ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال:

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّاتِهِمْ وَلَا أَوْلَادِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٥﴾.

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا﴾ كتكاحهن على الستكم. ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ في صدوركم. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم به، وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّاتِهِمْ وَلَا أَوْلَادِهِمْ﴾ استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم. روي: أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله أو نكلهم أيضاً من وراء حجاب فنزلت. وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أباً في قوله ﴿وَالَهُ أَبَائُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ أو لأنه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفوا لأبنائهما. ﴿وَلَا نِسَاءَهُمْ﴾ يعني نساء المؤمنات. ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من العبيد والإماء، وقيل من الإماء خاصة وقد مر في سورة «النور». ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمرتن به. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ اعتنوا أنتم أيضاً فإنكم أولى بذلك وقولوا اللهم صلي على محمد. ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وقولوا السلام عليك أيها النبي وقيل وانقادوا لأوامره، والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة، وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي» وقوله «من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله»، وتجوز الصلاة على غيره تبعاً. وتكره استقلالاً لأنه في العرف صار شعاراً لذكر الرسول ﷺ ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزاً وجليلاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥٨).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي، أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له. ومن جوز إطلاق اللفظ على معنيين فسرهم بالمعنيين باعتبار المعمولين. ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ يهينهم مع الإيلام.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بغير جناية استحقوا بها الإيذاء. ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ظاهراً. قيل إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون علياً رضي الله عنه، وقيل في أهل الإفك، وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ قُلُوبَ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذِكْ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِقَنَّ فَلَاحَ يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥٩).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبَابٍ﴾ يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة، و ﴿مِنْ﴾ للتبعض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِقَنَّ﴾ يميز من الإماء والقينات. ﴿فَلَاحَ يُؤْذِينَ﴾ فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف. ﴿رَحِيمًا﴾ بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠).

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ﴾ عن نفاقهم. ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف إيمان وقلة ثبات عليه، أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم. ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من إرجافهم، وأصله التحريك من الرجة وهي الزلزلة سمي به الإخبار الكاذب لكونه متزلزلاً غير ثابت. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنأمرنك بقتالهم وإجلالهم، أو ما يضطربهم إلى طلب الجلاء. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطف على ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾، و ﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم. ﴿فِيهَا﴾ في المدينة. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زماناً أو جواراً قليلاً.

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُبِقُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾ (٦١) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لِمَلْعُونَةٍ إِسْنَةً أَوْ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢).

﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له أيضاً أي: ﴿لا يجاورونك﴾ إلا ملعونين، ولا

يجوز أن يتصب عن قوله: ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها.

﴿سُئِلَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ مصدر مؤكد أي سن الله ذلك في الأمم الماضية، وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا﴾. ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ لأنه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (١٦٣).

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ عن وقت قيامها استهزاء وتعتنا أو امتحاناً. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لم يطلع عليه ملكاً ولا نبياً. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ شيئاً قريباً أو تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف، ويجوز أن يكون التذكير لأن ﴿السَّاعَةَ﴾ في معنى اليوم، وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعتنين.

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٦٦﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة الانتقاد.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع العذاب عنهم.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار، أو من حال إلى حال، وقرئ «تقلب» بمعنى تتقلب و «تقلب» ومتعلق الظرف. ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ فلن تبتلى بهذا العذاب.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ (١٦٧) رَبَّنَا ءَاتِنَهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١٦٨﴾

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر، وقرأ ابن عامر ويعقوب «ساداتنا» على جمع الجمع للدلالة على الكثرة. ﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ بما زينوا لنا.

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مثلي ما آتيتنا منه لأنهم ضلوا وأضلوا. ﴿وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ كثير العدد، وقرأ عاصم بالباء أي لعناً هو أشد اللعن وأعظمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (١٦٩).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ فأظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه، وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في «القصص»، أو اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك، فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول. وقيل أحياء الله فأخبرهم ببراءته، أو قذفوه بعبث في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه بريء منه. ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ ذا قرية ورجاحة، وقرئ «وكان عبد الله وجيهاً».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤدي رسوله. ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

قاصداً إلى الحق من سد يسد سداداً، والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد.

﴿يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يوفقكم للأعمال الصالحة، أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأوامر والنواهي. ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ يعيش في الدنيا حميداً وفي الآخرة سعيداً.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٦).

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة، وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء، والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها، وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين. ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ حيث لم يف بها ولم يراع حقها. ﴿جَهُولًا﴾ بكنهه عاقبتها، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب. وقيل المراد بـ ﴿الأمانة﴾ الطاعة التي نعم الطبيعية والاختيارية، ويعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدور من غيره، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ومنه قولهم حامل الأمانة ومحملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته، فيكون الإباء عنه اتیاناً بما يمكن أن يتأتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير. وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال لها: إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها، وناراً لمن عصاني، فقبلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثواباً ولا عقاباً، ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحملة، وكان ظلوماً لنفسه بتحملة ما يشق عليها جهولاً بوخامة عاقبته، ولعل المراد بـ ﴿الأمانة﴾ العقل أو التكليف، ويعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن، ويبانهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد، وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية، وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فإن من فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوتين حافظاً لهما عن التعدي ومجاوزة الحد، ومعظم مقصود التكليف تعديلها وكسر سورتها.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٦).

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ تعليل للحمل من حيث إنه نتيجة كالتأديب للضرب في ضربته تأديباً، وذكر التوبة في الوعد إشعاراً بأنه كونهم ظلوماً جهولاً في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم. قال عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله أو ما ملك يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر».

## سورة سبأ

مكية وقيل إلا قوله: **يُورِي الْغَيْبَ الْأُخْرَى** أوتو العلم الآية.

وأيها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾  
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً ونعمة، فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته. ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ لأن ما في الآخرة أيضاً كذلك، وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فإن الوصف بما يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها، وتقديم الصلة للاختصاص فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمور الدارين. ﴿الْخَبِيرُ﴾ ببواطن الأشياء.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر، وكالكنوز والدفائن والأموات. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون. ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والأنباء والصواعق. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة. ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها، أو في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفاتنة للحصر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ إنكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء بالوعد به. ﴿قُلْ بَلَى﴾ رد لكلامهم وإثبات لما نفوه. ﴿وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ تكرير لإيجابه مؤكداً بالقسم مقررراً لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة، وقرأ حمزة والكسائي «علام الغيب» للمبالغة، ونافع وابن عامر ورويس «عالم الغيب» بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره. ﴿لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقرأ الكسائي «لا يعزب» بالكسر. ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ جملة مؤكدة لنفي العزوب، ورفعها بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس، ولا يجوز عطف المرفوع على «مِثْقَالٍ» والمفتوح على «ذرة» بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لأن الاستثناء يمنعه، اللهم إلا إذا جعل الضمير في «عنه» للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجاً عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا يفصل عن الغيب شيء إلا مسطوراً في اللوح.

﴿لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفُورُونَ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّنْ رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾﴾

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ علة لقوله ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وبيان لما يقتضي إتيانها. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تعب فيه ولا من عليه.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ بإبطال وتزهيد الناس فيها. ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مسابقين كي يفوتونا. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿معجزين﴾ أي مثبطين عن الإيمان من أرادته. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ من سيئ العذاب. ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم، ورفع ابن كثير ويعقوب وحفص.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٦﴾.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة، أو من مسلمي أهل الكتاب. ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ القرآن. ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ ومن رفع ﴿الحقُّ﴾ جعل هو مبتدأ و ﴿الحقُّ﴾ خبره والجملة ثاني مفعولي ﴿يرى﴾، وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات. وقيل منصوب معطوف على ﴿ليجزي﴾ أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عياناً كما علموه الآن برهاناً ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الذي هو التوحيد والتدريج بلباس التقوى.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِتُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ٧﴾  
﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ٨﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال بعضهم لبعض. ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ يعنون محمداً عليه الصلاة والسلام. ﴿يُنْبِتُكُمْ﴾ يحدثكم بأعجب الأعاجيب. ﴿إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ﴾ إنكم تنشؤون خلقاً جديداً بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير تراباً، وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه، وعامله محذوف دل عليه ما بعده فإن ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف إليه، أو محجوب بينه وبينه بأن و ﴿ممرقٍ﴾ يحتمل أن يكون مكاناً بمعنى إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم كل مطرح و ﴿جديدٍ﴾ بمعنى فاعل من جد كحديد من حد، وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه.

﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه، واستدل بجعلهم إياه قسم الافتراء غير معتقدين صدقه على أن بين الصدق والكذب واسطة، وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لأن الافتراء أخص من الكذب. ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ رد من الله تعالى عليهم ترديدهم وإثبات لهم ما هو أفظع من القسمين، وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب، وجعله رسيلاً له في الوقوع ومقدماً عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له، والبعد في الأصل صفة الضال ووصف الضلال به على الإسناد المجازي.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَحْشِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ٩﴾

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء. تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم الإحياء حتى جعلوه افتراء وهزأ، وتهديداً عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقاً أم السماء، وإنا ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً﴾، لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات. وقرأ حمزة والكسائي ﴿يشأ﴾ و ﴿يخسف﴾ و ﴿يسقط﴾ بالياء لقوله: ﴿أفترى على الله﴾. والكسائي وحده بإدغام الفاء في الباء وحفص ﴿كسفاً﴾ بالتحريك. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ النظر والتفكر فيهما

وما يدلان عليه. ﴿لَايَةٌ﴾ للدلالة. ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه فإنه يكون كثير التأمل في أمره.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنجِيَالُ أُوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ۝١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحًا إِيَّيْ بِمَا تَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ۝١١﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر بعد، أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن. ﴿يَا جِبَالُ أُوْبَىٰ مَعَهُ﴾ رجعي معه التسبيح أو النوحه على الذنب، وذلك إما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها، أو سيرى معه حيث سار. وقرئ «أوبي» من الأوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجعت فيه، وهو بدل من ﴿فضلاً﴾ أو من ﴿آتيناً﴾ بإضمار قولنا أو قلنا. ﴿وَالطَّيْرُ﴾ عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفاً على لفظها تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية أو على ﴿فضلاً﴾، أو مفعول معه لـ ﴿أوبي﴾ وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الأصل: ولقد آتيناً داود منا فضلاً تأوب الجبال والطيور، فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه، حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المتفادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها. ﴿وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بالآته أو بقوته.

﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ أمرناه أن اعمل فـ ﴿أَنْ﴾ مفسرة أو مصدرية. ﴿سَابِغَاتٍ﴾ دروعاً واسعات، وقرئ «صابغات» وهو أول من اتخذها. ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها، أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتتخرق. ورد بأن دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله: ﴿وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾. ﴿وَأَعْمَلُوا صَاحًا﴾ الضمير فيه لداود وأهله. ﴿إِيَّيْ بِمَا تَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾ فأجازيكم عليه.

﴿وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُادِنُ رَبَّهُ وَمَن يَبِغْ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَعْمَلُ وَجْهَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ۝١٣﴾.

﴿وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ﴾ أي وسخرنا له الريح، وقرئ «الريح» بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ «الرياح». ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ﴾ جربها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك، وقرئ «غدوتها» «وروحتها». ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ النحاس المذاب أساله له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من ينبوع، ولذلك سماه عيناً وكان ذلك باليمن. ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ عطف على ﴿الريح﴾ «ومن الجن» حال مقدمة، أو جملة «من» مبتدأ وخبر. ﴿يُادِنُ رَبَّهُ﴾ بأمره. ﴿وَمَن يَبِغْ مِنْهُمْ﴾ ومن يعدل منهم. ﴿عَن أَمْرِنَا﴾ عما أمرناه من طاعة سليمان، وقرئ «يزغ» من أزاغه. ﴿نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ عذاب الآخرة.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ﴾ قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذب عنها ويحارب عليها. ﴿وَتَعْمَلُ﴾ وصوراً هي تماثيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراهم الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدّد. روي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسran بأجنحتهما. ﴿وَجْهَانِ﴾ وصحاف. ﴿كَالْجَوَابِ﴾ كالحياض الكبار جمع جابية من الجبابة وهي من الصفات الغالبة كالدابة. ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيتٍ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمتها. ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية عما قيل لهم ﴿وشكراً﴾ نصب على العلة أي: اعملوا له واعبدوه شكراً، أو المصدر لأن العمل له شكراً أو الوصف له أو الحال أو المفعول به. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ

عِبَادِي الشُّكُورُ المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه، لأن توفيقه الشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهايته، ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِمَ بَلَدُكُمْ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي على سليمان. ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ﴾ ما دل الجن وقيل آله. ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ أي الأرضه أضيفت إلى فعلها، وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال: أرضت الأرضه الخشبة أرضاً فأرضت أرضاً مثل أكلت القوادح الأسنان أكلاً فأكلت أكلاً. ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ عصاه من نسات التعبير إذا طردته لأنها يطرد بها، وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً على غير قياس إذ القياس إخراجها بين بين، و «منسأته» على مفعالة كمبضأة في ميضأة. و «من سأت» أي طرف عصاه مستعار من سأت القوس، وفيه لغتان كما في قحة وقحة، وقرأ نافع وأبو عمرو ﴿منسأته﴾ بألف بدلاً من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة إذا وقف جعلها بين بين. ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم. ﴿أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولاً في تسخيره إلى أن خَرَّ، أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب. وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه، فوصى به إلى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله وأعلم به، فأراد أن يعمي عليهم موته ليمتوه فدعاهم فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب، فقام يصلي متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضه فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضه على العصا فأكلت يوماً وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة، وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة، وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع ماضين من ملكه. ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة، وعن ابن كثير قلب همزته ألفاً ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب. ﴿فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ في مواضع سكناهم، وهي باليمن يقال لها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث، وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح، والكسائي بالكسر حملاً على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع. ﴿آيَةٌ﴾ علامة دالة على وجود الصانع المختار، وأنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام. ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من ﴿آيَةٌ﴾ أو خبر محذوف تقديره الآية جنتان، وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين. ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامهما كأنها جنة واحدة، أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله. ﴿كُلُّوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم، أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك. ﴿بَلَدُكُمْ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر، أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطت من يشكره. وقرئ الكل بالنصب على المدح. قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة.

﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرِّ وَجَعَلْنَاهُمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْثَلٍ وَاقْلُوا مِن شَجَرٍ مِّن سِدْرٍ

قِيلَ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ .

﴿فَأَعْرِضُوا﴾ عن الشكر. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ سيل الأمر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم، وعرم إذا شرس خلقه وصعب، أو المطر الشديد أو الجرد، أضاف إليه الـ ﴿سَيْل﴾ لأنه نقب عليهم سكرًا ضربته لهم بلقىس فحققت به ماء الشجر وتركت فيه ثقباً على مقدار ما يحتاجون إليه، أو المسناة التي عقدت سكرًا على أنه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة، وقيل اسم وإد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ ثمر بشع فإن الخمط كل نبت أخذ طعماً من مرارة، وقيل الأراك أو كل شجر لا شوك له، والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلاً، أو عطف بيان. ﴿وَأَثَلِ وَشْيٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ معطوفان على ﴿أَكُلِ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾، فإن الأثل هو الطرفاء ولا ثمر له، وقرئاً بالنصب عطفاً على ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ ووصف السدر بالقلة فإن جناهُ وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يفرس في البساتين، وتسمية البدل ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ للمشاكلة والتهكم. وقرأ أبو عمرو «ذواتي أكل» بغير تنوين اللام وقرأ الحريمان بتخفيف ﴿أَكُلِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسول، إذ روي أنه بعث إليهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم، وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص. ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص ﴿نُجَازِي﴾ بالنون و ﴿الكفور﴾ بالنصب.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام. ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض، أو راقبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقبل الغادي في قرية ويبيت الراح في قرية إلى أن يبلغ الشام. ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ على إرادة القول بلسان الحال أو المقال. ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ متى شئتم من ليل أو نهار. ﴿آمِنِينَ﴾ لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات، أو سيرواً آمنين وإن طال مدة سفرهم فيها، أو سيرواً فيها ليلي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ أشروا النعمة وملوا العافية كني إسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتناولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد، فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام «بعد»، ويعقوب ﴿ربنا باعد﴾ بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطاً في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه، ومثله قراءة من قرأ ﴿ربنا بعد﴾ أو «بعد» على النداء وإسناد الفعل إلى ﴿بين﴾. ﴿وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون: تفرقوا أيدي سبأ. ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام، وأنمار يیشرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما ذكر. ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي. ﴿شَكُورٍ﴾ على النعم.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیظٌ ﴿٢١﴾ .

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه مثل فعلته جهداً، ويجوز أن يعدى الفعل إليه بنفسه كما في: ﴿صدق وعده﴾. لأنه نوع من القول، وشده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقاً. وقرئ بنصب ﴿إبليس﴾ ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقاً، والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم، وبرفعهما والتخفيف على الأبدان وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات أو ببني آدم حين رأى أباهم النبي ضعيف العزم، أو ما ركب فيهم من الشهوة والغضب، أو سمع من الملائكة قولهم ﴿أجعل فيها من يفسد فيها﴾ فقال: ﴿أضلنهم﴾ و ﴿لاغوينهم﴾. ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه، وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار، أو إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء. ﴿إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ إلا ليتعلق علمنا بذلك تعلقاً يترتب عليه الجزاء، أو ليميز المؤمن من الشاك، أو ليؤمن من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله، والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغته، وفي نظم الصلوتين نكتة لا تخفى. ﴿وَزَيْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ محافظ والزتان متأخيتان.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُمْ حَقٌّ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قُلِ﴾ للمشركين. ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي زعمتموهم آلهة، وهما مفعولاً زعم حذف الأول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه، ولا يجوز أن يكون هو مفعوله الثاني لأنه لا يلتزم مع الضمير كلاماً ولا ﴿لا يملكون﴾ لأنهم لا يزعمونه. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ والمعنى ادعوه فيما يهكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم، ثم أجاب عنهم إشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال: ﴿لا يملكون مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ في أمر ما وذكرهما للعموم العرفي، أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام، أو لأن الأسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم. ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ﴾ من شركة لا خلقاً ولا ملكاً. ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يعينه على تدبير أمرهما.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ فلا ينفعهم شفاعة أيضاً كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله. ﴿إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾ أذن له أن يشفع، أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك، واللام على الأول كاللام في قولك: الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في قولك: جئتك لزيد، وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي بضم الهمزة. ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفاً وانتظاراً للإذن أي: يترصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن، وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمناً. وقرأ ابن عامر ويعقوب ﴿فزع﴾ على البناء للفاعل. وقرئ «فرغ» أي نفي الوجل من فرغ الزاد إذا فني. ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض. ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة. ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ قالوا قال القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون، وقرئ بالرفع أي مقوله الحق. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي من الأنبياء أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه.

﴿قُلْ مَنْ يَرْفُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يريد به تقرير قوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾. ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إذ لا جواب سواه، وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثوا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم. ﴿وَإِنَّا أَوْ إِثْقَالًا لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي وإن أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة، والمشركون به الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعل أحد الأمرين من الهدى والضلال المبينين، وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح لأنه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب، ونظيره قول حسان:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍ فَشَرُّكُمْ بِالْخَيْرِ كَمَا الْفِدَاءُ

وقيل إنه على اللف والنشر وفيه نظر، واختلاف الحرفين لأن الهادي كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويتطلع عليها أو ركب جواداً يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئاً أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصى منها.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة. ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار. ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم الفاصل في القضايا المغلقة. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما ينبغي أن يقضى به.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۚ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة، وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيته. ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة. ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحقون به متسمون بالذلة متأية عن قبول العلم والقدرة رأساً، والضمير لله أو للشأن.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ إلا إرسالاً عامة لهم من الكف فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو إلا جامعاً لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة، ولا يجوز جعلها حالاً من الناس على المختار. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ۖ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ ۖ لَا تَسْتَحْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ من فرط جهلهم. ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يخاطبون به رسول الله ﷺ والمؤمنين.

﴿قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ وعد يوم أو زمان وعد، وإضافته إلى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرء «يوم» على البدل، وقرء «يوماً» بإضمار أعني. ﴿لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ﴾ إذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعتن والإنكار.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَسْتُخْلِفُونَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحُنَّ صَدَقْتُنَّكَ عَنِ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ بِلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على النعت. قيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول ﷺ فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك، وقيل الذي بين يديه يوم القيامة. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي في موضع المحاسبة. ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ يتحاورون ويتراجعون القول. ﴿يَسْتُخْلِفُونَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ يقول الاتباع. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ للرؤساء. ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان. ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ باتباع الرسول ﷺ.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحُنَّ صَدَقْتُنَّكَ عَنِ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أنكروا أنهم كانوا صاذين لهم عن الإيمان وأثبتوا أنهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه، ولذلك بنوا الإنكار على الاسم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْإِنِّ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَبْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إضراب عن إضرابهم أي: لم يكن إجرامنا الصاد بل مكرهم لنا دائماً ليلاً ونهاراً حتى أعورتم علينا رأينا. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَبْدَادًا﴾ والعاطف يعطفه على كلامهم الأول وإضافة الـ ﴿مكر﴾ إلى الظرف على الاتساع، وقرىء «مكر الليل» بالنصب على المصدر و «مكر الليل» بالتثنية ونصب الظرف و «مكر الليل» من الكرور. ﴿وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والإضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعبير، أو أظهرها فإنه من الأضداد إذ الهمزة تصلح للإثبات والسلب كما في أشكيت. ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي في أعناقهم فجاء بالظاهر تنويعاً بدمهم وإشعاراً بموجب أغلالهم. ﴿هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي لا يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم، وتعديية يجزى إما لتضمنين معنى يقضى أو بنزع الخافض.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ تسلياً لرسول الله ﷺ مما مني به من قومه، وتخصيص المتنعمين بالكذب لأن الداعي المعظم إليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها، ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ على مقابلة الجمع بالجمع.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ فنحن أولى بما تدعونه إن أمكن. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ إما لأن العذاب لا يكون، أو لأنه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب.

﴿قُلْ﴾ رداً لحسابانهم. ﴿إِنَّ رَبِّي يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ولذلك يختلف فيه الأشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات، ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة وكثيراً ما يكون للاستدراج كما قال:

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَتَحَاتِبُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ قرينة والتي إما لأن المراد وما جماعة أموالكم وأولادكم، أو لأنها صفة محذوف كالتقوى والخصلة. وقرىء «بالذي» أي بالشيء الذي يقربكم. ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ استثناء من مفعول «تقربكم»، أي الأموال والأولاد لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي يتفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح، أو من «أموالكم» و «أولادكم» على حذف المضاف. ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ أن يجازوا الضعف إلى عشر فما فوقه، والإضافة إضافة المصدر إلى المفعول، وقرىء بالأعمال على الأصل وعن يعقوب رفعها على إبدال الضعف، ونصب الجزاء على التمييز أو المصدر لفعله الذي دل عليه لهم. ﴿بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ من المكارة، وقرىء بفتح الراء وسكونها، وقرأ حمزة «في الغرفة» على إرادة الجنس.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ بالرد والطمع فيها. ﴿مُعَاجِرِينَ﴾ مسابقين لأنبيائنا أو طائنين أنهم يفوتونا. ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى، فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير. ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ عوضاً إما عاجلاً أو آجلاً. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فإن غيره وسط في إيصال رزقه لا حقيقة لرازيته.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ تقريباً للمشركين وتبكيئاً لهم وإقناطاً لهم عما يتوقعون من شفاعتهم، وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله. وقرأ حفص ويعقوب بالياء فيهما.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ أنت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم، كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله. وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخلون إليهم أنهم

الملائكة فيعبدهم. ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ الضمير الأول للإنس أو للمشركين، والأكثر بمعنى الكل والثاني لـ ﴿الجن﴾.

﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (٤٢) وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾.

﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ إذ الأمر فيه كله له لأن الدار دار جزاء وهو المجازي وحده. ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ عطف على ﴿لا يملك﴾ مبين للمقصود من تمهيده.

﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا﴾ يعنون محمداً عليه الصلاة والسلام. ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاؤَكُمْ﴾ فيستبعمكم بما يستبدعه. ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ يعنون القرآن. ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع. ﴿مُفْتَرًى﴾ بإضافته إلى الله سبحانه وتعالى. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ لأمر النبوة أو للإسلام أو للقرآن، والأول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه وإعجازه. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر سحريته، وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وما في ﴿لَمَّا﴾ من المبادهة إلى البت بهذا القول إنكار عظيم له وتعجيب ببلغ منه.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ فيها دليل على صحة الإشراك. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ يدعوهم إليه وينذرهم على تركه، وقد بان من قبل أن لا وجه له فمن أين وقع لهم هذه الشبهة، وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال:

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما كذبوا. ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال، أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى. ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فحين كذبوا رسلهم إنكارهم بالتدمير فكيف كان نكيرهم لهم فليحذر هؤلاء من مثله، ولا تكرير في كذب لأن الأول للتكثير والثاني للتكذيب، أو الأول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه - بالفاء.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَالٍ وَقَدْ آتَيْنَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَالٍ﴾ (٤٦) هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله ﷺ، أو الانتصاب في الأمر خالصاً لوجه الله معرضاً عن المراء والتقليد. ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً، فإن الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به لتعلموا حقيقته، ومحل الجبر على البذل أو البيان أو الرفع أو النصب بإضمار هو أو أعني. ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾ فتعلموا ما به من جنون يحمله على ذلك، أو استئناف منه لهم على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه، فإنه لا يدعه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من

غير تحقق ووثوق ببرهان، فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويلقي نفسه إلى الهلاك، فكيف وقد انضم إليه معجزات كثيرة. وقيل ﴿مَا﴾ استفهامية والمعنى: ثم تفكروا أي شيء به من آثار الجنون: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا تَنْزِيلُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قدامه لأنه مبعوث في نسمة الساعة.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧).

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة. ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ والمراد نفي السؤال عنه، كأنه جعل النبي مستلزماً لأحد الأمرين إما الجنون وإما توقع نفع دنيوي عليه، لأنه إما أن يكون لغرض أو لغيره وأياً ما كان يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما. وقيل ﴿مَا﴾ موصولة مراد بها ما سألهم بقوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ وقوله: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم. ﴿إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي، وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمة والكسائي بإسكان الياء.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾ (٤٨) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩).

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه وينزله على من يجتبه من عباده، أو يرمي به الباطل فيدمغه أو يرمي به إلى أقطار الآفاق، فيكون وعداً بإظهار الإسلام وإفشائه. وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء. ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ صفة محمولة على محل ﴿إِنْ﴾ واسمها، أو بدل من المستكن في ﴿يَقْذِفُ﴾ أو خبر ثان أو خبر محذوف. وقرئ بالنصب صفة لـ ﴿رَبِّي﴾ أو مقدراً بأعني. وقرأ حمزة وأبو بكر «الغيوب» بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور، وقرئ بالفتح كالصبور على أنه مبالغة غائب.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي الإسلام. ﴿وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ وزهق الباطل أي الشرك بحيث لم يبق له أثر مأخوذ من هلاك الحي، فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة قال:

أَقْرَبُ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدٌ فَأَلْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ.

وقيل الباطل إبليس أو الصنم، والمعنى لا ينشئ خلقاً ولا يعيده، أو لا يبدئ خيراً لأهله ولا يعيده. وقيل ﴿مَا﴾ استفهامية منتصبة بما بعدها.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنَّ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠).

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحق. ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ فإن وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمانة بالسوء، وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله: ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ فإن الاهتداء بهدأته وتوفيقه. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وإن أخفاه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ عند الموت أو البعث أو يوم بدر، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف تقديره لرأيت أمراً فظيماً. ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ فلا يفوتون الله بهرب أو تحصن. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من ظهر الأرض إلى بطنها، أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى القلب، والعطف على ﴿فَرَغُوا﴾ أو لا قوت ويؤيده أنه قرئ «وأخذ» عطفاً على محله أي: فلا قوت هناك وهناك أخذ.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُوسُ مِنْ مَّكَانٍ يَعْبُدُ﴾ (٥٢).

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام، وقد مر ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾. ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾ ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً. ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فإنه في حيز التكليف وقد بعد عنهم، وهو تمثيل لحالهم في الاستخلاص بالإيمان بعدما فات عنهم أوانه وبعد عنهم، بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة، وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها.

أو أنه من ناشت الشيء إذا طلبته قال رؤية:

أَفَحَمَّيْنِي جَارُ أَبِي الْجَامُوشِ إِلَيْكَ نَاشِ الْقَدَرِ النَّبِؤُوشِ

أو من ناشت إذا تأخرت ومنه قوله:

تَمَنَّى نَشِيشاً أَنْ يَكُونَ أَطَاعِنِي وَقَدْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ

فيكون بمعنى التناول من بعد.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ٥٤﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام أو بالعذاب. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل ذلك أوان التكليف. ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن، أو في العذاب من البت على نفيه. ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من جانب بعيد من أمره، وهو الشبه التي تمحلوها في أمر الرسول ﷺ، أو حال الآخرة كما حكاها من قبل. ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه، وقرئ «ويَقْذِفُونَ» على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك، والعطف على ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان والنجاة به من النار، وقرأ ابن عامر والكسائي بإشمام الضم للحاء. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ بأشباهم من كفرة الأمم الدارجة. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة، أو ذي ريبة منقول من المشبك، أو الشك نعت به الشك للمبالغة.

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً».

## (٣٥) سورة الملائكة

مكية وآيها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٌ يَرْزُقُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم بإخراجهما منه، والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي. ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه. ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٌ﴾ ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون، أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على أمرهم به، ولعله لم يرد به خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح ﴿يَرْزُقُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا أمر تستدعيه ذواتهم، لأن اختلاف الأصناف والأنواع، بالخواص والفصول إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور المتفقة وهو محال، والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل دون بعض، إنما هو من جهة الإرادة.

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب. ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة. ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ يحبسها. ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ يطلقه، واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق بتناولها والغضب، وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه. ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد إمساكه. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه. ﴿الْحَكِيمُ﴾ لا يفعل إلا بعلم وإتقان. ثم لما بين أنه الموجد للملك والملوك والمتصرف فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر إنعامه فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلِلَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليتها، ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١﴾ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به، ورفع ﴿غير﴾ للحمل على محل ﴿من خالق﴾ بأنه وصف أو بدل، فإن الاستفهام بمعنى النفي، أو لأنه فاعل ﴿خالق﴾ وجره حمزة والكسائي حملاً على لفظه، وقد نصب على الاستثناء، و ﴿يرزقكم﴾ صفة لـ ﴿خالق﴾ أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ، وعلى الأخير يكون إطلاق ﴿هل من خالق﴾ مانعاً من إطلاقه على غير الله.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم، فوضع ﴿فقد كذبت﴾ موضعه استغناء بالسبب عن المسبب، وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُودٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالحرش والجزاء. ﴿حَقٌّ﴾ لا خلف فيه. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشيطان بأن يمينكم المغفرة مع الإصرار على المعصية، فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتماداً على دفع الطبيعة. وقرئ بالضم وهو مصدر أو جمع كفعود.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ عداوة عامة قديمة. ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم. ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوُّ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأمانى الفارغة، وبناء للأمر كله على الإيمان والعمل الصالح وقوله.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوُّ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ تقرير له أي أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقاً والقيح حسناً، كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه، فحذف الجواب لدلالة: ﴿فَإِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة، فحذف الجواب لدلالة: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم وإصرارهم على التكذيب، والفاءات الثلاث للسببية غير أن الأولين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب، وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية للتأسف، وعليهم ليس صلة لها لأن صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحرر عليه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ مَخَابَا فُسُقَتُهُ إِلَى بَلَدٍ مِمَّنْ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْشُّورُ ﴿٩﴾﴾

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح. ﴿فَتُبْرِئُ مَخَابَا﴾ على حكاية الحال

الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة، ولأن المراد بيان إحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده إليها، ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر. ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد. ﴿فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره، أو بالسحاب فإنه سبب السبب أو الصائر مطراً. ﴿بَعَثْنَا مَوْثِقَهَا﴾ بعد ييسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع. ﴿كَذَلِكَ النَّشُورُ﴾ أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صفة المقدورية، إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها. وقيل في كيفية الإحياء فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوُ ۖ﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الشرف والمنعة. ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي فليطلبها من عنده فإن له كلها، فاستغنى بالدليل عن المدلول. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح، وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما، أو صعود الكتبة بصحيفتهما، والمستكن في ﴿يرفعه﴾ لـ ﴿الكلم﴾ فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤيده أنه نصب ﴿العمل﴾، أو لـ ﴿العمل﴾ فإنه يحقق الإيمان ويقويه، أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة. وقرئ «يصعد» على البناءين والمصعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك. وقيل ﴿الكلم الطيب﴾ يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن. وعنه عليه الصلاة والسلام «هو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن، فإذا لم يكن عمل صالح لم تقبل». ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي عليه الصلاة والسلام في دار الندوة وتداولهم الرأي في إحدى ثلاث حبسه وقته وإجلاله. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لا يؤبه دونه بما يمكرون به. ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوُ﴾ يفسد ولا يتخذ لأن الأمور مقدره لا تتغير به كما دل عليه بقوله:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق آدم عليه السلام منه. ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ بخلق ذريته منها. ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكراناً وإناثاً. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ إلا معلومة له. ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ﴾ وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر. ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ﴾ من عمر المعمار لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره، أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصاً، والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابلة عليه أو للمعر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق. وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبت في اللوح مثل: أن يكون فيه إن حج عمرو فعمره ستون سنة وإلا فأربعون. وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقضي فإنه يكتب في صحيفة عمره يوماً فيوماً، وعن يعقوب «ولا ينقص» على البناء للفاعل. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو علم الله تعالى أو اللوح المحفوظ أو الصحيفة. ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إشارة إلى الحفظ أو الزيادة أو النقص.

﴿وَمَا يَسْتَوِ الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازٍ لِنَبْتِغَا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْتَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ضرب مثل للمؤمن والكافر، والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره، والأجاج الذي يحرق بملوحته. وقرئ «سايغ» بالتشديد و«سايغ» بالتخفيف و«ملح» على فعل. ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَغْرِجُونَ حَلِيَّةً تُبْسَوْنَهَا﴾ استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم، أو تمام التمثيل والمعنى: كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء، فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته، لا يتساوى المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وهي بقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر، أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع. والمراد بـ «الحلية» اللآلىء واليواقيت. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾ في كل. «مواخير» تشق الماء بجريها. «لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» من فضل الله بالنقلة فيها، واللام متعلقة بـ «مواخير»، ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الأفعال المذكورة. «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال.

﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَُمْ اللَّهُ رَيْكُم لَّهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ إن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هي مدة دوره أو انتهاه أو يوم القيامة. «ذَلِكَُمْ اللَّهُ رَيْكُم لَّهُ الْمُلْكُ» الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء. وفيها إشعار بأن فاعليته لها موجهة لثبوت الأخبار المترادفة، ويحتمل أن يكون «له الملك» كلاماً مبتدأ في قران. «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ» للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية، والقطمير لفافة النواة.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ لأنهم جماد «وَلَوْ سَمِعُوا» على سبيل الفرض. «مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ» لعدم قدرتهم على الإنفاع، أو لتبرئهم منكم مما تدعون لهم. «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ» بإشراككم لهم يقرون ببطلانه أو يقولون «ما كنتم إيانا تعبدون». «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» ولا يخبرك بالأمر مخبر «مثل خبير» به أخبرك وهو الله سبحانه وتعالى، فإنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين. والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ في أنفسكم وما يعن لكم، وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء، وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به ولذلك قال: «وخلق الإنسان ضعيفاً». «وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» المستغني على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بقوم آخرين أطوع منكم، أو بعالم آخر غير ما تعرفونه.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمتعذر أو متعسر.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَرَكَنَّ فَاِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨)

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، وأما قوله: ﴿وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ﴾ واثقالاتهم مع أثقالهم، ففي الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم. ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ نفس أثقلها الأوزار. ﴿إِلَىٰ جِهْلِهَا﴾ تحمل بعض أوزارها. ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ لم تجب لحمل شيء منه نفى أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المدعو ذا قرابتها، فأضر المدعو لدلالة إن تدع عليه. وقرىء «ذو قرى» على حذف الخبر وهو أولى من جعل كان التامة فإنها لا تلائم نظم الكلام. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ غائبين عن عذابه، أو عن الناس في خلواتهم، أو غائباً عنهم عذابه. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ فإنهم المنتفعون بالإنذار لا غير، واختلاف الفعلين لما مر من الاستمرار. ﴿وَمَن تَرَكَنَّ﴾ ومن تطهر من دنس المعاصي. ﴿فَاِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ﴾ إذ نفعه لها، وقرىء «ومن أركى فإنما يركى» وهو اعتراض مؤكد لخشيته وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكي. ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازيهم على تركيهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (١٩) ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (٢٠) ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ (٢١) ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (٢٢) ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢٣)

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن، وقيل هما مثلاً للصنم والله عز وجل.

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ ولا الباطل ولا الحق.

﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ ولا الثواب ولا العقاب، ولا لتأكيد نفى الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد. و ﴿الحُرُورُ﴾ فعول من الحر غلب على السموم. وقيل السموم ما يهب نهاراً والحرور ما تهب ليلاً.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل. وقيل للعلماء والجهلاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته فيوفقه لفهم آياته والاعتاظ بعظاته. ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ ترشيح لتمثيل المصيرين على الكفر بالأموات ومبالغة في إقنائه عنهم.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤)

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ محقين أو محققاً، أو إرسالاً مصحوباً بالحق، ويجوز أن يكون صلة لقوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي بشيراً بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ أهل عصر. ﴿إِلَّا خَلَا﴾ مضى. ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ من نبي أو عالم ينذر عنه، والاكتفاء بذكره للعلم بأن التذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل، أو لأن الإنذار هو الأهم المقصود من البعثة.

﴿وَلَا يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢٥)

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم. ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ كالنوراة والإنجيل على إرادة التفصيل دون الجمع، ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاري بالعقوبة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأُنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ أجناسها وأصنافها على أن كلاً منها ذو أصناف مختلفة، أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما. ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ أي ذو جدد أي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطوة السوداء على ظهره، وقرئ «جدد» بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة و «جدد» بفتحتين وهو الطريق الواضح. ﴿بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف. ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ عطف على «بَيَضٌ» أو على «جدد» كأنه قيل: ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها «غرابيب» متحدة اللون، وهو تأكيد مضمهر يفسره ما بعده فإن الغريب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره ذلك في الصفة قول النابغة:

وَالْمُؤْمِنُ الْعَائِذَاتُ الطَّيْرُ يَمْسَحُهَا

وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الإضمار والإظهار.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأُنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «إني أخشاكم لله وأتقاكم له» ولذلك أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته، وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر. وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للمعظيم فإن المعظم يكون مهيباً. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يداومون على قرائته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنواناً، والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ كيف اتفق من غير قصد إليهما. وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة. ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن. ﴿لَّنْ تَبُورَ﴾ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله:

﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ علة لمدلوله أي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوافقهم بنفاقها أجور أعمالهم، أو لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك «ليؤفقه» أو عاقبة ل «يرجون». ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما

يقابل أعمالهم. ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لفرطاتهم. ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعاتهم أي مجازيهم عليها، وهو علة للتوفية والزيادة أو خبر إن و﴿يرجون﴾ حال من واو و﴿أنفقوا﴾.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٣١).

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني القرآن و﴿من﴾ للتبيين أو الجنس و﴿من﴾ للتبعض. ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أحقه مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيقته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم بالبوطن والظواهر فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب، وتقديم الخبر للدلالة على أن العمد في ذلك الأمور الروحانية.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢).

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ حكماً بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه بالماضي لتحقيقه، أو أورثناه من الأمم السالفة، والعطف على ﴿إن الذين يتلون﴾، ﴿والذي أوحينا إليك﴾ اعتراض لبيان كيفية التورث. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم، أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به. ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يعمل به في غالب الأوقات. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ﴾ بضم التعليل والإرشاد إلى العمل، وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم. وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته». وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد، وتقديمه لكثرة الظالمين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى التورث أو الاصطفاء أو السبق.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَطْنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥).

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة أو للذين أو للـ ﴿مقتصد﴾ والـ ﴿سابق﴾، فإن المراد بهما الجنس وقرئ «جنة عدن» و«جنت عدن» منصوب بفعل يفسره الظاهر، وقرأ أبو عمرو «يدخلونها» على البناء للمفعول. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ خبر ثان أو حال مقدرة، وقرئ يحلون من حلّت المرأة فهي حالية. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ من الأولى للتبعض والثانية للتبيين. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ عطف على ﴿ذهب﴾ أي ﴿من ذهب﴾ مرصع باللؤلؤ، أو ﴿من ذهب﴾ في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم رحمهما الله عطفاً على محل ﴿من أساور﴾. ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ همهم من خوف العاقبة، أو همهم من أجل المعاش وآفاته

أو من وسوسة إبليس وغيرها، وقرئ «الحزن». «وَإِنْ رَأَيْتُمْ لَفُوقَ» للمذنبين. «شُكُورٌ» للمطيعين.  
 «الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ» دار الإقامة. «مِنْ فَضْلِهِ» من إنعامه وتفضله إذ لا واجب عليه. «وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ» تعب. «وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» كلال، إذ لا تكليف فيها ولا كد، أتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة.

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَضْطَرُّونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)».

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ» لا يحكم عليهم بموت ثان. «فَيَمُوتُوا» فيستريحوا، ونصبه بإضمار أن، وقرئ «فيموتون» عطفاً على «يُقْضَىٰ» كقوله: «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ». «وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» بل كلما خبت زيد إسعارها. «كَذَلِكَ» مثل ذلك الجزاء. «نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ» مبالغ في الكفر أو الكفران، وقرأ أبو عمرو «يجزى» على بناء المفعول وإسناده إلى «كل»، وقرئ «يجازي».

«وَهُمْ يَضْطَرُّونَ فِيهَا» يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته. «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» بإضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به، والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق لهم خلافه. «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ» جواب من الله وتوبيخ لهم و «ما يتذكر» فيه تناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكير والتذكر، وقيل ما بين العشرين إلى الستين. وعنه عليه الصلاة والسلام «العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة». والعطف على معنى «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم» فإنه للتقرير كأنه قال: عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي ﷺ أو الكتاب، وقيل العقل أو الشيب أو موت الأقارب. «فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» يدفع العذاب عنهم.

«إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)».

«إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه أحوالهم. «إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» تعليل له لأنه إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها.  
 «هُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ» ملقى إليكم مقاليد التصرف فيها، وقيل خلفاً بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف. «فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» جزاء كفره. «وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا» بيان له، والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من لأمرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه، والمراد بالمقت وهو أشد البغض مقت الله وبالخسار خسارة الآخرة.

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)».

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعني آلهتهم والإضافة إليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله

أو لأنفسهم فيما يملكونه. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ بدل من ﴿أَرَيْتُمْ﴾ بدل الاشتمال لأنه بمعنى أخبروني كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء أروني أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أم لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية. ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ ينطق على أنا اتخذناهم شركاء. ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾ على حجة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية، ويجوز أن يكون هم للمشركين كقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والكسائي ﴿على بينات﴾ فيكون إيماء إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل. ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تخيير الأسلاف الأخلاف، أو الرؤساء الأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ كراهة أن تزولا فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ، أو يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع. ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ﴾ ما أمسكهما. ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ من بعد الله أو من بعد الزوال، والجملة سادة مسد الجوابين ومن الأولى زائدة والثانية للابتداء. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهذا هداً كما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِمَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤٢) ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾. وذلك أن قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى لو أننا رسول لكونن ﴿أهدى من إحدى الأمم﴾، أي من واحدة من الأمم اليهود والنصارى وغيرهم، أو من الأمة التي يقال فيها هي ﴿إحدى الأمم﴾ تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً عليه الصلاة والسلام. ﴿فَمَا زَادَهُمْ﴾ أي النذير أو مجيئه على التسبب. ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الحق.

﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل من نفوراً أو مفعول له. ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ أصله وإن مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه، ثم بدل أن مع الفعل بالمصدر، ثم أضيف. وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل. ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ ولا يحيط. ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر، وقرئ «ولا يحيق المكر» أي ولا يحيق الله. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون. ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم. ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ إذ لا يبدلها يجعله غير التعذيب تعذيباً ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم، وقوله:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَكُنْ اللَّهُ

كَانَ يَعْبَادُوهُ بِصِيرًا ﴿٤٥﴾ .

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ استشهاد علم بما يشاهدونه في مسائرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين . ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُفْجِرَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ ليسبقه ويفوته . ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء كلها . ﴿قَدِيرًا﴾ عليها .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي . ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ ظهر الأرض ﴿مِنْ ذَابَّةٍ﴾ من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم ، وقيل المراد بالذابة الإنس وحده لقوله : ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة . ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم .

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة: أن أدخل من أي باب شئت» .

## (٣٦) سورة يس

**مكية وعنه عليه الصلاة والسلام يس تدعى المعجمة تحمى صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة،**

**وأيها ثلاث وثمانون آية**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾

﴿يَس ١﴾ ك ﴿آلَمْ﴾ في المعنى والإعراب، وقيل معناه يا إنسان بلغة طييء، على أن أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل (من الله) في أيمن. وقرئ بالكسر كجبر وبالفتح على البناء كأين، أو الإعراب على اتل يس أو بإضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث، أو إعراباً على هذه ﴿يَس﴾ وأمال الياء حمزة والكسائي وروح وأبو بكر، وأدغم النون في واو: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش ويعقوب، وهي واو القسم أو العطف إن جعل ﴿يَس﴾ مقسماً به.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لمن الذين أرسلوا.

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو التوحيد والإستقامة في الأمور، ويجوز أن يكون ﴿على صراط﴾ خبراً ثانياً أو حالاً من المستكن في الجار والمجرور، وفائدته وصف الشرع صريحاً بالاستقامة وإن دل عليه ﴿لمن المرسلين﴾ التزاماً.

﴿نَزِيلَ الْغَزِيرِ الرَّحِيمِ ٥﴾ لِنَذِيرٍ قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾

﴿نَزِيلَ الْغَزِيرِ الرَّحِيمِ﴾ خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب بإضمار أعني أو فعله على أنه على أصله، وقرئ بالجر على البدل من القرآن.

﴿لِنَذِيرٍ قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿نَزِيل﴾ أو بمعنى ﴿لمن المرسلين﴾. ﴿مَّا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ﴾ قوماً غير منذر آبائهم يعني آبائهم الأقربين لتطاول مدة الفترة، فيكون صفة مينة لشدة حاجتهم إلى إرساله، أو الذي أنذر به أو شيئاً أنذر به آبائهم الأبعدون، فيكون مفعولاً ثانياً ﴿لتنذر﴾، أو إنذار آبائهم على المصدر. ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ متعلق بالنفي على الأول أي لم يندروا فبقوا غافلين، أو بقوله ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ على الوجوه الأخرى أي أرسلناك إليهم لتنذرهم فإنهم غافلون.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني قوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر، بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ فالأغلال، واصله إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم له. ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ويمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل. وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿سَدًّا﴾ بالفتح وهو لغة فيه، وقيل ما كان يفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم. وقرأ «فأغشينا» من العشاء. وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي ﷺ فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه، فلما رفع يده انشئت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد، فرجع إلى قومه فأخبرهم، فقال مخزومي آخر: أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سبق في «البقرة» تفسيره.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ إنذاراً يترتب عليه البغية المرومة. ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أي القرآن بالتأمل فيه والعمل به. ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ وخاف عقابه قبل حلوله ومعابنة أهواله، أو في سريره ولا يغتر برحمته فإنه كما هو رحمن، منتقم قهار. ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَيْنَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٢﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الأموات بالبعث أو الجهاد بالهداية. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة. ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ﴾ الحسنة كعلم علموه وحيس وقفوه، والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ ومثل لهم من قولهم هذه الأشياء على ضرب واحد أي مثال واحد، وهو يتعدى إلى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما: ﴿مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ على حذف مضاف أي اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلاً، ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلاً من الملفوظ أو بياناً له، والقرية أنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ بدل من أصحاب القرية، و «المرسلون» رسل عيسى عليه الصلاة والسلام إلى أهلها وإضافته إلى نفسه في قوله:

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ لأنه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس، وقيل غيرهما. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾ فقويينا، وقرأ أبو بكر مخففاً من عزه إذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصود ذكر المعزز به. ﴿بِثَالِثٍ﴾ وهو شمعون. ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين، فلما قربا من المدينة رأيا حبيباً النجار يرعى غنماً فسألتهما فأخبراه فقال: أمعكما آية

فقالا: نشفي المريض ونبريء الأكمه والأبرص، وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فأمن حبيب وفشا الخبر، فشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما إلى الملك وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا؟

قالا: نعم من أوجدك وآلهتك؛ قال حتى أنظر في أمركما فحبسهما، ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به، فقال له يوماً: سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه، قال لا، فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال صفاه وأوجزا، قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال وما آيتكما، قالا: ما يتمنى الملك، فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره، وأخذوا بندقيتين فوضعاهما في صدقيه فصارتا مقلتين ينظر بهما، فقال شمعون أرأيت لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف، قال ليس لي عنك سر آلهتنا لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع، ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به، فأتوا بغلام مات منذ سبعة أيام فدعوا الله فقام وقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فأمنوا، وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك من هم قال شمعون وهذان فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فأمن في جمع، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فهلكوا.

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنتُمْ إِذَا تَكَلَّمْتُمْ لَا تَكْذِبُونَ﴾ (١٥) ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (١٦) ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٧).

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون، ورفع بشر لا تنقاض النفي المقتضي إعمال ما يبالا. ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ﴾ وحى. ورسالة. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْلِبُونَ﴾ في دعوى الرسالة.

﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم، وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته، وهو المحسن للاستشهاد فإنه لا يحسن إلا بيينة.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (١٩).

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بكم، وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه. ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا﴾ عن مقاتلهم هذه. ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم، وقرئ «طيركم معكم». ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ وعظمت، وجواب الشرط محذوف مثل تطيئرتم أو توعدتكم بالرجم والتعذيب، وقد قرئ بالف بين الهمزتين ويفتح أن بمعنى أطيئرتم لأن ذكركم وإن وأن بغير الاستفهام و «أين ذكركم» بمعنى طائرهم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ قوم عادتكم الإسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم، أو في الضلال ولذلك توعدتكم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ أَيُّعُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) ﴿أَتَيْعُودُ مِنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٢١).

﴿وَجَاءَ مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وبينهما ستمائة سنة، وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ على النصح وتبليغ الرسالة. ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى خير الدارين.

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٢) ﴿أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرْدِنَ الرَّحْمَنُ يَضْرِبَ لَكَ تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ (٢٣) ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٤).

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ على قراءة غير حمزة فإنه يسكن الياء في الوصل، تلتطف في الإرشاد بإبراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح، حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقيعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ مبالغة في التهديد ثم عاد إلى المساق الأول فقال:

حجارة وريح وأمطار شديدة.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (٢٩) يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ ما كانت الأخذة أو العقوبة. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بها جبريل عليه السلام، وقرئت بالرفع على كان التامة. ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ميتون، شبهوا بالنار رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال ليلى:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَحُورُ زَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ تعالي فهذه من الأحوال التي من حقها أن تحضري فيها، وهي ما دل عليها: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسروا عليهم، وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين، ويجوز أن يكون تحسراً من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ﴿يَا حَسْرَةً﴾ ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها، وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف، وقرئ «يا حسرة العباد» بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول، و «يا حسرة» بالهاء على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدُنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم يعلموا وهو معلق عن قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ لأن ﴿كم﴾ لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام. ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدل من ﴿كم﴾ على المعنى أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم، وقرئ بالكسر على الاستئناف.

﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدُنَا مُحْضَرُونَ﴾ يوم القيامة للجزاء، و ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة و «ما» مزيدة للتأكيد، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد بمعنى إلا فتكون إن نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول، و ﴿لَدُنَا﴾ ظرف له أو لـ ﴿محضرون﴾.

﴿وَأَيُّ لَمَّا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَبِتُّهُ يَأْكُلُونَ﴾ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾.

﴿وَأَيُّ لَمَّا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ وقرأ نافع بالتشديد. ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ خبر لـ ﴿الْأَرْضُ﴾، والجملة خبر ﴿آيَةٍ﴾ أو صفة لها إذ لم يرد بها معنية وهي الخبر أو المبتدأ والآية خبرها، أو استئناف لبيان كونها ﴿آيَةً﴾. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ جنس الحب. ﴿فَبِتُّهُ يَأْكُلُونَ﴾ قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ من أنواع النخل والعنب، ولذلك جمعهما دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع، وذكر النخيل دون الثمر ليطابق الحب والأعنان باختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع. ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ وقرئ بالتخفيف، والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى. ﴿مِنَ الْعُيُونِ﴾ أي شيئاً من العيون، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، أو ﴿العيون﴾ و ﴿من﴾ مزيدة عند الأخفش.

﴿يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٥) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦).

﴿يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ ثمر ما ذكر وهو الجنات، وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر بخلقه، وقرأ حمزة والكسائي بضميتين وهو لغة فيه، أو جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير واللبس ونحوهما، وقيل ﴿ما﴾ نافية والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم، ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الأنواع والأصناف. ﴿مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من النبات والشجر. ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الذكر والأنثى. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأزواجاً مما لم يطلعهم الله تعالى عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٢٧) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٢٨).

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ نزله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في إعرابه ما سبق. ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ لحد معين ينتهي إليه دورها، فشبّه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، أو لكبد السماء فإن حركتها فيه يوجد فيها بقاء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال:

وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا بِالْجَوِّ تَذْوِيمٌ

أو لاستقرار لها على نهج مخصوص، أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقاً ومغرباً، تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل، أو لمنقطع جريها عند خراب العالم. وقرئ «لا مستقر لها» أي لا سكون فإنها متحركة دائماً و «لا مستقر» على أن «لا» بمعنى ليس. ﴿ذَلِكَ﴾ الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن إحصائها. ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور. ﴿الْعَلِيمِ﴾ المحيط علمه بكل معلوم.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٢٩) ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٠).

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ﴾ قدرنا مسيره. ﴿مَنَازِلَ﴾ أو سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون: الشرطان، البطين، الشرا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا، وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، فإذا كان في آخر منازلها وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس، وقرأ الكوفيون وابن عامر ﴿وَالْقَمَرَ﴾ بنصب الراء. ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ﴾ كالشمرخ المعوج، فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج، وقرئ «كالعرجون» وهما لغتان كالبريون والبريون. ﴿الْقَدِيمِ﴾ العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعداً.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ يصح لها ويتسهل. ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ في سرعة سيره فإن ذلك يخل بتكون

النبات وتعيش الحيوان، أو في آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول إلى محله، أو سلطانه فتطمس نوره، وإيلاء حرف النفي ﴿الشمس﴾ للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها. ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه، وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران، وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكساً للأول وتبديل الإدراك بالسبق لأنه الملاثم لسرعة سيره. ﴿وَكُلٌّ﴾ وكلهم والتنوين عوض عن المضاف إليه، والضمير للشمس والأقمار فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً ما في الذات، أو للكواكب فإن ذكرهما مشعر بهما. ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون فيه بانسباط.

﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم الذين يعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم، فإن الذرية تقع عليهن لأنهن مزارعها. وتخصيصهم لأن استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب، وقرأ نافع وابن عامر ﴿ذرياتهم﴾. ﴿فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء، وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام، وحمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم، وتخصيص الذرية لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب مع الإيجاز.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ﴾ من مثل الفلك. ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل فإنها سفائن البر أو من السفن والزوارق.

﴿وَلَن تَشَأْ نُفْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَلَن تَشَأْ نُفْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ فلا مغيث لهم يحرسهم عن الفرق، أو فلا إغاثة كقولهم اتاهم الصريخ. ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ ينجون من الموت به.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا﴾ إلا لرحمة ولتمتع بالحياة. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ زمان قدر لآجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الوقائع التي خلت أو العذاب المعد في الآخرة، أو نوازل السماء ونوائب الأرض كقوله: ﴿أَو لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو عكسه، أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لتكونوا راجين رحمة الله، وجواب إذا محذوف دل عليه قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ كأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لأنهم اعتادوه وتمرنوا عليه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَطْعَمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ على محاوئجكم. ﴿قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ تهكمأ بهم من إقرارهم به وتعليقهم الأمور بمشيئته. ﴿أَتَطْعَمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ على زعمكم، وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين إيهاماً بأن الله تعالى لما كان قادراً أن يطعمهم ولم يطعمهم فحن أحق بذلك، وهذا من فرط جهالتهم فإن الله يطعم بأسباب منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث أمرتمونا ما يخالف مشيئة الله، ويجوز أن

يكون جواباً من الله لهم أو حكاية لجواب المؤمنين لهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعنون وعد البعث.

﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي النفخة الأولى. ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها كقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وأصله يختصمون فسكنت الناء وأدغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين، وقرأ أبو بكر بكسر الياء للاتباع، وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على إلقاء حركة الناء إليه، وأبو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والإسكان والتشديد وكأنه جوز الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني مدغماً، وقرأ حمزة ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ من خصمه إذا جادله.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ في شيء من أمورهم. ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ﴾ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي مرة ثانية وقد سبق تفسيره في سورة «المؤمنين». ﴿إِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ﴾ يسرعون وقرئ بالضم.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ وقرئ «يا ويلتنا» ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ وقرئ «من أهبنا» من هب من نومه إذا انتبه ومن هبنا بمعنى أهبنا، وفيه ترشيخ ورمز وإشعار بأنهم لا اختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياماً، و ﴿مَن بَعَثَنَا﴾ و «من هبنا» على من الجارة والمصدر، وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها في سائر القراءات حسن. ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ مبتدأ وخبر و ﴿مَا﴾ مصدرية، أو موصولة محذوفة. الراجع، أو ﴿هذا﴾ صفة لـ ﴿مرقدنا﴾ و ﴿ما وعد﴾ خبر محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف أي ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾، أو ﴿ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ حق وهو من كلامهم، وقيل جواب للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم، معدول عن سنته تذكيراً لكفرهم وتقريعاً لهم عليه وتنبهاً بأن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا: بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأرسل إليكم الرسل فصدقكم وليس الأمر كما تظنون، فإنه ليس يبعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وإنما هو البعث الأكبر ذو الأحوال.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٥٣) قَالِيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ ما كانت الفعللة. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي النفخة الأخيرة، وقرئت بالرفع على كان التامة. ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الأسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه.

﴿قَالِيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويراً للموعود

وتمكيناً له في النفوس وكذا قوله:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونَ﴾ متلذذون في النعمة من الفكاهة، وفي تنكير ﴿شغل﴾ وإيهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ، وتنبيه على أنه أعلى ما يحيط به الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿في شغل﴾ بالسكون، ويعقوب في رواية «فكهون» للمبالغة وهما خبران لـ ﴿إِنَّ﴾، ويجوز أن يكون ﴿في شغل﴾ صلة ﴿لِفَاكِهِونَ﴾، وقرأ «فكهون» بالضم وهو لغة كنطس ونطس «وفاكهين» «وفكهين» على الحال من المستكن في الظرف، و﴿شغل﴾ بفتحين وفتحة وسكون والكل لغات.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ﴾ جمع ظل كشعاب أو ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في «ظلل». ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على السرر المزينة. ﴿مُتَكُونَ﴾ و﴿هُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿فِي ظِلٍّ﴾، و﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جملة مستأنفة أو خبر ثان أو ﴿مُتَكُونَ﴾ والجازان صلتان له، أو تأكيد للضمير في شغل أو في فاكهون، وعلى الأرائك متكئون خبر آخر لأن أزواجهم عطف على ﴿هُمْ﴾ للمشاركة في الأحكام الثلاثة، و﴿فِي ظِلٍّ﴾ حال من المعطوف والمخطفوف عليه.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ ما يدعون به لأنفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه، أو ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه، أو يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي، أو ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها و﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة مرتفعة بالابتداء، و﴿لَهُمْ﴾ خبرها وقوله:

﴿سَلَّمَ﴾ بدل منها أو صفة أخرى، ويجوز أن يكون خبرها أو خبر محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أي ولهم سلام، وقرأ بالنصب على المصدر أو الحال أي لهم مرادهم خالصاً. ﴿قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ أي يقول الله أو يقال لهم قولاً كائناً من جهته، والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم، ويحتمل نصبه على الاختصاص.

﴿وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكَرُّ عَدُوِّكُمْ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّ آعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَثَدُ يَتَفَرَّقُونَ﴾. وقيل اعتزلوا من كل خير أو تفرقوا في النار فإن لكل كافر بيتاً ينفرد به لا يرى ولا يرى.

﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ من جملة ما يقال لهم تقريباً وإلزاماً للحجة، وعهده إليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان، لأنه الأمر بها والمزين لها، وقرأ «اعهد» بكسر حرف المضارعة و«أعهد» و«أحد» على لغة بني تميم. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه.

﴿وَأَنْ آعْبُدُونِي﴾ عطف على ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾. ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم أو إلى عبادته، فالجملة استئناف لبيان مقتضي للعهد بشقيه أو بالشق الآخر، والتنكير للمبالغة والتعظيم، أو للتبعض

فإن التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١٦١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٦٢﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأي، والجبل الخلق، وقرأ يعقوب بضمين وابن كثير وحزمة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات، وقرئ «جبلًا» جمع جبلة كخلقة وخلق و «جبلًا» واحد الأجيال.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ذوقوا حرها اليوم يكفركم في الدنيا.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ نمنعها عن الكلام. ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بظهور آثار المعاصي عليها ودلائها على أفعالها، أو إنطاق الله إياها وفي الحديث «إنهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم».

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة. ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ فاستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه، وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار، أو جعل المسبوق إليه مسبقاً على الاتساع أو بالظرف. ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ الطريق وجهة السلوك فضلاً عن غيره.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَائَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿١٦٧﴾ وَمَنْ تُعْصِرْهُ تَصَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم. ﴿عَلَىٰ مَكَائَتِهِمْ﴾ مكانهم بحيث يجمدون فيه، وقرأ أبو بكر «مكاناتهم». ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ ذهاباً. ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ولا رجوعاً فوضع الفعل موضعه للفواصل، وقيل ﴿لا يرجعون﴾ عن تكذيبهم، وقرئ «مضياً» بإتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي و«مضياً» كصبي، والمعنى أنهم بكفرهم ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك لكننا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة إمهالهم.

﴿وَمَنْ تُعْصِرْهُ﴾ ومن نزل عمره. ﴿تُصَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ﴾ نغلقه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاض بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره، وابن كثير على هذه يشع ضمة الهاء على أصله، وقرأ عاصم وحزمة ﴿تصكسه﴾ من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسح فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج، وقرأ نافع برواية ابن عامر وابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ رد لقولهم إن محمداً شاعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن، فإنه لا يماثله لفظاً ولا معنى لأنه غير مقفى ولا موزون، وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها. ﴿وَمَا يَنْبِيْهِ لَهُ﴾ وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه على ما خبرتم طبعه نحواً من أربعين سنة، وقوله عليه الصلاة والسلام:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

وقوله:

هَلْ أَنتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتٍ      وفي سبيل الله مَالِ قِيَّتٍ

اتفاقي من غير تكلف وقصد منه إلى ذلك، وقد يقع مثله كثيراً في تضاعيف المنشورات على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعراً، هذا وقد روي أنه حرك الباءين وكسر التاء الأولى بلا إشباع وسكن الثانية، وقيل الضمير للـ «قرآن» أي وما يصح للقرآن أن يكون شعراً. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة وإرشاد من الله تعالى. ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ وكتاب سماوي يتلى في المعابد، ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز.

﴿لِيُنْذِرَ﴾ القرآن أو الرسول ﷺ، ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء. ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ عاقلاً فهماً فإن الغافل كالميت، أو مؤمناً في علم الله تعالى فإن الحياة الأبدية بالإيمان، وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به. ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ﴾ وتجب كلمة العذاب. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المصيرين على الكفر، وجعلهم في مقابلة من كان حياً إشعاراً بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات في الحقيقة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَتَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا، وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص، والتفرد بالإحداث. ﴿أَنْعَمًا﴾ خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع. ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ متملكون لها بتخليقنا إيها، أو متمكنون من ضبطها. والتصرف فيها بتسخيرنا إيها لهم قال:

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا      أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ وصيرناها منقادة لهم. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم، وقرئ «ركوبتهم»، وهي بمعنىها كالحلوب والحلوية، وقيل جمعه وركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها «ركوبهم». ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ أي ما يأكلون لحمه.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الجلود والأصواف والأوبار. ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع، أو المصدر وأمال الشين ابن عامر وحده برواية هشام. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله في ذلك إذ لولا خلقه لها وتذليله إيها كيف أمكن التوصل إلى تحصيل هذه المنافع المهمة.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَرَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ أشركوها به في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة، وعلموا أنه المتفرد بها. ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ رجاء أن ينصروهم فيما حاربهم من الأمور والأمر بالعكس لأنهم.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ﴾ لآلهتهم. ﴿جُنْدٌ مُّخَضَّرُونَ﴾ معدون لحفظهم والذب عنهم، أو «محضرون» أثرهم في النار.

﴿فَلَا يَخْزُوكَ﴾ فلا يهكم، وقرىء بضم الياء من أحزن. ﴿قَوْلُهُمْ﴾ في الله بالإلحاد والشرك، أو فيك بالتكذيب والتهجين. ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به، وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرىء «أنا» بالفتح على حذف لام التعليل جاز.

﴿أَوَّلَ بَرٍّ أَلْإِنْسَانِ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُغِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨).

﴿أَوَّلَ لَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر، وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطاً في الخصومة بيناً ومنافاة لوجود القدرة على ما هو أهون مما عمله في بدء خلقه، ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب. روي «أن أبي بن خلف أتى النبي ﷺ بعظم بال يفتته بيده وقال: أترى الله يحيي هذا بعد ما رم، فقال عليه الصلاة والسلام: نعم وبيعتك ويدخلك النار فنزلت. وقيل معنى «فإذا هو خصيم مبين» فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً مميز منطبق قادر على الخصام معرب عما في نفسه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على إحياء الموتى، أو تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه. ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ خلقنا إياه. ﴿قَالَ مَنْ يُغِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ منكر إياه مستبعداً له، والرميم ما بلي من العظام، ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسماً بالغلبة ولذلك لم يؤنث، أو بمعنى مفعول من رمته. وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الأعضاء.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠).

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإن قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها، فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها، وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق وإعادة الأعراض والقوى التي كانت فيها أو إحداث مثلها.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ كالمرخ والعفار. ﴿نَارًا﴾ بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتندفع النار. ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ لا تشكون في أنها نار تخرج منه، فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكميتها كان أقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضاً فيس وبلي، وقرىء «من الشجر الخضراء» على المعنى كقوله «فماثلون منها البطون».

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢).

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع كبر جرمهما وعظم شأنهما. ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الصغر والحقارة بالإضافة إليهما، أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد، وعن يعقوب «يقدر». ﴿بلى﴾ جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفي مشعر بأنه لا جواب سواه. ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ كثير

المخلوقات والمعلومات.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ إِنَّمَا شَأْنُهُ. ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ أي تكون. ﴿فَيَكُونُ﴾ فهو يكون أي يحدث، وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول الأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاوله عمل واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة، وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق، ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على ﴿يقول﴾.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تنزيه عما ضربوا له، وتعجيب عما قالوا فيه معللاً بكونه مالِكاً للأمر كله قادراً على كل شيء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وعد ووعد للمقرين والمنكرين، وقرأ يعقوب بفتح التاء. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فإذا أنه بهذه الآية. وعنه عليه الصلاة والسلام «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، وأيما مسلم قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قرأه عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له، ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشرية من الجنة، فيشربها وهو على فراشه، فيقبض روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان».

تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع الجزء الرابع

من تفسير البيضاوي في مطابع دار إحياء التراث العربي - بيروت

الزاهرة، أدامها الله لطبع المزيد من الكتب النافعة، وآخر

دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



## محتوى الجزء الرابع من تفسير البيضاوي

|    |   |
|----|---|
| ٥  | تفسير سورة مريم .....   |
| ٧  | بيان الحكم الذي آتاه الله يحيى عليه السلام وهو صبي .....                          |
| ١٠ | بيان ما ذهبت إليه النسطورية والملكانية في السيد عيسى عليه السلام .....            |
| ١١ | بيان ما قام به إبراهيم عليه السلام مع أبيه من النصيحة والأدب .....                |
| ١٤ | بيان ما يلزم قارئ القرآن من البكاء .....  |
| ١٧ | بيان ورود المؤمنين وغيرهم على النار .....   |
| ٢٢ | تفسير سورة طه .....   |
| ٢٦ | بيان سبب العقدة التي كانت في لسان سيدنا موسى عليه السلام .....                    |
| ٢٧ | بيان المحبة التي أعطاها الله لسيدنا موسى في صغره .....                            |
| ٢٩ | بيان الخطأ والنسيان واستحالتهم على الله تعالى .....                               |
| ٣١ | بيان ما صنعتته السحرة من السحر لموسى عليه السلام .....                            |
| ٣٤ | بيان أصل موسى السامري وما فعله .....  |
| ٤٠ | بيان ما كان عليه آدم عليه السلام من الحلم .....                                   |
| ٤٥ | تفسير سورة الأنبياء .....   |
| ٤٨ | بيان الفرق بين إلا الاستثنائية والتي بمعنى غير .....                              |
| ٥٠ | بيان معنى رتق الأرض والسموات وفتحهما .....  |
| ٥٥ | بيان ما قيل بإبراهيم عليه السلام حين رمي في النار وما قاله .....                  |
| ٥٧ | بيان الخصومة التي عرضت على داود وسليمان وحكم كل فيها وبيان الحكم في شريعتنا ..... |
| ٦٤ | تفسير سورة الحج .....   |
| ٦٩ | بيان الخلاف في جواز بيع دور الحرم وإجارتها وبسط الدليل لكل .....                  |
| ٧٢ | بيان ما كان يفعله أهل الجاهلية مع المسلمين في ابتداء الأمر .....                  |
| ٧٥ | بيان الفرق بين النبي والرسول وبيان عدد الأنبياء .....                             |
| ٧٦ | بيان ما قيل في الغرائق .....  |
| ٨٠ | بيان السجدة الثانية من تلك السورة .....   |
| ٨٢ | تفسير سورة المؤمنون .....   |

- ٨٨ ..... بيان ما في عصا موسى عليه السلام من الآيات
- ٩٢ ..... بيان معنى فساد السموات عند اتباع الحق الأهواء
- ٩٨ ..... تفسير سورة النور
- ٩٩ ..... بيان معنى الإحصان وبيان الخلاف في أن التائب عن القذف تقبل شهادته أم لا ؟
- ١٠٠ ..... بيان أسباب حديث الإفك
- ١٠٣ ..... بيان أن القاذف لأزواج النبي هل له توبة أم لا ؟
- ١٠٤ ..... بيان الأربعة الذين برأهم الله
- ١٠٤ ..... بيان ما يجوز اظهاره للمرأة من زينتها وبدنها
- ١٠٦ ..... بيان الكتابة للأرقاء
- ١٠٧ ..... بيان معنى النور ووجه إطلاقه على الله تعالى
- ١١٠ ..... بيان ما قيل في المطر والسحاب والبرد والثلج
- ١١٧ ..... تفسير سورة الفرقان
- ١٢٢ ..... بيان السبب في إخطاط أعمال الكفار
- ١٢٩ ..... بيان السبب الذي يدعو إلى التوكل
- ١٣٣ ..... تفسير سورة الشعراء
- ١٣٦ ..... بيان أن الواجب تعالى لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية
- ١٤١ ..... بيان أن الموت لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب
- ١٤٩ ..... بيان أن المعاني الروحانية تنزل أولاً على الروح، ثم منها إلى القلب، ثم منه إلى الدماغ
- ١٥٤ ..... تفسير سورة النمل
- ١٥٦ ..... بيان ما أوتي سليمان عليه السلام من معرفة منطق الطير
- ١٥٧ ..... بيان السبب في تفقد سليمان الطير حتى علم بغياب الهدهد
- ١٦١ ..... بيان أن إحضار عرش بلقيس من المعجزات
- ١٦٧ ..... بيان الدابة التي تخرج آخر الزمان تكلم الناس
- ١٧١ ..... تفسير سورة القصص
- ١٧٤ ..... بيان المدينة التي دخلها موسى عليه السلام
- ١٧٥ ..... بيان الشروط التي جرى عقد زواج موسى عليها
- ١٨٣ ..... بيان معنى الاختيار
- ١٨٥ ..... بيان نسب قارون وأسباب حسده

|     |   |
|-----|---|
| ١٨٨ | تفسير سورة العنكبوت .....   |
| ١٩٦ | بيان معنى المجادلة بالتي هي أحسن .....                            |
| ٢٠١ | تفسير سورة الروم .....  |
| ٢٠٣ | بيان أن آية ﴿فسبحان الله﴾ ، جامعة للصلوات الخمس وبيان فضلها ..... |
| ٢١١ | بيان الأسباب التي تقتضي عدم التوكل .....                          |
| ٢١٢ | تفسير سورة لقمان .....  |
| ٢١٣ | بيان نسب لقمان ومعنى الحكمة .....                                 |
| ٢١٩ | تفسير سورة السجدة .....   |
| ٢٢٤ | تفسير سورة الأحزاب .....  |
| ٢٢٥ | بيان معنى كون ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ .....              |
| ٢٢٦ | بيان غزوة الخندق .....  |
| ٢٢٩ | بيان غزوة بني قريظة .....   |
| ٢٣٢ | بيان زواجه ﷺ زينب بنت جحش .....                                   |
| ٢٣٧ | بيان وجوب الصلاة والسلام عليه ﷺ .....                             |
| ٢٤١ | تفسير سورة سبأ .....  |
| ٢٤٣ | بيان معنى تسييح الجبال والطير مع داود عليه السلام .....           |
| ٢٤٤ | بيان كيفية موت سليمان عليه السلام وما فيه من الآيات .....         |
| ٢٤٤ | بيان نسب سبأ ومسكنهم .....  |
| ٢٤٥ | بيان ما فعل بسبأ وتخريب ديارهم .....                              |
| ٢٥٣ | تفسير سورة فاطر ﴿الملائكة﴾ .....                                  |
| ٢٦٣ | تفسير سورة يس .....   |
| ٢٦٤ | بيان رسل عيسى عليه السلام إلى أنطاكية وما فعلوه .....             |
| ٢٦٧ | بيان العذاب الذي فعل بأصحاب القرية .....                          |

